الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

التَّخصص: دراســـات لغـويَّة

التَّشبِيه فِي الأَمثَالِ العَرَبِيَّةِ

دِرَاسَة تَطبِيقِيَّة علـــى نمـــاذج مـــن (جمهـرة الأمثـــال) لأبـــي هِـــلالِ العَسـكَرِيّ

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطَّالب:
كمـال بـشـلاوي

إشراف الأستاذ:
رابــح العـــربـي

السَّنة الجامعيَّة: 1436هـ/1437هـ الموافق لـ: 2015م/2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

التَّخصص: دراســـات لغـويَّة

التَّشبِيه فِي الأَمثَالِ العَرَبِيَّةِ

دِرَاسَة تَطبِيقِيَّة علـى نمـاذج مـن (جمهـرة الأمثـال) لأبـي هِــلالٍ العَسـكَرِيّ

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطَّالب:
كمـال بـشـلاوي

إشراف الأستاذ:
رابــح العـــربـي

اللَّجنة المناقشة:

1- يمينة مصطفاي .....رئيسا
2- فتيحة حمودي .....عضوا
3- رابح العربـــي .....مشرفا ومقرِّرا

السَّنة الجامعيَّة: 1436هـ/1437هـ الموافق لـ: 2015م/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحب الذى تفتقده

لُغَتُنا الجميلة فى عصرنا الحاضر

مَن أَحَبّ اللّهَ أحبَّ رسولَه المصطفى ﷺ .

ومَن أَحَبّ النبيَّ العربيّ أحبّ العربَ .

ومَن أحبّ العربَ أحب لغتَهم العربية التى نزل بها القرآنُ الكريم ، أفضلُ الكتب ، على أفضلِ العَرَبِ والعَجَم !

ومَن أحبّ العربيَّةَ عُنِىَ بها ، وثابر عليها ، وصرف همَّتَه إليها !

ومَن هداه اللّهُ للإسلام ، وشرح صدرَه للإيمان ، وآتاه حُسْنَ سَريرة فيه، اعتقد أن محمدًا ﷺ خيرُ الرسل ! ، والإسلامَ خيرُ المِلل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغات والألسنة. والإقبالُ على تفهمها من الديانة ؛ إذ هى أداة العِلْم ، ومِفتاح التفقّه فى الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد !

«الثعالبى»

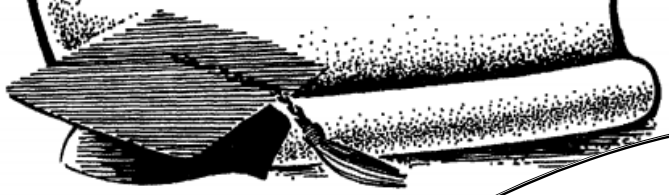

كَلمةُ شُكرٍ

نتوجه بالشُّكر الخاصِّ إلى الأستاذ المشرف (رابح العربي) على قبوله الإشراف على هذا البحث، وعلى رحابة صدره، وعلى ما أسداه لنا من نُصحٍ، ورعايةٍ.

وما لسان حالنا في الشُّكر له إلاَّ كقول القائل:

وَلَـو أَنَّنِـي أوتِيْـــتُ كُـلَّ بَـــلَاغَـةٍ *** وَأَفْنَيْتُ بَحْرَ النُّطْقِ فِيْ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

لَمَـا كُنْـتُ بَعْـدَ القَـوْلِ إلاَّ مُقَـصِرًا *** وَمُعْتَـرِفًا بِالعَجْـزِ عَـنْ وَاجِبِ الشُّكْرِ

وقول الآخر:

سَعَيْتُ اِبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيْمَا صَنَعْتَ لِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوْبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ

فجزاك الله عنّا أفضل ما جزى العاملين المخلصين، وبارك الله لك وأسعدك أينما حطّت بك الرِّحال.

كما لا ننسى شكر من قدَّم يد العون، من قريبٍ أو بعد؛ فشكرًا جزيلاً لكم.

مُـقَـدِّمَـــةٌ

مقـدِّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من أرسلهُ الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبهِ ومن تَبِعَهُم بإحسان إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بعدُ:

الأمثالُ عندَ كلِّ أمَّةٍ لِسَانُ حَالِهَا، وَبِهَا تُعَبِّرُ عَن حَاجَاتِهَا وَأَغرَاضِهَا؛ وَقَد بَلَغَتِ العَرَبُ فِي إِطلَاقِهَا وَالتَّمَثُّلِ بها أَسمَى الغَايَاتِ، فَزَيَّنُوا بِهَا خُطَبَهُم، وَجَعَلُوهَا وشَاحًا لِكِتَابَاتِهِم، وَبِهَا رَصَّعُوا جُلَّ أَقوَالِهِم، وَهِيَ الحُجَّةُ فِي مَجَالِسِ مُنَاظَرَاتِهِم، والدَّلِيلُ فِي مَيَادِينِ مُصَاوَلَاتِهِم...

فَلَمَّا أَدرَكَتِ العَرَبُ شَأنَهَا، وَعَظِيمَ قَدرِهَا، انكَبَّ اللُّغَويُّونَ الأَوَّلُونَ عَلَى جَمعِهَا وَتَدوينِهَا، وَتَفسِيرِ مَدلُولَاتِهَا، وَنَقلِ أَخبَارِهَا وَحَوَادِثِهَا وَقِصَصِهَا، وَالتَزَمُوا بِعَزوِهَا إِلَى أَصحَابِهَا، وَذَكَرُوا أَصلَ نَشأَتِهَا وَتَوَلُّدِهَا؛ فَوَقَعَ مِن كُلِّ ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ، هِيَ أَشبَهُ بِالمَعَاجِمِ اللُّغويَّةِ فِي مَنهَجِهَا، وَلِكُلِّ مُصَنَّفٍ طريقةُ عَرضٍ يَختَصُّ بِهَا، وَأُسلُوبٌ يُمَيِّزُه عن سائر المصنَّفات.

وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ تَلَقَّى الدَّارِسُونَ المُحدَثُونَ هَذِهِ المُصَنَّفَاتِ، وَاشتَغَلُوا عَلَيهَا بِالتَّحقِيقِ والتَّدقِيقِ، وَتَصَدَّى بَعضُهُم للتَّقِيبِ عَن كُلِّ مَا يَخُصُّ مَادَّتَهَا–أي الأمثال– فَبَحَثُوا عَن الأَسَالِيبِ التي بُنِيَت عَلَيهَا، وَالأَغرَاضِ التي جَاءَت لِتُؤَدِّيهَا، وَالقِيَمِ التي تَحوِيهَا، والصُّوَرِ التي نُسِجَت عَلَيهَا، وغيرها.

فَبِالرُّغمِ مِن كُلِّ تِلكَ الجُهُودِ إِلاَّ أَنَّ هذهِ المُدوَّنَات –مُصَنَّفَات الأَمثَال– لَم تَلقَ الاهتِمَامَ اللَّازِمَ المُبَيِّنِ لِمَكَانَتِهَا، وَشَأنِ مَادَّتِهَا فِي اللِّسَانِ العَرَبِيِّ الأَصِيلِ، وَخَيرُ دَلِيلٍ يُسَاقُ حَولَ الإِجحَافِ الواقع في حقِّ هَذَا النَّوعِ مِنَ التُّرَاثِ، قِلَّةُ الدِّرَاسَاتِ المُرتَبِطَةِ بِهِ، وَغِيَابُ مَادَّتِهِ فِي هَذَا الزَّمَنِ – أي الأمثال – عَن كِتَابَاتِ الكُتَّابِ، وَخُطَبِ الخُطَبَاءِ، وَشَوَاهِدِ البُلَغَاءِ، وَأَدِلَّةِ النُّحَاةِ،

وَغَيرِهِم، إلاَّ بِبَعضِ الاستِثنَاءَاتِ؛ فِي حِينِ عَدَّ سَلَفُ هَذِهِ الأُمَّةِ هَذَا النَّمَطَ التَّعبِيرِيَ مِن أَهَمِ الوَسَائِلِ التي لَا بُدَّ لِلكَاتِبِ وَالمُتَحَدِّثِ التَّسلُّحَ بِهَا.

فَلَمَّا كَانَتِ الحَالُ هَذِهِ؛ رَأَينَا أَن نَصرِفَ هِمَمَنَا إِلَى التَّنقِيبِ عَن هَذَا الضَّربِ مِن فُنُونِ القَولِ، فَوَقَعَ الاختِيَارُ عَلَيهِ مِن أَجلِ أَن يَكُونَ مَادَّةَ دِرَاسَتِنَا وَبَحثِنَا؛ وَلِكَثرَةِ المُتَعَلِقَاتِ التي يَرتَبِطُ بِهَا هَذَا الشَّكلُ التَّعبِيرِيُ، وَقَعَ اختِيَارُنَا عَلَى جُزئِيَّةٍ مِن جُزئِيَّاتِهِ، وَهِيَ (التَّشبِيهُ)؛ وَالمَقصُودُ مِنَ التَّشبِيهِ الذي ارتَضَينَاهُ كَي يَكُونَ مَجَالَ بَحثِنَا وَدِرَاسَتِنَا، هُوَ التَّشبِيهُ بِوَصفِهِ مَبحَثًا مِن مَبَاحِثِ عِلمِ البَيَانِ عندَ أهل البَلَاغَةِ، أي كمصطلحٍ لغويٍّ علميٍّ.

وَعِندَمَا كَانَ البَحثُ فِي هَذَا المَوضِوعِ – التَّشبيهُ في الأَمثَالِ – يَحتَاجُ إِلَى مُدَوَّنَةٍ تَحوِي نَمَاذِجَهُ، وَشَوَاهِدَ التَّطبِيقِ عَلَيهِ، وَقَعَ اِختِيَارُنَا عَلَى مُصَنَّفٍ مِنَ المُصَنَّفَاتِ التُّرَاثِيَّةِ، وَهُوَ كِتَابُ: (جَمهَرَة الأَمثَالِ) لِأَبِي هِلَالٍ العَسكَرِيِّ، وَقُمنَا بِاختِيَارِ هَذَا الكتاب دُونَ سِوَاهُ لِمَكَانَةِ صَاحِبِهِ فِي أَوسَاطِ اللُّغَوِيِّينَ والنُّقَادِ وَالأُدَبَاءِ، كَمَا أَنَّ للمُصَنَّفَ مَزَايَا يَختَصُّ بِهَا، وَسِمَاتٍ تُمَيِّزه عن غيره.

فلمَّا اجتَمَعَت لَنَا عَنَاصِرُ البَحثِ مِن مَوضُوعٍ وَمُدَوَّنَةٍ سَمَّينَاهُ بـ: (**التَّشبِيه فِي الأَمثَـالِ العَرَبِيَّةِ – دِرَاسَة تَطبِيقِيَّة عَلَى نَمَاذِجَ مِن جَمهَرَةِ الأَمثَالِ لِأَبِي هِلَالٍ العَسكَرِيِّ**).

وَلَا يَخفَى عَلَى عَاقِلٍ مَا لِمَبحَثِ التَّشبِيهِ مِن أَهَمِيَّةٍ عِندَ أَربَابِهِ وَأَهلِ صِنَاعَتِهِ، وَهُوَ إِذَا تَعَلَّقَ بِالأَمثَالِ وَمَا لَهَا مِن أَهَمِيَّةٍ وَفَائِدَةٍ –هِي بِدَورِهَا– صَارَ كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَستَحِقُّ بَذلَ الجُهدِ وَالعَنَاءِ في سَبِيلِ البَحثِ والتَّنقِيبِ عَن مُتَعَلِقَاتِهِ المُختَلِفَةِ؛ وَكَفَى مِن ذَلِكَ فَائِدَةً وَأَهَمِيَّةً أَنَّهُ طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى اكتِسَابِ الشَّاهِدِ والدَّلِيلِ لِإِثبَاتِ القَوَاعِدِ وَتَرسِيخِهَا، وَإِقَامَةِ الحُجَجِ الدَّامِغَاتِ، وَالبَرَاهِينِ النَّيِّرَاتِ.

مقدِّمة:

وَلمَّـا كَـانَ لِكُلِّ بَحثٍ إِشكَالِيَّةٌ يُحَاوِلُ إِيجَادَ حُلُولِهَا، وَأَسئِلَةً يُجِيبُ عَن المُبهَمَاتِ فِيهَا، فَسَنُحَاوِلُ فِي عَمَلِنَا هَذَا الإِجَابَةَ عَن جُملَةٍ مِنَ الأَسئِلَةِ المُتَنَوِّعَةِ، أَبرَزُهَا مَا يَلِـي:

- هَل اِنفَرَدَت الأَمثَالُ العَرَبِيَّةُ بِخَصَائِصَ تُمَيِّزُهَا عَن غَيرِهَا مِن أَنمَاطِ التَّعبِيرِ؟
- وَمَا الفَرقُ بَينَهَا وَبَينِ تِلكَ الأَنمَاطِ؟ وَمَا هِيَ أَنوَاعُهَا؟
- مَا هِيَ أَنوَاعُ التَّشبِيهِ التي استُخدِمَت فِي أَمثَالِ المُدَوَّنَةِ المُختَارَةِ؟
- وَمَا هِيَ الأَغرَاضُ وَالأَهدَافُ التِي جَاءَت لِتَأدِيَتِهَا؟

وَلِلإِجَابَةِ عَن هَذِهِ الأَسئِلَةِ وَغَيرِهَا رَأَينَا صِيَاغَةَ هَذَا العَمَلِ فِي فَصلَينِ تَتَقَدَّمُهُمَا مُقَدِّمَةٌ وَتَلحَقُهُمَا خَاتِمَةٌ.

فَأَمَّا المُقَدِّمَةُ فَرَسَمنَا فِيهَا أَبعَادَ وَحُدُودَ هَذَا العَمَل، فَحَدَّدنَا فِيهَا المَوضُوعَ المُختَارَ، وَأَهَمِيَّتَهُ، وَفَائِدَتَهُ، وَضَمَّنَّاهَا أَسبَابَ اِختِيَارِنَا لِهَذَا المَوضِوعِ وَدَوَافِعَهُ، وَطَرَحنَا فِيهَا إِشكَالِيَةَ مَا سُنُحَاوِلُ الإِجَابَةَ عَنهُ، وَهَا نَحنُ سَنَذكُرُ الخُطَّةَ التي نَسَجنَاهَا لَهُ، وَالمَنهَجَ الذي اتَّبَعنَاهُ فِيهِ، وَالمَصَادِرَ التي استَعَنَّا بِهَا فِي إِنجَازِهِ؛ وَغَيرِهَا عَلَى مَا سَتَجِدُهُ مَبثُوثًا بَينَ أَسطُرِهَا وَصَفَحَاتِهَا صَرِيحًا وَمُضَمَّنًا.

وَأَمَّا الفَصلُ الأَوَّلُ فَجَاءَ بِثَلَاثَةِ مَبَاحِثٍ، قُمنَا فِي الأَوَّلِ مِنهَا بِتَعرِيفِ الأَمثَالِ لُغَةً وَاِصطِلَاحًا وَقَد تَتَبَّعنَا فِي الاصطِلَاحِ جُملَةً مِنَ الكُتُبِ، مِنهَا مَا هُوَ تُرَاثِيٌّ، وَفِيهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِالأَمثَالِ، وَأُخرَى كُتُبٌ حَدِيثَةٌ؛ وَتَعَرَّضنَا فِي المَبحَثِ الثَّانِي للفَرقِ بَينَ الأَمثَالِ وَبَينَ بَعضِ الأَنمَاطِ التَّعبِيرِيَّةِ التي تَلتَبِسُ مَعَهَا، مِن حِكمَةٍ وَأَقوَالٍ مَأثُورَةٍ وَكَلِمَاتٍ سَائِرَةٍ؛ وَجَعَلنَا المَبحَثَ الثَّالِثَ خَاصًّا بِأَنوَاعِ الأَمثَالِ وَأَهَمِ تَصنِيفَاتِهَا.

وَقَد كَانَ لِهَذَا الفَصلِ دَورٌ بَارِزٌ فِي تَوجِيهِ البَحثِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيهِ، لِأَنَّهُ أَوضَحَ لَنَا حُدُودَهُ وَأَبعَادَهُ بِشَكلٍ كَبِيرٍ جِدًّا.

وَفِي الفَصلِ الثَّانِي – وَهُوَ ثَلَاثَةُ مَبَاحِثٍ كَذَلِكَ – قَدَّمنَا فِي مَبحَثِهِ الأَوَّلِ تَرجَمَةً لِصَاحِبِ المُدَوَّنَةِ، وَوَصَفنَا المُدَوَّنَةَ، وَعَالَجنَا مَنهَجَهَا، وَأَهَمَّ مَا يُمَيِّزُها؛ وَتَطَرَّقنَا فِي المَبحَثِ الثَّانِي إِلَى التَّعرِيفِ بِفَنِّ التَّشبِيهِ، فَكَشَفنَا عَن التَّشبِيهِ المُرَادِ البَحثُ فِيهِ – لِوُجُودِ لبسٍ فِي هَذِهِ النُّقطَةِ –؛ ثُمَّ أَتبَعنَا ذَلِكَ بِتَعرِيفٍ للعِلمِ الذي يَندَرِجُ تَحتَهُ هَذَا المَبحَثُ، كَمَا قُمنَا بِتَنَاوُلِ تَعرِيفِ التَّشبِيهِ فِي بَعضِ كُتُبِ القُدَامَى وَالمُحدَثِينَ، لِنَنتَقِلَ بَعدَ ذَلِكَ إِلَى الحَدِيثِ عن أَركَانِ التَّشبِيهِ، وَأَقسَامَهُ؛ أَمَّا فِيمَا يَخُصُّ المَبحَثَ الأَخِيرَ مِن هَذَا الفَصلِ فَجَعَلنَاهُ خَاصًّا بِالدِّرَاسَةِ التَّطبِيقِيَةِ، حَيثُ تَنَاوَلنَا فِيهِ بَعضَ النَّمَاذِجِ التي جَاءَت مَنسُوجَةً عَلَى التَّشبِيهِ المَقصُودِ البَحثُ فِيهِ فِي هَذَا العَمَلِ، فَحَلَّلنَاهَا بِنَاءً عَلَى لَوَازِمِهَا وَمَا تَختَصُّ بِهِ، وَكَشَفنَا عَن أَنوَاعِهَا، وَبَيَّنَّا أَغرَاضَهَا التي جَاءَت لِتَأدِيَتِهَا.

وَقَد التَزَمنَا فِي نِهَايَةِ كُلِّ مَبحَثٍ مِنَ المَبَاحِثِ السِّتَّةِ بِذِكرِ أَهَمِّ مَا يُستَخلَصُ مِنهَا.

وَبَعدَ تَمَامِ الفَصلَينِ أَلحَقنَا بِهِمَا خَاتِمَةً جَمَعَت أَهَمَّ النَّتَائِجِ المُتَوَصَّلِ إِلَيهَا مِن خِلَالِ الاستِقرَاءِ والتَّحلِيلِ لِمَوضُوعِ الدِّرَاسَةِ، وَأَتبَعنَا الخَاتِمَةَ بِمَلَاحِقَ مُختَلِفَةٍ، وَفَهَارِسَ مُتَنَوِّعَةٍ.

أَمَّا عن المَنهَجِ الذي اِستَنَدنَا إِلَيهِ فِي تَحرِيرِ فُصُولِ البَحثِ فَهُوَ مَنهَجٌ وَصفِيٌّ تَحلِيلِيٌّ، وَهَذَا رَاجِعٌ لِاقتِضَاءِ طَبِيعَةِ المَوضُوعِ المُعَالَجِ لِذَلِكَ؛ فَفِي الوَصفِيِّ قُمنَا بِرَصدِ الظَّاهِرَةِ المُرَادِ البَحثِ فِيهَا، وَوَصَفنَاهَا كَمَا هِيَ عَلَيهِ، وَلَم نَتَدَخَّلْ فِيهَا بِشَيءٍ، وَبِالمَنهَجِ التَّحلِيلِيِّ حَاوَلنَا استِخلَاصَ أَحكَامٍ مَوضُوعِيَّةٍ حَولَ الظَّاهِرَةِ، وَنَحنُ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُستَنِدُونَ إِلَى الأَدِلَّةِ وَالبَرَاهِينِ المُختَلِفَةِ.

وَفِيمَا يَخُصُّ الدِّرَاسَاتِ التي تَنَاوَلَت التَّشبِيهَ في المثلِ فَلَـم يَقَعْ بَينَ أَيدِينَا مِنهَا أَيُّ عَمَلٍ، وَلَـو وُجِدَت لَكَانَ منَ المُمكِنِ أن يَكُونَ لهذا البحث شَأنٌ آخر بِلَا شَكٍّ.

وَقَد كَانَ فِي دِرَاسَتِنَا لِهَذَا المَوضُوعِ – التَّشبِيه فِي الأَمثَالِ – من الضَّروريّ العَودَة إِلَى مَصَادِرَ وَمَرَاجِعَ مُختَلِفَةٍ تُعِينُنَا فِي إِنجَازِهِ، وَتَحقِيقِ الغَرَضِ مِنهُ؛ فَاستَعَنَّا بِبَعضِ كُتُبِ البَلَاغَةِ، نحو: (الصِّنَاعَتَين) للعسكريِّ، و(أَسَاسُ البَلَاغَةِ) للزَّمخشريِّ، وَ(دَلَائِلُ الإعجَازِ) للجُرجَانِيِّ؛ وَبَعضِ المَعَاجِمِ اللُّغَويَّة، نحو: (لِسَانُ العَرَبِ) لابنِ مَنظُورٍ، وَ(الصِّحَاحُ) للجَوهَرِيِّ؛ وَبَعضِ كُتُبِ التَّفسِيرِ، نَحو: (مَعَالِمُ التَّنزِيلِ) للبَغَويِّ؛ وَكُتُبُ الأَمثَالِ، نحو: (مَجمَعُ الأَمثَالِ) للميدَانِيِّ، و(المُستَقصَى) للزَّمخشريِّ؛ وَغَيرِهَا مِنَ المُؤَلَّفَاتِ التُّرَاثِيَّةِ التي لَهَا عَلَاقَةٌ بِمَوضُوعِ الدِّرَاسَةِ؛ وَلَم يَسَعنَا الاكتفاء بهَذِهِ الكُتُبِ – أي التُّراثيَّة – فكانَ لا بُدَّ من الرُّجُوعِ إِلَى المُصَنَّفَاتِ وَالبُحُوثِ الحَدِيثَةِ، بَل وَجَدنَا فِي أَغلَبِ الحَالَاتِ أَنَّ هَذِهِ الكُتُبَ هِيَ المِفتَاحُ الذي يَفتَحُ بَابَ مَا انغَلَقَ، والسَّبِيلُ المُوصِلُ إِلَى تَوضِيحِ مَا أُشكِلَ، وَتَجلِيَةِ مَا انبَهَمَ، وَهِيَ عَلَى قِلَّتِها ونُدرَتِهَا عَمِلَت هَذَا العَمَلَ.

وَقَبلَ خِتَامِ هَذِهِ المُقَدِّمَةِ نَتَوَجَّهُ بِالشُّكرِ الجَزِيلِ، المَقرُونِ بالتَّقدِيرِ الكَبِيرِ، إِلَى الأُستَاذِ المُشرِفِ، عَلَى مَا أَولَانَا بِهِ، سَائِلِينَ رَبَّ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتِ أَن يُجَازِيَهُ عَنَّا خَيرَ الجَزَاءِ.

وَخِتَامًا لَيسَ لَنَا إِلاَّ أَن نُرَدِّدَ مَا قِيلَ: " إِنِّيَ رَأَيتُ أَنَّهُ لَا يَكتُبُ الإِنسَانُ كِتَابًا إِلاَّ قَالَ فِي غَدِهِ: لَو غَيَّرتُ لَكَانَ أَحسَنَ، وَلَو زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُستَحسَنُ، وَلَو قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفضَلَ، وَلَو تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجمَلَ، وَهَذَا مِن أَعظَمِ العِبَرِ، وَهُوَ دَلِيلُ استِيلَاءِ النَّقصِ عَلَى جُملَةِ البَشَرِ "؛ فَسَنَعرِضُ بِضَاعَتَنَا لِلامتِحَانِ، وَعِندَكُم – أَيُّهَا القَارِئُ – يُكرَمُ المَرءُ أَو يُهَانُ.

هذا؛ وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

الفصل الأوَّل

الأمثال تعريفها، الفرق بينها وبين بعض أنماط التَّعبير، وأنواعها

- المبحث الأوَّل: تعريـف الأمثـــال
- المبحث الثَّاني: بين المثل وغيره من أنماط التَّعبير
- المبحث الثَّالث: أنـــواع الأمثـــال

الفصل الأوَّل

المبحث الأوَّل: تعريف الأمثال

المبحث الأوَّل: تعريف الأمثال

أوَّلاً : تعريف الأمثال لغة:

تدلُّ مادَّة (م ث ل) الثُّلاثية الأصل الصَّحيح على عِدَّة معانٍ ذكرتها المعاجم العربية وأفاضت النَّقل فيها، ذلك لأنَّ هذه المادَّة لها الكثير من المشتقات والمرادفات؛ ونحن في هذا المقام سنتناول تلك المعاني بشيء من الاختصار غير المخل.

فمن المعاني التي تُورِدُها المعاجم العربية لمادَّةِ (م ث ل) نجدُ ما ذكرهُ الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى نحو:170هـ) في معجمه؛ حيث قال: " المَثَلُ: الشَّيءُ يُضربُ للشيءِ فيجعلُ مِثْلُهُ، والمَثَلُ: الحديثُ نَفْسُهُ... قال عزَّ وجَلَّ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الرَّعد:37]... فَمَثَلُهَا هو الخَبَرُ عَنْهَا... والمِثْلُ: شِبْهُ الشَّيءِ في المِثَالِ والقَدْرِ ونَحْوِه حتى في المعنى... والمُثُولُ: الإنْتِصَابُ قَائِمًا "[1].

بالإضافة إلى هذه المعاني هناك معاني أخرى، قد ذكر بعضًا منها أحمد بن فارس (ت:395هـ) حيث ساقها في مَعرِضِ حديثه عن مادَّة (م ث ل) فقال: " الميم والثَّاء واللَّام أصلٌ يدلُّ على مُناظَرةِ الشيءِ للشَّيءِ، وهذا مثلُ هذا، أي نَظِيْرُهُ؛ والمِثْلُ والمِثَالُ في مَعنًى واحد. ورُبَّما قالوا مَثِيْل كشَبِيْه... والمَثَلُ: المِثْلُ أيضًا، كشَبَه وشِبْه والمَثَلُ المَضْرُوبُ مأخوذٌ من هذا "[2].

---

[1] – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1424هـ/2003م، ج: 4، ص: 118

[2] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ب)، ط 2، سنة: 1399هـ/1979م، ج: 5، ص: 296

وزاد بعض المعاني الزَّمخشري (ت:538هـ) فقال: " مُثِّلَ الشَّيءُ بالشَّيءِ، سُوّيَ بِهِ وقُدِّرَ تَقْدِيرَهُ... ومَثَّلَ مِثَالاً، وتَمَثَّلَهُ: اِعْتَمَلَهُ، ومثَّلَ التَّمَاثِيْلَ ومَثَّلَهَا: صوَّرَهاَ؛ وهذا البيتُ مَثَلٌ نتمَثَّلُه عندنا ونتمثَّلُ بِهِ ونَمْتَثِلُهُ ونمتَثِلُ به "[1].

أمَّا ابن منظور (ت:711هـ) فقد أتى ببعض المعاني السَّابقة مع شيءٍ من التَّفصيلِ فيها، حيثُ إنَّه تناول الفرق بين بعض المرادفات وبين بعض مشتقات هذه المادَّة واستشهد على كُلِّ ذلك بشواهدَ مختلفةٍ، كما أنَّه أضاف مَعَانِيَ أخرى لم تُذْكَر سلفًا، ومن ذلك قوله: " تَمَثَّلَ إذَا أَنشَدَ بَيتًا ثُمَّ آخَرَ ثُمَّ آخَرَ... والمَثَلُ: الشَّيءُ الّذي يُضربُ لِشَيءٍ مثَلاً فيُجْعَلُ مِثْلُهُ، وفي الصِّحَاحِ: ما ضُرِبَ بِهِ من الأَمثَالِ، قال الجوهري: ومثَلُ الشَّيءِ صِفَتُهُ...[وفي] قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [سورة الفتح:29] أي صِفتُهم... ويقالُ تَمَثَّلَ فُلانٌ ضَرَبَ مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشَّيءِ ضَرَبَهُ مَثَلاً... وقد يكونُ المَثَلُ بمعنى العِبْرَةِ... ويكون المَثَلُ بمعنى الآيَةِ؛ قال عزَّ وجلَّ ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف:59] أي آيةً تَدُلُّ على نُبُوَّتِهِ "[2].

هذه هي أغلبُ المعاني التي ترتبط بأصل مادَّة (م ث ل) وبعضِ مشتقاتِها حسب ما يتعلَّق بهذا البحث، وإلاَّ فإنَّ هذه المادَّة لا تنحصر في هذه المعاني فقط، وإنَّ هذا الذي ذُكر لهو غيضٌ من فيضٍ ممَّا تناولته المعاجمُ العربيَّة حول هذه المادَّة، وقد اكتفينا بهذا اليسير لعلاقته بما نحن فيه.

---

[1] – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسم عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1419هـ/1998م، ج: 2، ص: 193

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د. سنة)، مج: 6، ص 4132 وما بعدها.

أمَّا فيما يخص المعاجم الحديثة[1] فهي لم تخرج عن الذي جاءت به المعاجم التُّراثية إلاَّ أنَّها سهلت العبارة واختصرتها واكتفت بالشَّواهد المُبسطة القليلَة.

وممَّا سبق يتضِحُ بأنَّ لمادَّةِ (م ث ل) معاني عديدة هذه المعاني منها ما جاء كمقابلٍ ومرادفٍ للمادَّة الأصليّة وذلك في سياقات مختلفة، ومنها ما أتى كمقابل لإحدى مشتقات هذه المادَّة؛ وهذه الكثرة في المعاني والمقابلات والمرادفات وكذا في اشتقاقات المادَّة كلُّ ذلك سيكون له دورٌ بارزٌ في بناء التَّعريف الاصطلاحي، وأوَّل ما سيظهر من ذلك كثرة تلك التَّعريفات.

وممَّا يستنتج من التَّعريف اللُّغوي لهذه المادَّة أنَّه غلب ظهور بعض المعاني على البعض الآخر ومن ذلك: الشَّبيه، والنَّظِير، والمُساوِي، والصِّفةُ، بالإضافة إلى الانتصاب، وكذا مصطلح الضَّرب؛ والمتأمل في هذه المصطلحات يلاحظ بأنَّ اللُّغويين يربطونها بمصطلح الأمثال كثيرًا؛ وسيتَّضح هذا الأمر أثناء تناولنا لتعريف الأمثال في اصطلاح العلماء.

ثانيًا: تعريف الأمثال اصطلاحًا:

قبلَ الشُّروعِ في تقديم التَّعريفات التي قيلت حول المَثَلِ في الاصطلاح والتَّعليق عليها وتحليلِها يجب أن نعرفَ أمرًا هامًا في هذا الباب، وهو أنَّ المثلَ في دراسته يتقاطع بين مجموعة من العلوم المختلفة، منها: علوم القرآن، وعلم البلاغة، والأدب، وغيرها؛ وتناول تعريفِ المَثَلِ في كُلِّ هذه العلوم على الوجه المطلوب شيءٌ ليس باليَسيرِ، ولكن سنأتي بالقدرِ الذي يخدمُ هذا البحث فما لا يُدْرَكُ كُلُّهُ لا يُتْرَكُ جُلُّهُ.

[1] – ينظر: [المعجم الوجيز، مجمع اللُّغة العربيَّة، القاهرة– مصر، ط 1، سنة: 1400هـ/1980م، ص 572] و[المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، القاهرة– مصر، ط 4، سنة: 1425هـ/2004م، ص 853]

أ/– تعريف الأمثال في بعض كتب التُّراث:

إنَّ الصُّورةَ التي عليها كتبُ التُّراثِ في تعاملها مع مفهومِ المثلِ هي نفسها التي وجدناها في المعاجم اللُّغوية، إلاَّ أنَّ هناك فُرُوقًا طَفِيفَة تعود إلى خروج مادَّة (م.ث.ل) من آفاقِ المعنى اللُّغوي إلى آفاقِ الاصطلاح.

فهذا صاحبُ (العقدِ الفريدِ) يُعرفُ الأمثالَ بقوله: " هي وَشْيُ الكَلامِ، وجوهرُ اللَّفظِ، وحَلْي المعاني، والتي تَخَيَّرَتهَا العربُ، وقدَّمَتهَا العجمُ، ونَطَقَ بها كُلِّ زَمَانٍ وعلى كُلِّ لِسَان، فهي أبقى من الشِّعرِ، وأشرفُ من الخَطَابَةِ، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَهَا، ولا عَمَّ عُمومَها حتى قِيْلَ: أَسْيَرُ من مَثَلٍ؛ وقال الشَّاعِرُ:

مَا أَنْتَ إلاَّ مَثَلٌ سَائِرُ *** يَعْرِفُهُ الجَاهِلُ والخَابِرُ"[1].

هذا التَّعريف لم يخرج فيه محمَّد بنُ عبدِ رَبِّهِ (ت:327هـ) عن مجردِ الوصفِ الذي يبقى من العموميَّات المُطلَقة، ولكنَّه ذكر صفةً بارزةً في الأمثالِ وهي كثرةُ المسيرِ، ولِيُبْرِزَ لَنَا هذه الصِّفة ومكانتها استشهدَ لنا بشاهِدَين؛ الأوَّلُ: مثلٌ وهو يحمل صِفةَ المبالغةِ، حيث جاء على صيغة (أَفعَلُ من)، والثَّاني: بيتٌ من الشِّعر يدلُّ على أنَّ الأمثال يعرفها العامّةُ من النَّاس والخاصَّة.

وأَحسنُ تعريفٍ نجده في هذه الفترة هو الذي ذهب إليه الفارابي(ت:350هـ) حين قال: " والمَثَلُ: ما تَرَاضَاهُ الخاصَّةُ والعامَّة في لفظِهِ ومعناهُ حتى ابتذلوهُ فيما بينهم، وفاهوا به في السَّراءِ والضَّراءِ، وَاستَدَرُّوا به المُتَمَنِّع من الدَّرِّ، وتَوصَّلُوا به إلى المَطَالِبِ القَصِيَّةِ، وَتَفَرَّجُوا به عن الكُرَبِ المُكْرِبَةِ،

[1] – أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربِّه الأندلسي، العقدُ الفريد ، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1404هـ/1983م، ج: 3، ص: 3

وهو من أَبلَغِ الحِكمَةِ، لأنَّ النَّاسَ لا يَجتَمِعُونَ على نَاقصٍ أو مُقَصِّرٍ في الجَودَةِ، أو غير مبالِغ في بُلُوغِ المَدَى في النَّفَاسَةِ "[1].

والذي جعلنا نحكم على هذا التَّعريف بأنَّه أحسن تعريفٍ في تلك الفترة – بالرَّغم من العموميَّات التي يشتمل عليها– ذلك لأنّه ذكر مسألةً مهمَّة وهي مسألةُ الإجماعِ، وثانيًا ربط المثل بكثرة التَّداول، وهما من أهم خصائص الأمثال، كما أنَّه تحدَّث عن التَّأثير النَّفسي للمثل وإنْ كان إشارةً عابرة دون تصريحٍ منه.

أمَّا المرزوقي (ت:421هـ) فإنَّه قال في تعريفه للمثل: " اعلم أنَّ المثلَ جُملةٌ من القولِ مقتضبةٌ من وُصَلِهَا، أو مُرْسَلَةٌ بذاتِها، تَتَّسِمُ بالقَبُولِ أو تَشْتَهِرُ بالتَّدَاوُلِ، فتنتقِلُ عَمَّا وردت فيه إلى كُلِّ ما يَصِحُّ قَصدُهُ بهِ مِن غَيرِ تَغيِيرٍ يَلْحَقُهَا في لَفْظِهَا، وَعَمَّا يُوجِبُهُ الظَّاهِرُ إلى أَشْبَاهِهِ من المَعَانِي، ولذلك تُضْرَبُ وإنْ جُهِلَتْ أَسبَابُهَا التي خَرَجَتْ عليها "[2].

إنَّ هذا التعريفَ هو أقرب التَّعريفات التي أجمعت عليها الدِّراساتُ الحديثة[3]، وفيه من الدِّقة في التَّعبير عن هذا المفهوم ما لا يتوفَّر حتَّى في بعض التَّعريفات الحديثة، فقد أشار فيه المرزوقي إلى مجموعة من النِّقاط والخصائص التي يقومُ عليها المثل؛ فذكر أنَّه قد يكون – أي المثل– في أصل الكلام فَيُنتَزَعُ من ثناياه أو يؤتى به مستقلاً، ومن صفاتهِ وخصائصه أنَّه مقبولٌ في معناهُ، متداولٌ

---

[1] – أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د. سنة)، ج: 1، ص: 74

[2] – أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي، شرح الفصيح لثعلب، تح: سليمان بن إبراهيم العايد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللُّغة العربيَّة، الرياض– السّعودية، ط 1، سنة 1435هـ/2014م، ص:297

[3] – عرِّف المثل في بعض الكتب المختصَّة بأنَّه: " **قولٌ موجزٌ سائرٌ، صائبُ المعنى، تشبَّهُ به حالةٌ حادِثَةٌ بحالةٍ سالفةٍ**"؛ ينظر شرح معنى هذا التَّعريف، ومعلومات المصدر المنقول عنه في الصَّفحة رقم: 19 من هذا البحث.

على الألسنة لأنَّه جُملةٌ بسيطة في مبناها، كما يَصِّحُ الاستشهادُ به في حالات أخرى توافق وتشابه الحالة الأولى التي ورد فيها، ويُتَمَثَّلُ به وإنْ لم يُعرف سياقه؛ فهذا التَّعريف جمع أغلب صفات المثل ولكنَّه يصدق على نوعٍ واحدٍ من أنواع المثل هو المثلُ الموجزُ.

أمَّا ابنُ رشيق القيرواني (ت:456هـ) فإنَّه قال عن المثل: " إنَّما سُمِّي مَثلاً لأنَّهُ ماثِلٌ لخاطِر الإنسانِ أبدًا، يتأسَّى بِهِ، ويعِظُ ويأمُر ويَزْجُرُ... وقال بعضهم: في المَثَلِ ثلاثُ خِلالٍ: إيجازُ اللَّفظِ، وإصَابَةُ المَعنَى، وحُسنُ التَّشبيهِ "[1].

هذا التَّعريف هو أقرب ما يكون إلى المعنى اللُّغوي منه إلى الاصطلاح، يشير فيه صاحبه إلى سببِ تسمِيَّة المَثَل مثلاً، وكذا النَّتِيجَة التي تتحقق من خلال الاستشهاد بالمثل، وفيما يُستَعمَلُ، والخِلالُ أو الصِّفاتُ التي يشتمِلُ عليها، أمَّا سبب تسمِيَّتِه بذلك فيعود- حسب هذا الرَّأي - إلى أنَّ الإنسانَ يبقى مَاثلاً أمامه أي قائما، ومُنتَصِبًا شَاخِصًا؛ وهي النَّتيجَةُ التي تتحقق من خلال المثل، وذلك بإعمالِ الفِكْرِ والتَّدَبُر فيه من جهةِ المتلقي لأنَّه حُجَةٌ بَالِغةٌ؛ أمَّا فيما يستعملُ فإنَّ المُلقي يأتي بالمثلِ في حديثه من أجل الوعظِ، والنُصح، والأمر، والنهي، وغيرها؛ وهذه لا نسلم بها على إطلاقها هذا، ذلك أنَّ المُلقي لا يستشهدُ بالمثل من أجل هذه الأمور في الغالب، وإنَّما يَعْمَدُ المُلْقِي إلى هذا اللَّون من فنون الكَلامِ من أجل الاحتجاج.

أمَّا الخِلالُ التي يشتملُ عليها المثل في هذا التَّعريف فهي: الإيجاز الذي يكون في اللَّفظ، والإصابَةُ التي تقترن بالمعنى، والحُسنُ الذي يشتمل عليه التَّشبِيه؛ ولا شكَّ في صِحَّةِ الصِّفَتينِ

[1] - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط 5، سنة: 1401هـ/1981م، ج: 1، ص: 280

الأولى والثَّانية، ولكن فيما يخص الصِّفة الثَّالثة (حسن التَّشبيه) فهي – على إطلاقها هذا – تحمل بعض اللُّبس وجبَ الوقوفُ عنده، فإنْ أراد بالتَّشبِيهِ هاهنا ذلك الذي يندرج تحت فروع علم البلاغة – أي علم البيان – فنحن لا نشاطره فيما ذهب إليه بدليل أنَّ الأمثالَ العربيِّة لم تأتِ كلُّها مبنيةً على هذا التَّشبيه، أمَّا إذا أراد بإطلاقه لهذه الصِّفة تشبيهَ حالةٍ ثانية بحالة سالفة لها كانت موجودة فهذا هو واقع الأمثالِ بالفعل.

ومن الذين عرَّفوا الأمثال بعد هؤلاء نجد القلقشندي (ت:821هـ) الذي تعرض في كتابه (صبح الأعشى في كتابة الإنشا) إلى ذكر حاجة الكاتب لمثل هذا اللَّون من ألوان التَّعبير أثناء كتاباته، ولمَّا جاء إلى تعريفها قال: " وأمَّا الأمثال الواردة نثرًا، فإنَّها كلماتٌ مختصرةٌ، تُورَدُ للدَّلالة على أمور كُليَّة مبسوطةٍ...وليس في كلامهم أَوجز منها؛ ولمَّا كانت كالرُّموز والإشارة التي يُلَوَّحُ بها على المعاني تَلويحًا صَارت من أوجزِ الكلامِ وأكثرِهِ اِختِصَارًا "[1].

فالقلقشندي تناول في تعريفه هذا نوعًا من أنواع الأمثال، وهي الأمثال النَّثريَّة، وقد أَكَّدَ على صِفَةٍ من صِفات المثل وهي الاختصار، كما أنَّه شبَّهها – أي الأمثال – بالرُّموز والإشارات، وجعل وجه الشَّبَهِ بينها في أنَّ كُلاًّ من الأمثال والرُّموز والإشارات يُلَوَّحُ بها إلى معانٍ خَفِيَّة ومُضْمَرَةٍ؛ ففي المثل تُحِيلُنَا تلك الكَلِمَاتُ المختصرةُ إلى الحَادِثَة أو القِصَّةِ التي قيل بسببها ذلك المثل، ولا شكَّ في صحة هذا الكلام، ولكنَّه أطلق وعمَّم ولم يقيد ما يجعل من كلامه هذا لا يصدق إلاَّ على النَّوع الذي قصده، وهو المثل المنثور، المختصر، الذي تكون معانيه مضمرة؛ ولكنَّ واقع

[1] – أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر، (د.ط)، سنة: 1340هـ/1922م، ج: 1، ص: 296

الأمثال يوحي بأمور أخرى، وهو يدرك هذه القَضِيَّة بالفعل، ونلمس ذلك من خلال قوله عن الأمثال: " ثم هي على ضربين: قَرِيْبِ الفَهمِ بِظُهُورِ مَعْنَاهُ، وَكَثْرَةِ دَوَرَانِهِ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَبَعِيدِ الفَهْمِ لخَفَائِهِ، وقِلَّةِ دَوَرَانِهِ بين النَّاسِ "[1] فجعل مِنَ الأمثالِ ما يُفهَمُ مُبَاشَرَةً دون الحاجة إلى شروط مساعدة، وعلَّل ذلك بكثرة دورانه وتداوله بين النَّاس.

هذا ما ورد في بعض كتب التُّراث عن تعريف المثل، وما يلاحظ من خلال هذه الأقوال والتَّعريفات أنَّها أوغلت في العموميَّات، وكان الغالب عليها إطلاق العبارة دون وضع قيود لها ذلك ما أدى إلى اللُّبس في بعض الأحيان؛ ولكن هناك من اللُّغويين من أصاب في تعريفه وقارب التَّعريف الذي وضعه أصحاب الدِّراسات الحديثة؛ كما غلب على تعريفات القدامى النظرُ إلى الأمثالِ من النَّاحية البلاغيَّة، فذكروا الصِّفات البلاغية التي يشتمل عليها المثل، مِمَّا يدلنا على عظيم شأن هذه الأمثال ومكانتها عند العلماء القدامى.

ب/– تعريف الأمثال في بعض كتب الأمثال:

لقد اطَّلعنا على بعض الكتب التُّراثية وعلمنا كيف هي طريقة تعاملها مع مفهوم المثل، فإذا ما جئنا إلى الكتب التي جمعت الأمثال فإنَّ الغالب على أصحابها أنَّهم لا يُنَظِّرُونَ لهذا اللَّون من التَّعبير إلاَّ ثُلَّةً [2] قليلة لا تكادُ تبرز، فنحن لا نجد في كتبهم الحديث عن الأمثال إلاَّ في الخطبة

[1] – أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج: 1، ص: 297

[2] – وفيما نعلم الوحيد الذي تناول الأمثال بشيء من التَّنظير وخصَّ لذلك فصلاً كاملا هو الحسن اليوسي (ت:1102هـ)، حيث عالج المعنى اللُّغوي للمثل بشكل مسهب، وذلك في كتابه: (زهر الأكم في الأمثال والحكم).

أو المقدِّمة التي ننقل منها بعض التَّعريفات، وهي في الغالب لا تكون مُحكمة، وإنَّ الشَّائع في هذه التَّعريفات هو زخرفة القول وسجع الكلمات ذلك ما يُؤدِّي إلى اللُّبس في المعنى أحيانًا.

نستهل الحديث عن تعريف المثل في الكتب التي جمعت الأمثال بكتاب (الأمثال) لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام (ت: 224هـ) حيث عرَّف الأمثال بقوله: " هي حكمةُ العربِ في الجاهِلِيَّة والإسلَامِ، وبها كانت تُعَارِضُ كَلَامَها، فَتَبْلُغُ بها ما حَاوَلَت من حَاجَاتِهَا في المَنْطِقِ، بِكِنَايَةٍ غَيرِ تَصرِيحٍ "[1].

الأمثال حسب هذا التَّعريف هي الحكمة النَّاتجة عن التَّجربة المكتسبة من واقع الحياة، والعرب تتحدث بهذه التَّجارب وتتناقلها بين الأجيال من أجل غايات وأهداف، وقد جعل عُبيد القاسم بن سلَّام من الأمثال حكمة العرب ولا شكَّ في وجود فرق بين الحِكَمِ والأمثال، وسيأتي الحديث عن هذه النُّقطة في مكانها.

أمَّا قول ابن سلَّام: (بكناية غير تصريح) ففي هذا نظر، فإن كان يقصدُ بذلك أنَّ الأمثال يعبَّرُ عنها بطريقة غير مباشرة فهذا وجهٌ مقبولٌ وسديد، ولكن ليس على الإطلاق، أمَّا إذا أراد بذلك الكنايَةَ بمعناها المعروف في علم البلاغة –أي المفهوم الاصطلاحي– فهذا مردودٌ لأنَّ الأمثال ليست كلُّها مبنية على الكنايات، فمن الأمثال ما جاء على التَّشبيه، والتَّمثيل، والاستعارة، وغيرها من الأساليب، ومنها ما جاء–أي الأمثال– جافًا خاليًا من هذه الأساليب.

والرَّاجح أنَّه يقصد الوجه الأوَّل بدلالة قوله: (وَبِهَا كَانَت تُعَارِضُ كَلَامَهَا) فقوله: (تُعَارِضُ) هذا يدلُّ على وجودِ تحفظٍ وعدم تصريحٍ من قبل المُسْتَشْهِدِ بالمثل، ذلك أنَّ التَّعريض في

[1] – أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تح: عبد المجيد قطاش، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت ، ط 1، سنة: 1400هـ/1980م، ص: 34

الكـلام هـو: " ما يُفْهم به السَّـامِعَ مُرَاده من غير تصريحٍ "[1] والتَّعريضُ ضربٌ من ضروبِ الكِنَايَةِ حسب بعض التَّقسيمات، وهذه الصِّفة –عدم التَّصريح– قد جاءت في كثير من الأمثال، وَلِفَهمِ الأمثال التي جاءت مبنية على ذلك يجب أن تتوفَّر مجموعة من شروطِ، أهمُّها معرفة قصة وحادثة المثل.

ثاني تعريف نجدهُ في كتب الأمثال هو لصاحب كتاب (الدُّرة الفاخرة في الأمثال السَّائرة) حيث يقول في خطبة الكتاب: " هِيَ أَكثَرُ مَا يَجرِي مِنْهَا عَلَى أَلْسُنِ الفُصَحَاءِ، وَيَخْتَلِطُ بخِطَابِ البُلَغَاءِ، وَيدْخُلُ في نَوَادِرِ الأُدَبَاءِ وَبَدَائِعِ الشُّعَرَاءِ "[2]؛ فهذا كلامٌ عامٌ بعيدٌ عن الاصطلاح، فحمزة الأصبهاني (ت:351ه) يتناول الأمثال من جهة الفصاحة والبلاغة التي تشتمل عليها، ولكنَّه يشير إلى فكرة مهمَّة تتمثل في انتشار هذه الأمثال بين أصنافٍ كثيرة من النَّاس وقد خصَّ بالذكر الفصحاء والأدباء والشُّعراء، وهؤلاء هم الخاصَّة من النَّاس وقد مرَّ بنا قبل قليل أنَّ المَثَل ما تَرَاضَاهُ الخاصَّةُ والعامَّةُ على سواء.

وبعد حمزة الأصبهانيّ نجد أنَّ أبا هلالٍ العسكريّ (المتوفى نحو:395ه) قد أدراك عظيم شأن الأمثال وأهمِّيتها ومكانتها في اللِّسان العربي، ونلمس هذا من خلال قوله: " والأَمثَالُ –أَيضًا– نَوعٌ مِن العِلْمِ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ "[3] حيث جعل من الأمثال علمًا له خصوصيتُه التي يتفرد بها عن سائر

---

[1] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 56

[2] – حمزة بن الحسن الأصبهاني، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح: عبد المجيد قطاش، دار المعارف، القاهرة– مصر، (د.ط)، (د. ت)، ج: 1، ص: 55

[3] – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، ض: أحمد عبد السَّلام، تخ: أبو هاجر محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1408ه/1988م، ج: 1، ص: 10

العلوم الأخرى؛ ولكنَّه – أي العسكريّ – في تعريفه للمثل نجده يدور في فلك الأوَّلين، حيث لم يأتِ بالجديد، فهو يصف الأمثال بقوله: " هِيَ مِنْ أَجَلِّ الكَلَامِ وأنبلِهِ، وأشرفِهِ وأفضلِهِ، لِقِلَّةِ ألفاظِها، وكثرةِ مَعَانِيْهَا، وَيَسِيْرِ مَؤُونَتِها على المُتَكَلِّمِ، مَعَ كَبِيْرِ عِنَايتِها، وَجَسِيمِ عائِدَتِها "[1]؛ فهذا القول يثبت ويؤكِّد ما ذهب إليه السَّابقون من أنَّ الأمثال تأتي موجزة اللَّفظ، مغمورة بالمعاني، يَستشهدُ بها المُتَكَلِّمُ ويحتجُّ، لأنَّها تتركُ أثَرًا في المُتَلَقِّي؛ وقد ذهب أبو هلالٍ العسكريّ إلى القول بأنَّ أصل الاشتقاق في المَثَلِ يعود إلى التَّمَاثُلِ بين الشَّيئين، يقصد بذلك: أنَّنا نستشهدُ ونَحتجُّ بالأمثال من أجل إثبات صفة التَّماثل والتّشابه بين مَضرِبِ المَثَلِ ومَورِدِهِ الأصلي أي: تشبيه الحالة الثَّانية (وهي المضرب) بالحالة الأولى (المَورد).

أمَّا الميدانيّ (ت:518هـ) فإنَّه نقل في مقدِّمة كتابه[2] مجموعة من التَّعريفات التي قالها العلماء الذين سبقوه منهم ابن السكيت (ت:244هـ)، والمبرد (ت:285هـ)، وغيرهما، وبعد انتهائه من نقل هذه الأقوال أعطى رأيه ولكنَّه لم يخرج عن مجرد البحث في المعنى اللُّغوي للمثل، وهو بعيدٌ كُلَّ البعدِ عن التَّعريف الاصطلاحي.

وبعد هؤلاء العلماء نجد أنَّ الزمخشري (ت:538هـ) يقول عن الأمثال: " هي قُصَارى فَصَاحَة العَرَبِ العَرَبَاء، وجَوَامع كَلِمِهَا، ونَوَادِرِ حِكَمِهَا، وَبِيضَةِ مَنطِقِهَا، وزُبدَةِ حِوارها، وبَلَاغَتِهَا التي أَعرَبت بها عن القَرائِحِ السَّليمةِ والركن البديعِ إلى ذرابةِ اللِّسانِ وغَرَابَةِ اللُّسنِ، حيث أوجزتِ اللَّفظَ فأشبعَتِ المعنى، وقَصَّرَتِ العبارةَ فأطالتِ المغزى، ولَوَّحت فأغرَقَت في التَّصريحِ، وكَنَّت فأَغنَت

[1] – أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 10

[2] – أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د.ط) سنة: 1374هـ/1955م، ج 1، ص: 5-6

عن الإفصَاحِ "[1]؛ فهذا التَّعـريف تناول الأمثال من جهة فصاحتها، وبلاغتها، وحسن المنطق فيها، والبديع المشتملة عليه، وإيجاز ألفاظها، وغزارة معانيها، والتَّصريح، والإفصاح، وغيرها؛ وكما يلاحظ نحن إلى الآن في العموميَّات التي يغلب عليها ذكر خصائص المثل والهدف منه دون التَّطرق إلى المفهوم الاصطلاحي المباشر، بالإضافة إلى أنَّ هذه العموميَّات تحمل الكثير من الألفاظ والمعاني المشتملة على بعض اللُّبس والخلطِ وعدم التَّفريق في بعض الأحيان.

وفي مرحلة أخرى من مراحل التَّصنيف في الأمثال يبرز لنا كتاب (زهر الأكم في الأمثال والحكم) للحسن اليوسي (ت:1102هـ) الذي عرَّف الأمثال قائلاً: " هي زمامُ كلِّ معنى، ومناطُ كلِّ مبنى، ومنارُ كلِّ مرمى، ومصباحُ كلِّ ظَلْمَا، وبها يرتاضُ كلُّ جَموحٍ، ويصبِحُ المُنبهمُ ذا وضُوح، وبها يعودُ الغائبُ مشهودًا، بَلِ المعدومُ موجودًا "[2].

يتضح لنا من خلال هذا التَّعريف أنَّ صاحبه لم يأت بالجديد، وإنَّما غير في اللَّفظ والعبارة وأبقى على المعنى المتداول الذي ذكره السَّابقون، ولكنَّه أشار إلى أنَّ الذي قال المثل أو الذي قيل فيه مثلٌ من الأمثال يصبح بعد غيابه حاضرًا يريدُ من هذا أنَّ حضوره يكون بذكره وتناول أخباره.

---

[1] – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، تح: دار المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 2، سنة: 1408هـ/1987م، ج: 1، ص: ب–ج

[2] – أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء– المغرب، ط 1، سنة: 1401هـ/1981م، ج: 1، ص: 13

وفي موضع آخر نجده يتحدَّث عن بعض معاني المثل، وذكر بأنَّه يأتي بمعنى (الشَّبيه)، و(الصِّفة)، وهما من المعاني اللُّغوية التي ذكرت في المعاجم، أمَّا المعنى الثَّالث فهو أقرب ما يكون إلى المعنى الاصطلاحي، وهو: " القَوْلُ السَّائِرُ المُشَبَّهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرِدِهِ "[1].

وبعد ذلك نقل بعض تعريفات السَّابقين، منها ما قام بشرحه، ومنها ما أتى به كما هو دون أنْ يعقِّب عليه، ليخلص في الأخير بتعريف له؛ قال في ذلك: " وَتَلْخِيْصُ القَوْلِ – فِيْ هَذَا المَقَامِ – أَنَّ المَثَلَ هُوَ قَوْلٌ يَرِدُ أوَّلاً لِسَبَبٍ خَاصٍّ، ثم يتعدَّاه إلى أشباهه فَيُسْتَعْمَلُ فيها شَائِعًا ذَائِعًا على وجه تشبيهها بالمورد الأوَّل "[2]؛ ما يلاحظ من خلال هذا التَّعريف أنَّ الحسنَ اليوسي تبنَّى فيه المعنى الأوَّل الذي ذكره وهو التّشبيه، حيث أكَّد أنَّ معنى التَّشبيه في المثل هو: تشبيهُ حالةٍ ثانيةٍ بحالةٍ أخرى كانت موجودة، وأنَّ المثلَ أوَّلَ ما أرسلَ كان لسببٍ خاصٍّ ثم نقلَ إلى كلِّ ما يشابهُهُ.

وقد ذكرَ الحسنُ اليوسي في مسألةِ التَّشبيهِ نقطة مُهمَّة مفادها: أنَّ التَّشبيهَ في الأمثالِ (حَالَ الاِستِعمَالِ) يأتي على ضربين؛ الأوَّل: أمثالٌ التَّشبيه فيها صريح، والثاني: أمثالٌ لا يكون التَّشبيه فيها صريحًا، وقد حكم على الأوَّل بأنَّه كثيرٌ في الاستعمال، أمَّا الثَّاني فحكم عليه بأنَّه الأكثر.

هذا ما تيسر جمعه من الكتب التي صُنِّفَت في جمع الأمثال، والأمر الذي يستنتج منها: أنَّ أصحابها وإن صنَّفوا في الأمثال وجعلوها خاصَّة لهذا الغرض إلاَّ أنَّهم لم يعطوها حقَّها من التَّنظير المُبين لمكانتها وعظيم شأنها في اللِّسان العربي، بل وصل الأمر عند بعضهم إلى إطلاق العبارة ما ينجر عن ذلك لُبْسٌ وشُبْهَةٌ في فهم المقصود، ولعلَّ سبب عدم تنظيرهم لهذا العلم يرجع إلى

---

[1] – الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج: 1، ص: 19

[2] – المصدر نفسه، ص: 21

اشتغالهم بجمع مادَّة هذا العلم – وهي الأمثال – وشرحها، وتفسيرها، وسرد قصصها، حالهم في ذلك حال أصحاب المعاجم.

ج/– تعريف الأمثال في بعض كتب المحدَثين:

لقد تتبَّعنا جملة من كتب المحدَثين الذين تناولوا الأمثال بالتَّعريف فوجدنا بأنَّها لا تخرج عن إحدى ثلاث في تعريفاتها؛ وهي:

- **أوَّلاً:** كتبٌ نقل أصحابها آراء العلماء الأوائل وأقوالهم دون تنقيحٍ لها ولا تحليل ولا تعليق عليها، بل سلَّمت بكل ما جاء فيها من غثٍّ وسمين، وهي كتبٌ الغالبُ عليها الطَّابعُ التِّجاري.
- **ثانيًا:** كتبٌ تتبَّعت أقوال العلماء الأوائل واستنبطت منها تعريفات، أو استحدثت تعريفات من عندها، لكنَّها وقعت في نفس ما وقع فيه أولئك من اللُّبس تَارَةً والخلط بين المفاهيم تارة أخرى، والعجيب في الأمر هنا أنَّ الذي وقع في هذه الأمور هي بعض الكتب المختصَّة بالاصطلاح.
- **ثالثًا:** كتبٌ قامَ أصحابها باستقراء آراء العلماء ونقَّحوها، وعلَّقوا عليها، وصوَّبوا الخطأ فيها، وأزالوا اللُّبس عن بعضها، وهي الكتب المختصَّة، وهي قليلةٌ جدًّا، بل نادرةٌ.

وسيتَّضِحُ هذا الذي ذكرناه بعد تناولنا لتعريف المثل في هذه الكتب؛ فأوَّلُ ما يصادفنا من هذه الكتب كتاب المستشرق الألماني ردولف زلهايم (ولد: 1349هـ)، فهذا المستشرق وبعد نقله لمجموعة من الأقوال التي تتحدَّث عن الأمثال – أخذها من بعض المصادر العربيَّة – أردف كُلَّ

ذلك برأيه فقال: " يتحقَّق معنى المثل ومفهومه، في اعتبار[1] إحدى خبرات الحياة، التي تَحْدُثُ كثيرًا في أجيالٍ متكررة، مُمَثِلَةٍ لكلِّ الحالات الأخرى المماثلة، فالمثل ليس تعبيرًا لغويًا في شكل جملة تجريديَّة مصيبة، تنصبُّ على كُلِّ حالة على سواء؛ لأنَّ هذه الصِّياغة الفكريَّة، تخرج عن القدرة التَّجريديَّة للشعب البدائي "[2].

ربط هذا المستشرقُ الأمثالَ بخبرات الحياة، كما أقرَّ بأنَّنا يمكن أن نستشهدَ بها في حالات مماثلة للحالةِ التي وردت عنها، لكنَّه أنكر صفة التَّجريد عن المثل، فهو بهذا يُخالِفُ العلماءَ الأوائل لمَّا ذهبوا إلى القول بأنَّ الأمثالَ تأتي في صِيغَةِ كنايةٍ غير مصرَّحٍ بها، بل يُعطِيهَا صفة الوضوح ويُؤكِّدُها، ودليله في ذلك أنَّ الذي قال هذه الأمثالَ هو شعبٌ بدائيٌّ عاجزٌ عن التَّجريد.

وهذا بلا شكٍّ مخالفٌ لما عليه واقعُ الأمثالِ؛ فمن الأمثال ما له صفة الغموضِ، وتكون مجردة لا تُدرَكُ إلاَّ بالذِّهن وإعمال العقل فيها، مع وجوب تَوفُّرِ جملة من الشُّروطِ لعلَّ أهمَّها: معرفة المناسبة التـي قيلت فيها هذه الأمثال وقِصَصِهَا، وقـد أدركَ أبو هلال العسكريّ هـذه القضية فقـال: " وَلَيسَ مَنْ حَفِظَ صَدْرًا مِنَ الغَرِيْبِ فَقَامَ بِتَفْسِيْرِ قَصِيْدَةٍ، وكَشْفِ أَغرَاضِ رسالةٍ أو خُطبَةٍ، قادِرًا على أنْ يقُومَ بِشَرْحِ الأمثالِ والإبَانَةِ عن مَعَانِيهَا، والإخبَارِ عن المَقَاصِدِ فِيهَا؛ وإنَّمَا يَحْتَاجُ الرَّجُلُ في مَعرفَتِها مع العِلْمِ بالغَرِيبِ إلى الوقُوفِ على أُصُولِهَا والإحَاطَةِ بأَحَادِيثِهَا "[3].

---

[1]– كُتِبَت هكذا في الأصل، والصَّحيح إضافة حرف (الهاء) العائد على المثل لتصبحَ : " في اعتباره ".

[2] – رودلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد (209هـ)، تر: رمضان عبد التَّواب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1319هـ/ 1971م، ص: 27

[3] – جمهرةِ الأمثال، ج: 1، ص 10

فهذا دليل على أنَّ من الأمثالَ ما لا يُدرك ولا يُفهم ولا يُتوصَّلُ إلى معناه والغرضِ منه إلاَّ بِتَوَفُّرِ مجموعة من الشُّرُوطِ المساعدةِ، فلو كانت واضحةً بالفعلِ لَمَا احتجنا إلى هذه الشُّروط المساعدة؛ وهذا لا يعني أنَّ الأمثال كلَّها مجردة وغامضة كما ذهبَ إلى ذلك بعضُ المُتَقَدِّمِينَ، بل فيها من هذا ومن ذاك، وقد تفطَّنَ لهذا القلقشندي فقال عن الأمثال: " ثم هي على ضربين: قريبُ الفهم بظهور معناهُ، وكثرةُ دورانه بين النَّاس؛ وبعيدُ الفهمِ لخفائهِ، وقِلَةِ دورانه بين النَّاس "[1]؛ فقد جعل من أسباب خفاء معنى المثل قِلَّةُ دورانه بين النَّاس؛ وهناك أسبابٌ أخرى.

وبالعودة إلى تعريف المثل فإنَّنا نجد صاحب (المعجم الأدبي) قد عرَّفه على أنَّه: " حِكَايَةٌ في غَايَةِ الإيجَازِ تُروَى على لِسَانِ حَيوَانٍ أو جَمَادٍ، ويَكُونُ لَهَا مَغْزَى إِصْلَاحِي أو خُلُقِي، كَمَا جَاءَ فِيْ (كَلِيلَة ودِمنَة) لابنِ المُقَفَّع "[2].

وإلـــى هذا ذهب صَاحِبَا (المعجم المفصـَّل في اللُّغــة والأدب) حِينَ عَرَّفا المثلَ بقولِـــهما: " المثلُ: حِكَـايَةٌ مُوجَـــزَةٌ بَسِيطَـةٌ، رَمـزِيَّةٌ فـي الغَالـِبِ، وهـِيَ ذَاتُ مَغْزَى أَخـــلَاقِي، وَقَــدْ تَكُــونُ عَلَــى لِسَــانِ الحَيــوَانَاتِ، كَمَـا فـــي كتـــاب ابـن المُقَـفَّـع (كليلة ودمنة) "[3].

أُنظُرْ إلى هذا اللُّبس الموجود في ثنايا هذين التَّعريفين؛ حيثُ جُعِلَ من المثلِ حِكَايةً وفي الوقت نفسه هي مُوجَزَةٌ، ومُثِّلَ لهذا بقصَّةِ (كليلة ودمنة) وهي من القصص الرَّمزية التي تُحكَى

---

[1] – صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج: 1، ص: 297

[2] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط 2، سنة: 1415هـ/1984م، ص:236

[3] – إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط1، سنة: 1408هـ/1987م، مج: 2، ص 1115

على أَلسِنَةِ الحيوانات والطُّيور، وغَايَةُ ما فيها أنَّ لها هَدَفًا من ذلك السَّردِ فِيمَا يُسمَّى: بالمغزى؛ فإن أراد أصحابُ هذين التَّعريفين الإشارة إلى هذا المغزى على أنَّه هو المثل الذي يضرب فإنَّه وجهٌ مقبولٌ، وإن أرادوا بعض الألفاظِ التي تأتي في أطوارِ ذلكَ السَّرد فتنتزع وتُتَّخَذُ أمثالاً تُضرَبُ فهذا وجهٌ مقبولٌ أيضًا، أمَّا إذا أرادوا بذلك الحِكَايَةَ برُمَّتِها فهذا مِمَّا لا يستساغُ بالرَّغم من أنَّ بعض الباحثين المحدثين عدَّ الحكايَّة ككُلٍّ مَثَلاً وأدرجها ضمن نوع الأَمثالِ القِيَاسيَّة[1].

والذي جعلنا نذهب هذا المذهب أنَّنا إذا رجعنا إلى الكتب التي جمعت الأمثال لا نجدهم يجعلون من الحكايات برمَّتِها أمثالاً تضرب؛ وإنَّما يكتفون بالمغزى تارةً، وببعض الألفاظ الموجزة تارةً أخرى.

وبالانتقال إلى الكتب المختصَّة بالبحث في الأمثال وما يتعلق بها فإنَّنا نجد أصحابها قد اصطلحوا على تعريف المثل بأنَّه: " قولٌ موجزٌ سائرٌ، صائبُ المعنى، تشبَّهُ به حالةٌ حادِثَةٌ بحالةٍ سَالِفَةٍ "[2]؛ فبما أنَّ هذا التَّعريف هو الذي اصطلحت عليه الكتب المختصَّة وجب الوقوف عنده بشيء من التَّحليل والتَّعليق.

فقوله: (قولٌ موجزٌ) أثبت أنَّ المثلَ يكون شفهيًّا، وهو موجزٌ؛ أي أنَّ مبانيهِ تكون قليلةً مختصرةً، فمن خلال هذه الصِّفة يخرج كل ما ليس بموجز، مثل: الحِكَايَة، والحِكَم والأقوال المأثورة الطِّوال، والأمثالِ القِياسيَّة لأنَّها سردٌ.

---

[1] – **الأمثال القياسية:** هي نوع من أنواع الأمثال وعُرِّفَت بأنَّها "**سردٌ وصفيٌّ أو قصصِيٌّ يستهدف توضيح فكرة ما، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة والقياس** "؛ ينظر: ص:53 من هذا البحث.

[2] – عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق– سورية، ط1، سنة: 1408هـ/1988م، ص: 11

أمَّا قوله: (سائرٌ) فهذا شرطٌ يدلُّ على أنَّ القول وإن كان موجزًا وهو لا يتَّصِفُ بكثرة (السَّير) بين الألسنة لا يُعَدُّ مثلاً؛ فالحِكَمُ الموجزةُ، والأقوالُ المأثورةُ، إن اجتمعَ فيها الشَّرطُ السَّابقُ مع كثرة التَّداولِ والسَّيرِ بين النَّاس فهي من قبيلِ الأمثالِ، قال أبو هلال العسكريّ: " ثمَّ جُعِلَ كلُّ حِكمةٍ سائرةٍ مثلاً، وقد يأتي القائلُ بما يَحْسُنُ أن يُتَمثَّلَ بهِ؛ إلاَّ أنَّه لا يتَّفقُ أن يسير فلا يكونُ مَثَلاً "[1].

وعن قوله: (صائبُ المعنى) هذا يثبتُ أنَّ الحكمة الموجزة السَّائرة والأقوال المأثورة هي من قبيل الأمثال، لأنَّ الحكم والأقوال السَّائرة هي غاية إصابة المعاني والدِّقة.

أمَّا قولهُ: (تشبَّهُ به حالةٌ حادِثَةٌ بحالةٍ سالفةٍ) فهذا يدلُّ على أنَّ الأصل في المثل تشبيهُ حالةِ مضربه بحالةِ مورده، أو بعبارة أخرى: تشبيهُ حالة ثانية حادثة ومتجددة بحالةٍ أولى كانت موجودة وهي الحالة التي أطلق فيها المثلُ أوَّلاً؛ فيفهم من هذا أنَّ الحكمة الموجزة والأقوال المأثورة وأشباههما إذا لم يتوفر فيها هذا الشَّرط فهي خارجة عن الأمثال؛ والتَّفصيل في الفرق بين هذه الأنماط التَّعبيريَّة وبين الأمثال سيأتي ذكره بعد قليل.

وفي ختام هذه النُّقطة –أي تعريف المثل في بعض كتب المحدثين– نستخلص نتيجة مفادها: أنَّه لا وجودَ لتعريفٍ جامعٍ مانعٍ للمثل، وإنَّما هي تعريفاتٌ جزئيةٌ إنْ صدقت على بعض أنواع المثل فإنَّها لا تصدقُ على البقيَّة الباقية، وسبب هذا يعودُ إلى أمرين هما:

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص 11

- **الأمر الأوَّل**: توسط الأمثال بين مجموعة من العلوم أبرزها علم البلاغة والأدب، فكل واحد من أصحاب هذه العلوم له زاوية ينظر من خلالها إلى هذا الشَّكل من أشكال التَّعبير.
- **الأمر الثَّاني**: كثرة الأمثال؛ وهذا هو السَّبب الرَّئيسي في هذا الاختلاف، إذْ من الصَّعب الاصطلاح على تعريف واحد يجمع كُلَّ أنواع المثل على اختلافها وتمايزها.

ومـــن أهم مـــا يستخلص مـــن هذا المبحث مـــا يلـــي:

1- اتَّفق القدامى والمحدثون على أنَّ الأمثال هي أقوالٌ موجزة صائبةُ المعنى.

2- الأصلُ في الأمثال الحكاية؛ أي تضربُ على ما جاءت عن العرب، ولا تُغيَّر صيغتُها.

3- الأمثال تضربُ في حالات ومواقف متجدِّدة تشابه الحالة الأولى التي وردت عنها وتماثلها.

4- من الأمثال ما يكون جَلِيًّا واضحًا يفهم من ظاهره، ومنها ما يكون غامضًا لا يدركُ إلا بتوفُّر شروطٍ لذلك.

5- من أبرز صفات الأمثال أنَّها تتَّصف بكثرة (السَّير والتَّداول) بين النَّاس، وهو مقياسٌ يحكم من خلاله على ما يندرج تحت مُسمَّى الأمثال وما لا يندرج.

6- تختلط الأمثال بمجموعة من التَّعابير المقاربة لها في الاستعمال؛ وهذه النُّقطة هي التي سيكون حديثنا عنها في المبحث التَّالي.

الفصل الأوَّل

المبحث الثَّاني : بيـــن المثل وغيـــره مـن أنمـــاط التَّعبير

المبحث الثَّاني : بين المثل وغيره من أنماط التَّعبير

لقد لاحظنا فيما سبق أنَّ مفهوم المثل يتداخل مع بعض أنماط التَّعبير الأخرى، لذا وجب التَّفريق بين هذا المفهوم وبين تلك الضُّروب من فنون القول والتَّعبير، وذلك منعًا للُّبس والخلط فيما بينها.

أولاً: بين المثل والحكمة:

لعلَّ أوَّلَ مصطلح يكثر الخلط بينه وبين مفهوم المثل هو مصطلح (الحكمة)، فما الحدود الفاصلة بين هذين المصطلحين، وما العلاقة بينهما؟

في طريقنا للبحث عن إجابة لهذا السُّؤال نُصَدِّرُ كلامنا بتعريفٍ للحكمة لندرك ماهيَّتها ولنبني على هذا التَّعريف إجابتنا.

1- تعريف الحكمة:

أ- تعريف الحكمة لغة: للحكمة في اللغةِ معانٍ كثيرة؛ ولكنَّ المتتبع للمعاجم اللُّغويةِ سيلاحظ بأنَّ أشهرها ثلاث؛ وهي:

1-الحكمةُ بمعنى المَنْع:

قال ابن دريد (ت:321هـ): " أحكَمتُ الرَّجُلَ وحكَّمتهُ عن كذا وكذا أي مَنَعتُهُ عَنهُ، قال أبو حاتم[(ت:248هـ)]: قال الأصمعيّ[(ت:216هـ)]: قَرَأتُ فِي بَعضِ كُتُبِ الخُلَفَاءِ الأُوَلِ:

فَأَحْكِمْ بَنِي فُلَانٍ عَن كذا وكذا أَي اِمْنَعْهُم "[1]، وقال العسكريّ: " والحُكمُ يَقتَضِي المَنْعَ عَنِ الخُصُومَةِ، مِنْ قَولِكَ: (أَحْكَمْتُهُ) إِذَا مَنَعْتَهُ؛ قَال الشَّاعرُ:

أَبَنِيْ حَنِيْفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُم *** إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُم أَنْ أَغْضَبَا "[2]

2- **الحكمة بمعنى العِلم:**

قال الجوهري (ت:393هـ): " الحِكمَةُ مِنَ العِلْمِ؛ والحَكِيمُ: العَالِمُ، وَصَاحِبُ الحِكْمَةِ "[3].

3- الحكمة بمعنى الإتقان:

قال ابن منظور: " الحَكِيمُ ذو الحِكمَةِ... وَيُقَالُ لِمَن يُحسِنُ دَقَائِقَ الصِّنَاعَاتِ وَيُتقِنُهَا: حَكِيمٌ... وَقَدْ سَمَّى الأَعشَى القَصِيْدَةَ المُحْكَمَةَ حَكِيْمَةً فَقَالَ:

وَغَرِيبَةٍ تَأْتِي المُلُوكَ حَكِيْمَة *** قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَها؟ "[4]

هذا فيما يخصُّ المعنى اللُّغوي للحكمة، وسنلحظ – فيما يأتي – بروز هذه المعاني في بناء التَّعريف الاصطلاحي.

---

[1] – أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1408هـ/1987م، ج: 1، ص 564

[2] – أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1422هـ/2002م، ص: 327

[3] – إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط 4، سنة: 1411هـ/1990م، ج: 5، ص: 1901

[4] – لسان العرب، مج: 2، ص: 952

ب- تعريف الحكمة اصطلاحًا:

تعريف الحكمة في اصطلاح العلماء حالها حال الأمثال، فهي متشعبة وكثيرة، لكونها هي بدورها تتقاطع بين جملة من العلوم المختلفة؛ ومن التَّعريفات التي نجدها نذكر:

عُرِّفَتِ الحكمةُ بأنَّها: " إِصَابَةُ الحَقِّ بِالعِلمِ وَالعَقلِ، فَالحِكمَةُ مِنَ اللهِ تعالى مَعرِفَةُ الأَشيَاءِ وَإيجَادُهَا عَلَى غَايَةِ الإِحكَامِ، وَمِنَ الإنسَانِ مَعرِفَةُ المَوجُودَات وَفِعلُ الخَيرَات "[1] الملاحظ على هذا التَّعريف أنَّه قرن بين العلم والعمل المتقن والنَّافع.

قال الفارابي: " الحِكمَةُ أَنْ يَكُونَ صُنعٌ كَامِنٌ في مَصنُوعٍ فَيُستَنبَطُ، فَيُودَع لَفظَةً تَشتَمِلُ عَلَيهِ "[2]؛ فهي هنا بمعنى معرفة الشَّيء على ما هو عليه، والتَّعبير عنه بما يناسبه من اللَّفظ، فهذا يدلُّ على أنَّ صاحب الحِكمةِ كثيرُ التَّأمُّلِ لواقعه متمكِّنٌ في تعبيراته، بحيث يدرك ذلك الواقع ويعبر عنه بكلمات قليلات صائبة المعنى.

وقد قال البغويّ في تعريفها ناقلاً عن أبي نجيح (ت:131هـ) هي: " الإِصَابَةُ فِيْ القَوْلِ والعَمَلِ "[3]؛ قرن صاحب هذا التَّعريف الحكمة بالقول والعمل، بل وَتَعَدَّى مجرد ذلك فاشترط الإصابة كشرط لا غنى عنه.

---

[1] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمَّد سعيد كيلاني، (د.د)، (د.ب)، (د.ط)، (د.سنة)، ص 127

[2] – ديوان الأدب، ص 74

[3] – أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغويّ (معالم التَّنزيل)، تح: محمَّد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض– السعودية، (د.ط) سنة: 1409هـ/1988م، ج: 1، ص: 334

أمَّا عن تعريفها عند المُحدَثِينَ فقد عرَّفها بعضهم بقوله: " إنَّ المُرَادَ بِهَا تِلكَ العِبَارَة التَّجرِيدِيَّة التِّي تُصِيبُ المَعنَى الصَّحِيح وتُعَبِّرُ عَنْ تَجرِبَةِ الحَياة أو خِبْرَةٍ مِن خَبَرَاتِهَا ويكــونُ هَدَفُهَا عَادَةً المَوعِظَـةُ والنَّصِيحَةُ "[1] وقد وافق ما جــاء به محمـد توفيــق أبو علي (ت:1374هـ) بعض ما في هذا التَّعريف، وذلك حين قال: " الحِكمَةُ عُصَارَةُ خِبْرَةٍ في الحَيَاةِ وَفَهمٍ لأَسرَارِهَا، يُدَبِّجُهَا ذِهنٌ ذَكِيٌ فَطِنٌ "[2].

في هذين التَّعريفين تقييدٌ لمعنى الحكمة، ذلك أنَّ أصحاب هذين التَّعريفين ربطوا الحكمة بالقول فقط، وهي عندهم مُتَّصفة بإصابة المعنى، مردُ ذلك يعود إلى أنَّ الذي قال الحكمة ليس شخصًا عاديًا بل شخصٌ له صفات تميِّزه عن غيره، يَعمَدُ هذا الشَّخص إلى توظيف خبرته في الحياة من أجل الإتيان بعبارات هي حكمٌ يستعملها في الوعظ والنُّصح.

الذي يفهم من الأقوال السَّابقة أنَّ الحكمةَ لها شروط وصفات تحدُّ حدودها وتبيِّن ماهيَّتها التي هي عليها، فبالرَّغم من النَّظرة المختلفة التي نُظِرَ بها إلى الحكمة في الأقوال السَّابقة – بسبب كثرة لوازمها وخواصِّها من جهة، وزاوية نظر كلِّ باحث من جهة أخرى – إلاَّ أنَّ هذه الأقوال اتَّفقت على بعض صفات الحكمة؛ وهي:

1- أنَّ الحكمةَ لا تصدرُ إلاَّ عن فئةٍ خاصَّةٍ من النَّاسِ.

2- الإصابة في المعنى.

---

[1] – عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلة، ص 18

[2] – محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط: 1، سنة: 1408هـ/1988م، ص 48

3- الهدف منها هو الوعظ والإرشاد والتَّنبيه والإعلام.

4- تكون عامَّة في الأقوال والأفعال على سواء.

2- علاقة المثل بالحكمة:

إنَّ المتأمِّل في كتب الأمثال سيلاحظُ – بلا شكٍّ – أنَّ الكثير من أصحابها لم يفرقوا بين المثل والحكمة في تعبيراتهم؛ فهذا أبو عبيد القاسم بن سلَّام يقول عن الأمثال: " هِيَ حِكمَةُ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ والإِسلَامِ "[1]، وجعل الفارابي المثلَ جزءًا من الحكمة فقال: " وَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ الحِكمَةِ "[2]؛ أمَّا أبو هلال العسكريّ فيعدُّ الحكمةَ المتداولةَ مثلاً؛ قال: " ثُمَّ جُعِلَ كُلُّ حِكْمَةٍ سَائِرَةٍ مَثَلاً "[3]، وجعل الزمخشريّ الأمثالَ من نوادر الحكمة حين قال: " الأَمثَالُ قُصَارَى فَصَاحَةِ العَرَبِ، وَجَوَامِعِ كَلِمِهَا، وَنَوَادِرِ حِكَمِهَا "[4].

وقد سلك هذا المسلك غير واحد من الباحثين والدَّارسين المحدثين نمثل لهم بصاحب كتاب (المفصل في تاريخ العرب) الذي قال في تعريفه للمثل: " والمثلُ لونٌ من ألوان الحكمةِ "[5].

---

[1] – كتاب الأمثال، ص: 34

[2] – ديوان الأدب، ص: 74

[3] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص 11

[4] – المستقصى، ج: 1، ص: (ب)

[5] – جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (د.د)، (د.ب)، ط 2، سنة: 1413هـ/1993م، ج: 8، ص: 354

فهؤلاء وغيرهم يمثلون الرَّأي الأوَّل في هذه المسألــة – أي الفرق بين المثل والحكمة –، والمثـل عندهم هو الحكمة أو جزءٌ منها، فهم لا يفرقون بين هذين المفهومين، وما يلاحظ حول هذا الرَّأي أنَّ أصحابه ليست لديهم حجج يثبتون بها موقفهم.

أمَّا الرَّأي الثَّاني فأصحابه ينكرون وجود صلة بين المثل والحكمة ويفرقون بينهما؛ وقد استنبطوا مجموعة من النِّقاط التي تباين بين المثل والحكمة، ومـن هذه الفروق التي استخرجوها نذكر[1]:

1- أنَّ المثل أساسه التَّشبيه، أي تشبيه مضربه بمورده، أمَّا الحكمة فعمادها إصابة المعنى، ولا يراعى التَّشبيه فيها إلاَّ حيث تصبحُ مثلاً.

هذه النُّقطة نسبيَّة نوعًا ما، ذلك أنَّ المثل متَّصِفٌ بإصابة المعنى كذلك حاله حال الحِكمة، وقد مرَّ بنا معرفة أنَّ العلماء المتقدِّمين والباحثين المحدَثين متَّفقون على هذه الصِّفة البارزة في أغلب الأمثال؛ أضف إلى ذلك أنَّ هذه النُّقطة تميل لتكون حُجَّةً على أصحابها أكثر من كونها دليلَ تباين واختلاف بين الأمثال والحكم، ودليلنا في هذا قولهم: (ولا يُراعى التَّشبيه فيها إلاَّ حيث تصبحُ مثلاً) فهم بقولهم هذا يُؤكِّدون أنَّ الحكم قد تصبحُ أمثالاً تضربُ.

2- أسلوب المثل دائمًا موجز عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبيًا.

---

[1] – ينظر: [عبد المجيد قطاش، الأمثال العربيَّة دراسة تاريخيَّة تحليليَّة، ص: 18-19] و[محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربيَّة والعصر الجاهلي دراسة تحليليَّة، ص: 48 وما بعدها] و[سامي عطا حسن، " الأمثال في القرآن الكريم خصائصها التربوية وسماتها البيانية " في: مجلة دراسات، علوم الشَّريعة والقانون، مج: 38، العدد 1، سنة:2011، ص: 20]

في هذه النُّقطة ترجيحٌ لأنْ تكون بعض الحِكَمِ من قبيل الأمثال، وذلك إذا اتَّسمت بالإيجاز في مبانيها، والمتتبع لبعض الحكم سيلحظ بأنَّ هذا الشَّرط يتوفَّر فيها وهي تستوفيه، ولكنَّ الغالب على الحكم هو الطُّول.

3- أنَّ الهدف من الأمثال هو الاحتجاج، ومن الحكمة الوعظ والتَّنبيه والإعلام.

قال ابن دريد: " فَـكُلُّ كَلِمَةٍ وَعَظَـتكَ وَزَجَـرَتكَ وَدَعَتـكَ إلى مَكْرُمَةٍ أو نَهَتكَ عَن قبيحٍ فهي حِكْمَةٌ "[1]، فاختصَّت الحِكَمُ – حسب هذا القول – بالوعظ والزَّجر والنَّهي عمَّا يُستَقبَحُ، لذلك كثيرًا ما نجدها تأتي بصيغ التَّحذير والشَّرط، نحو: (إِيَّاكَ وَالدَّالَةَ، فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الحُرمة) و(مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِيْ عِزِّ الدُّنْيَا، شَارَكَهُ فِيْ ذُلِّ الآخِرةِ)، وغيرها.

4- المثل يصدر عن جميع النَّاس (العامَّة والخاصَّة) بمختلف طبقاتهم الفكريَّة والاجتماعيَّة، أمَّا الحكمةُ فلا تصدرُ إلاَّ عن حكيمٍ أو فيلسوف أو أَضرَابِهما.

5- الحكمة عامَّة في الأقوال والأفعال، والمثل خاصٌ بالأقوال.

هذه هي حُجَجُ أصحاب الرَّأي الثَّاني، وهي فيما تبدو حُجَجٌ ترجِّح الكَّفة نحوهم لقوَّتِهَا وصِحَّةِ بعضها، ولكن لا تقف هذه المسألةُ هنا فقط بل هناك رأيٌ ثالث، أصحاب هذا الرَّأي تكفلوا بالرَّد على بعض هذه الفروق المستنبطة، ومذهبهم في هذه المسألة هو: الجمع بين الرَّأي القائل بعدم وجود فرق بين المثل والحكمة، والرَّأي الذي تبنَّى التَّفريق بينهما، يُمثلُ هذا الرَّأي الحسن اليوسي الذي قال بعد أن ردَّ على بعض الفروق السَّابقة: " وَيَبْقَى وَرَاءَ ذَلِكَ وَسَطٌ يَتَجَاوَلُ فِيْهِ الفَرِيقَانِ

[1] – جمهرة اللغة، ج 1، ص 564

كَالمُثُلِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا قَدْ يُعَدُّ مَثَلاً تَارَةً، وَحِكْمَةً تَارَةً، وَلَا فَرقَ فِيمَا يَظْهَرُ إِلاَّ بِالحَيْثِيَّةِ، وَهِيَ أَنَّهَا إِنْ سِيْقَت مُلَاحَظًا فِيهَا التَّشْبِيْهُ فَمَثَلٌ؛ وَإِنْ سِيْقَت مُلَاحَظًا فيه[1] التَّنبِيهُ أو الوَعظُ أو إِثبَاتُ قَانُونٍ أو فَائِدَةٍ يَنتَفِعُ بِهَا النَّاسُ في مَعَاشِهِم أو مَعَادِهِم فَحِكمَةٌ، وَهَذَا مَعرُوفٌ بِالإِستِقرَاءِ "[2].

تَوَسَّطَ الحسن اليوسي في قوله هذا بين الرَّأيين السَّابقين، فلم يجعل كلَّ الأمثالِ حكمًا أو العكس، كما لم يُسَلِّمِ بافتراقهما مطلقًا، بل هو في الموقع الوسط من ذلك، وقد سَاقَ في قوله هذا ضابطًا يَحْكُمُ ويَفْصِلُ في القضيَّة ربطه بـ:(الحيثيَّةِ) التي يَقْصِدُ بها أنَّ: الأمثالَ والحِكَمَ لو سيقَت وفيها تشبيهٌ فهي أمثالٌ ولو كانت حِكَمًا، كما أنَّها إذا سيقت ولوحظَ عليها أنَّها مبنيَّةٌ على التَّنبيه والوعظِ وتَحمِلُ فَائِدَةً فهي حكمٌ وإنْ كانت أمثالاً.

وبعد عرضنا لكلِّ الآراء في هذه المسألة نُرَجِّحُ أنَّ الرَّأيَ الأقربَ للصَّوابِ هو الرَّأي الأخير مع مزيد من التَّقييد؛ ذلك أنَّ المثلَ والحكمةَ يلتقيانِ في بعض الخصائصِ ويفترقانِ في أُخرى، والحُكْمُ على تعبيرٍ من التَّعبيرات أنَّه مثلٌ أو حكمةٌ أمرٌ ليس بالسَّهلِ، ولكن يبقى أمامنا سبيلٌ لعلَّه يفصلُ في القضيَّة وهو الاستعمال، فإنْ أُستُعمِلَ ذلك التَّعبير(مثل أو حكمة) في سياقِ الحكمة فهو حكمةٌ، وإن كان قد نشأ كمثلٍ، أمَّا إذا قُصِدَ من استعمال هذا التَّعبير أنْ يَكُونَ مثلاً يُضربُ فهو مثلٌ، وإن كان في أصل نشأتهِ حكمة؛ وفي حقيقة الأمر هذا السَّبيل الذي ذكرناه هو مُطَبَّقٌ بالفعل في الكَثير من الكُتُبِ وجَارٍ على كثير من ألسنةِ النَّاسِ.

---

[1]]– هكذا في الأصل، والصَّحيح: (فيها) للدَّلالة على الأمثال والحكم.

[2] – زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج 1، ص: 30

فنحن كثيرًا ما نسمعُ بعضَ التَّعبيرات التي هي في الأصلِ حِكمٌ ولكنَّ موطنَ استعمالها، والمقصودَ من الاستشهادِ بها، والسِّياقَ الذي تَردُ فيه، كلُّ ذلك يجعل منها أمثالاً تضربُ والعكسُ، فأنت تقول: (إنَّ الكذوبَ قد يصدقُ) وتقولُ أيضًا: (مقتلُ الرَّجُلِ بين فَكَّيهِ) وهذه حكمٌ في أصل نشأتها، ولكنَّ المقصودَ والاستعمالَ والسِّياقَ الذي تقال فيه يقتضي خروجها من أصلها كَحِكمٍ إلى أمثالٍ تضربُ، والعكس.

ونحن إذْ نقولُ هذا لا يعني أنَّنا نُقِـرُّ بأنَّ كُلَّ الأمثـالِ يَصْلُحُ ويَصِحُ أن يكون حِكمًا أو العكس، بل هناك من الأمثالِ والحِكَمِ ما لا يرقى إلى هذا الذي نقلنا، واِسمَعْ لِقَولِ الحَسَن اليوسي إذْ يَقُولُ في ذلك: " وَالحَقُّ أنَّ مِنَ الأَمثَالِ مَالَا يَشْتَبِهُ بالحِكمَةِ فِي وِزْدٍ وَلَا صَدَرٍ... وَمِنَ الحِكَمِ مَالَا يَشْتَبِهُ بالمَثَلِ كَكَثِيرٍ مِنَ الحِكَمِ الإِنشَائِيَّةِ "[1] فالسَّبيل الذي ذُكِرَ آنفًا هو مقياسٌ نسبيٌّ لا يُعمَّمُ، والذي جعله يتَّصِفُ بالنِّسبيَّة هو كثرة الأمثال وتنوِّعها وتباينها وكذا الحِكَمُ، ما يجعل ذلك السَّبيل إن صدق الحكم به على البعض فإنَّه لا يصدق على البعض الآخر.

ثانيًا: بين المثل والقول المأثور والكلمات السَّائرة:

من المفاهيم التي تختلط كثيرًا مع مفهوم المثل مصطلح القول المأثور، فهذا المصطلح من المصطلحات المُركَّبةِ يدلُّ شِقُّهُ الأوَّل على " كلِّ لفظٍ مَذَلَ به اللِّسانُ، تامًّا كان أو ناقصًا "[2]، يفهـم من هذا أنَّ (القولَ) هو كلُّ ما نُطِقَ به سواءً كان مفيدًا أو غيرَ مفيدٍ؛ وقد عُرِّفَ الأثرُ في

[1] – زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج 1، ص: 30

[2] – أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، ط 2، سنة: 1381هـ/1952م، ج: 1، ص: 17

معناه اللُّغوي بأنَّه: " الخَبرُ... والأَثَرُ: مَصْدَرُ قَولِكَ أَثَرتُ الحَدِيْثَ آثُرُهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ عَنْ غَيْرِكَ... وَمِنْ هَذَا قِيْلَ: حَدِيْثٌ مَأْثُورٌ أَيْ يُخْبِرُ النَّاسُ بِهِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، أَيْ يَنْقُلُهُ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ "[1].

ويقول البغويّ في تفسيره للآية الرَّابعة من سورة الأحقاف وبالتَّحديد عند قوله تعالى: ﴿أَو أَثَـرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ الآية: " قال الكلبي (ت:240هـ): أي بَقِيَّةٌ مِنْ علمٍ يُؤْثَرُ عَنِ الأَوَّلِيْنَ أَيْ يُسْنَدُ إليهم "[2]، وفي هذا المعنى جاء قولُ أبي سفيان في حديث قيصر حين قال: " (لَوْلَا أَنْ يَأْثُرُوا عَنِّي الكَذِبَ) أي يروون ويَحْكُونَ "[3]، فكلُّ هذه الشَّواهد تدلُّ على أنَّ الأثرَ يتَّصِفُ بكثرة المسير والتَّداول، بحيث ينتقلُ من السَّلَفِ إلى مَن بَعْدَهُم ومن هؤلاء إلى خَلَفِهِم وهكذا.

لقد اِستعملتِ العربُ بعض الأقوال والعبارات والكلمات في كلامها حتى شاعت وانتشرت وكثر استعمالها في مواقف وحوادث معيَّنة، ومن أمثلة ذلك قولهم لمن تَزَوَّجَ: (بالرِّفَاءِ والبَنِين)[4]، وفي التَّحية قالوا: (حيَّاك الله، وبيَّاك)، وقولهم: (أَقَرَّ الله عينيك)، وقولهم:(على بَدْء الخيرِ واليُمنِ)، وقولهم:(هَلُمَّ جَرًّا)، و(لله دَرُّهُ) إلى غير ذلك من الأقوال، فهذه العبارات وغيرها ما يلاحظ عليها أنَّها موجزة بسيطة ليس فيها تَكلُّف ولا غموض، هذا ما جعلها تذيع وتنتشر بشكل واسع.

فمثل هذه الأقوال شاع استعمالها وكثر حتى سارت في كلام العرب مسير الأمثال بل أكثر منها في بعض الأحيان، وقد أصبح الخلط بينها وبين الأمثال جليًّا واضِحًا، فهناك من جُمَّاعِ الأمثال

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج: 1، ص: 25

[2] – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، مج: 7، ص: 251

[3] – مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر، أش: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، سنة 1421هـ/2000م، ص: 25

[4] – الرِّفاء أو الرِّفاه: أي الالتئام، والاتفاق، والبركة؛ وهو من أدعية أهل الجاهليَّة، وقد ورد نهي عن الدُّعاء به.

والمصنِّفين فيها من أدرجها في كتابه الخاص بالأمثال؛ ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلَّام، فنحن نلحظه ينقل في كتابه (الأمثال) بعضًا من الأقـوال السَّـابقة وما يشبهها، يقـول: " ومن دُعَائِهم في النِّكَـاحِ: علـى بَدْءِ الخَيْرِ واليُمنِ... ومنه قولهم: بالرِّفاء والبنين... ومن دعائهم بالخير قولهم: هَنِئْتَ ولا تَنْكَهْ "[1] ويستطردُ في ذلك، وقد تابعه في هذا جملة من المصنِّفين[2] على رأسهم: العسكريّ، والزمخشريّ، والميدانيّ؛ وهم في ذلك لا يفرِّقون بين المثل وبين هذه الأقوال المأثورة والعبارات السَّائرة مع علمهم بأنَّها ليست من قبيل الأمثال، ودليلنا في هذا أنَّهم كانوا يصدِّرون هذه الأقوال بعباراتٍ وألفاظٍ لا تشبه التي يقولونها إثر نقلهم لمثلٍ من الأمثال، ففي الأمثال الغالب عليهم أنَّهم يقولون قبلها أو بعدها أو في أثناء سرد قصصها نحو:(فذهبَ مثلاً) أو(ضُرِبَ مثَلاً لـ) أو(يُضْرَبُ في كذا) أو(فأرسله مثلاً) وغيرها، في حين لا نجد مثلها وما يشبهها إثر تناولهم لهذه الأقوال والعبارات.

فإذا ما أتينا إلى البحث عن الفرق الموجود بين المثل والأقوال المأثورة فإنَّنَا سنجد بأنَّهما يتباينان في نقطة جوهريَّة تكمن في أنَّ المثلَ مبنيٌّ على تشبيه حالةٍ بحالةٍ أخرى، بينما هذه الأقوال لا تحمل أي تشبيه ظاهر ولا حتَّى مضمر.

فنحن حين تستشهد بقول العرب: (كالمستجير بالرَّمضاء من النَّار) فهذا مثلٌ الغاية عندنا من الإتيان به أنَّنا نحتَجُّ به، كون حال الذي نحتجُّ عليه تشابه حال المستجير بالنَّار، فكأنَّنا نقول للمُحْتَجِّ عليه: إنَّ حالك كحال الذي استجارَ من الرَّمضاء بالنَّار؛ فنحن حين نأتي بهذا المثل وغيره

---

[1] – أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، ص: 69

[2] – ينظر: [جمهرة الأمثال، ج1، ص: 196/ج2، ص: 278] و[المستقصى في أمثال العرب، ج2، ص: 6] و[مجمع الأمثال، ج1، ص: 100]

من الأمثال نريد من ذلك أن نثبتَ التَّشَابُه القائم بين الحالة التي نواجهها وبين الحالة التي ضرب فيها المثل في بادئ الأمر، هذا فيما يخصُّ المثل، أمَّا إذا جئنا إلى هذه الأقوال وقلنا مثلاً: (حيَّاك الله وبيَّاك) أو (بالرِّفاء والبنين) وغيرها من الأقوال التي تشابهها فنحن هنا لا نشبِّه، لأنَّ الذي قلناه لا يتضمَّن التَّشبيه بأي وجه من الوجوه.

وبالرَّغم من هذا فإنَّنا لا ننكر وجود تشابه قائم بين الأمثال والأقوال والعبارات المأثورة والسَّائرة بل نثبت أنَّهما يشتركان في صفتين: الأولى كثرة الاستعمال، والثَّانيَّة الاختصار؛ ولكنَّ هذا لا يُخوِّلنا الخلط بينهما.

وبالإضافة إلى هذا هناك من مدوّني الأمثال من جاءَ بعباراتٍ هي من قبيلِ المُكَنَّى، والمُبَنَّى، والمُثنَّى من الأسماء؛ نمثل لها بهذه النَّماذِجَ ليتَّضحَ المقصودُ؛ فمن المكنَّى قولهم: (أبو الحارث)، و(أبو جَعْدَة) للذئب، و(أبو الحُصَيْن) للثعلب، وغيرها؛ وهي كنية لشخص أو حيوان أو شيء؛ ومن المُبنَّى ذكرهم لـ: (ابن الأيام) للرجل الجَلد المُجرب، و(بنتُ المنيَّةِ) للحُمَّى، و(ابن السَّبيل) للغريب، وغيرها؛ والمُبنَّى مثل المُكنَّى يكون كنية إمَّا لشخصٍ أو حيوان أو شيء؛ أمَّا فيما يخصُّ المُثنَّى من الأسماء فيقولون: (القمران) للشمس والقمر، و(المشرقان) للمشرق والمغرب، و(الأسودان) للتَّمر والماء، وغيرها.

وما يلاحظ من خلال استعمال مثل هذه الكلمات أنَّهم يذكرونها خالية من أي سياق، فهم لا يربطونها بقصَّة ولا بحادثة كما هي عادتهم – في الغالب – مع الأمثال الأخرى، وإنَّما يكتفون بذكر المسمَّى الذي تطلق عليه مباشرة.

فإذا ما أتينا للبحث عن صلتها بالأمثال فلا نجد إلاَّ نقطة واحدة تكمن في أنَّ هذه الكلمات تشابه الأمثال في الشُّيوع والانتشار، أمَّا بقيةُ الصِّفات من تشبيه وكون المثل جملة مختصرة فهذه الصِّفات لا تصدق على هذه الكلمات.

فإذا ما قيل: هذه الكلمات أليست في غاية الإيجاز لأنَّها مفردات؟ فإنَّنا نجيبه بقولنا: إنَّ الإيجاز توصف به الجمل والتَّراكيب لا المفردات، ونزيد فنذكر قول صاحب الصِّناعتين حين تحدَّث عن الإشارة وهو يقصد بها الإيجاز؛ قال: " الإِشَارَةُ أَنْ يَكُونَ اللَّفظُ القَلِيْلُ مُشَارًا بِهِ إلى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، بِإِيمَاءٍ إِلَيهَا وَلَمْحَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا "[1] ونستفهم قائلين: ما هي المعاني التي يحملها قولك (ابن السَّبيل) أو(أبو جَعْدَة) أو(القمران) وهي كلمات عارية عن السَّياق؟!

وقد تفطَّن بعض اللُّغويين المتقدِّمين إلى اللُّبس والخلطِ الواقع بين الأمثال وبين هذه الأقوال والكلمات فعبَّر عن هذه الأقوال المأثورة والكلمات السَّائرة بتعبيرٍ يُفهمُ من ظاهره أنَّه لا يجعلها أمثالاً، وإنَّما هي: (عبارات جارية مجرى الأمثال) والذي تفطَّن لهذا هو الثعالبي (ت:429هـ) ونلمس ذلك من خلال كتابه (التَّمثِيلُ والمُحَاضَرَةُ) حيث قال في خطبته ما نصُّه: " يَشْتَمِلُ عَلَى أَمْثَالِ الجَمِيعِ[(2)]، وَيَضُمُّ نَشْرَ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِن أَلْفَاظِهِم "[3] وفي موضعٍ آخر من نفس الكتاب عنون للفصل الثَّاني :(في سِيَاقَةِ مَا يَجْرِي مَجْرَى الأَمْثَالِ مِنْ الأَقْوَالِ

---

[1] – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د.ب)، ط 1، سنة: 1371هـ/1952م، ص: 348

[2] – يقصد أصناف النَّاس الذين ذكرهم قبل قوله هذا، وهم الإسلاميّ والجاهليّ، والعربيّ والعجميّ، والملكيّ والسُّوقيّ، والخاصَّة والعامَّة.

[3] – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، (د.ب)، ط 2، سنة: 1401هـ/1981م، ص: 5

الصَّادِرَةِ عَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ)[1]؛ فظاهر ما سبق يوحي أنَّه يفرق بين تلك الضُّروبِ من فنون القولِ وبين الأمثال، وبالفعل جعل متن ذلك الفصل للأقوال المأثورة والحكم السَّائرة دون الأمثال.

وفي ختام هذا المبحث نستنتجُ أنَّ أصحاب الكتـب التي جمعت الأمثال ومن حذا حذوهم أطلقوا اسم المثل على كلِّ تعبير يشبه الأمثـال، وليس لهم في ذلك ضابط في الكثير من الأحيان، كما يمكن أن نستنتج قاعدة لهم في ذلك؛ تقول:

إذا سارت عبارة من العبارات أو قولٌ من الأقوالِ وشاع وذاع بين عمومِ النَّاس وكثر تداوله، وكان مِمَّا يحتمل إدراجه تحت مسمَّى الأمثال فهو مثلٌ في الاستعمال، وإنْ كان يندرج تحت نمط آخر من أنماط التَّعبير في حال التَّنظير.

فمن خلال هذه القاعدة المستنبطة من الكتب التي جمعت الأمثال وصُنِّفت فيها ندرك بأنَّ مادَّة هذه الكتب وهي الأمثال، ستكون كثيرة من جهة ومتنوعة من جهة أخرى؛ وهنا تبرز لنا بعض التَّساؤلات منها:

– ما هي أنواع الأمثال المذكورة في المصنَّفات التي جمعتها؟

– على أي أساس صُنِّفت هذه الأمثال؟

محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة –وغيرها– سيكون في المبحث التَّالي، الذي سيخصص للحديث عن أنواع الأمثال وما يتعلق بها.

[1] – أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص: 130

الفصل الأوَّل

المبحث الثَّالث : أنـواع الأمثـــال

المبحث الثَّالث: أنواع الأمثال

إنَّ الباحث في كتب الأمثال سيلاحظ بأنَّ أصحابها جمعوا فيها عددًا كبيرًا من الأمثال، فهذه الكثرة من حيث العدد جعلتها متمايزة فيما بينها، كما تداخلت بعض أنواعها مع أنماط تعبيرية مشابهة لها في بعض الخصائص والصِّفات، كلُّ هذه الأسباب جعلت أمر تصنيفها وتحديد أنواعها صعبًا للغاية، وأوَّلُ ما يبرز لنا كنتيجة لذلك كثرة التَّصنيفات التي تطرق إليها الباحثون والدّارسون، وعمادهم في تصنيفاتهم تلك الاستقراء، بحيث إنَّهم تَتَبَّعُوا هذه المادَّة في الكتب التي جمعتها، ومن خلال ذلك وضعوا تصنيفاتهم.

ولعلَّ أبرز تَصنِيفٍ وُضِعَ للأمثالِ وأَنواعِها ذلك الذي نَظَرَ إليها من حيث: زَمَنُهَا، وَعِلَّةُ نُشُوئِهَا، وسِمَتُهَا الاصطلاحِيَّة؛ والتَّفصيلُ في هذا التَّصنِيفِ هو كالتَّالي:

أوَّلاً: أنواع الأمثال حسب زمنيَّتها

المقيـاسُ الذي يُعمَلُ به فـي تصنيف أنواع الأمثال من خـلال هذا التَّصنيف هـو باعتبار زمنِ نُشوئِهَا، وقد قُسِمَتِ الأمثال العربيَّة باعتبار أعمارها إلى أربعة أنواعٍ.

أ– الأمثال القديمة:

تضـمُّ الأمثـالَ الجـاهليَّة والإسـلاميَّة التـي استطاع علماء اللُّغة وَمُصَنِّفُو كتب الأمثـال جَمْعَهَا في القرنين الثَّانِي والثَّالث الهجريين؛ وقد مرَّ بنا كـلام أبي عبيد القـاسم بن سلَّام الذي قال

فيه عن الأمثال: " هِـيَ حِكْمَةُ العَـرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ والإسـلَامِ "[1] فهذا القول يثبت ويُؤكِّد أنَّ هذا التَّصنيف له وجه من الصِّحة.

وقد وُضِعَت مجموعة من المعايير التي يُعرَفُ من خلالها أنَّ مَثَلاً من الأمثال ينتمي إلى العصرِ الجاهليِّ؛ ومن ذلك[2]:

1- النَّصُ على قائِلِ المثلِ: بحيث يرد ذكر اسم قائل المثل من طرف جُمَّاع الأمثال، نحو: (إنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَراجِمِ) المثل لِعَمْرُو بن هند (نحو:45 ق.هـ).

2- تعيينُ الحادثةِ التي تتَّصِلُ بالمثل: فالحادثة أو قصة المثل هي التي تدلُّنا على الزَّمن الذي قيل فيه المثل.

3- اشتمالُ المثلِ على عَلَمٍ من أعلام الجاهليَّة: نحو: (تَسمعُ بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِن أَنْ تَرَاهُ) والمُعَيْدِيُّ هذا من معاصري النُّعمان بن المنذر (نحو:15 ق.هـ).

4- نَصُّ العلماءِ على جاهليَّة المثل: وهذا المعيار تكفلَّت به بعض كتب اللُّغة والأمثال، ونموذجه قول العسكري عن المثـل القائل: (كلُّ الصَّيدِ في جوفِ الفَرَا[3]): " المثـــل قديـمٌ "[4] فقد نصَّ عليه بأنَّه من الزَّمن القديم.

---

[1] – كتاب الأمثال، ص: 34

[2] – ينظر: عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص: 125 وما بعدها (بتصرف)

[3]]– يقال: (الفَرَا) دون همز، ويقال: (الفَرَأ)، وهو الحمار الوحشيّ؛ وأصل المثل أنَّ قومًا خرجوا للصَّيد، فصاد أحدهم ظبيًا، وآخرُ أرنبًا، وآخرُ فَرَأ، فقال لأصحابه: (كلُّ الصَّيد في جوف الفرَا)، وهو يعني: جميعُ ما صدتموه يسيرٌ في جَنْبِ ما صدتهُ؛ ينظر: [أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال، ج: 2، ص: 135 (بتصرف)]

[4] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص: 135

5- إشارَةُ المثلِ إلى عادةٍ أو مُعتقدٍ جاهليٍّ: كأن يدعو للتَّعصبُ والحميَّة، وغيرها؛ ومن نماذج هذا المعيار قولهم: (تَقْدِيْمُ الحُرَمِ مِنَ النِّعَمِ) يعنون البنات يقدَّمن للوَأْدِ.

هذه بعض المعايير التي ذُكِرَت في الحُكمِ على مَثَلٍ من الأمثال أنَّه ينتمي إلى العصر الجاهليّ؛ وما يلاحظ من خلال هذه المعايير أنَّ بعضها نِسبِيٌّ لا يصدقُ في كلِّ الأحوالِ، وقد وقع بعض الباحثين في زلَّات بسبب بعض هذه المعايير، نمثل لذلك بالمعيار الأخير، فمن خلاله حُكِمَ على قول النَّبي صلى الله عليه وسلم :(أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَو مَظْلُومًا)[1] بأنَّه مثلٌ جاهليٌّ؛ قال عنه ذلك الباحث: " فَالمَثَلُ يَدْعُو إِلَى نُصْرَةِ الأَخِ وَالتَّعَصُب له وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا "[2] فهذا الباحث أخذ بظاهر الحديث ولو أنَّه ربطه بحادثته أو أتمَّ الحديث لكان له موقف آخر بلا شَكٍّ.

ب- الأمثال المولَّدة:

المقصود بالمولَّدِ هو المُستَحدَثُ؛ قال ابن منظور: " سُمِّيَ المُوَلَّدُ مِنَ الكَلامِ مُوَلَّدًا إذا اسْتَحْدَثُوهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلامِهِم فِيْمَا مَضَى "[3]، والمولَّدُ من الأمثالِ هي تلك التي نشأت بعد عصر الاحتجاج[4].

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، اع: أبو صهيب الكَرميُّ، بيت الأفكار الدَّولية للنَّشر، الرياض- المملكة السعودية، (د.ط)، سنة: 1419هـ/1998م، ص: 461، [الحديث رقم: 2444] وتمام الحديث: (قالوا: يَا رسولَ اللهِ، هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُوْمًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: " **تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** ") وفي روايَّة: (قال: " **تَحْجُزُهُ، أو تَمْنَعُهُ، من الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** ") المصدر نفسه، ص: 1327، [الحديث رقم 6952].

[2] - أحمد كامش، " الأمثال العربية القديمة قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربيَّة "، مذكرة تخرج ماجستير، تخصص أدب قديم، غير منشورة، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، 1425هـ/2004م، ص: 38

[3] - لسان العرب، مج: 6، ص: 4915

[4] - حُدِّدَ عصر الاحتجاج بدايةً من العصر الجاهليِّ حتى منتصف القرن الثَّاني الهجري بالنِّسبة لسكَّان الحَضَرِ، أمَّا سكَّان الوبر(البادية) فإنَّه ينتهي إلى حدود القرن الرَّابع الهجريِّ.

والمتأمِّلُ في كتب الأمثال سيجد أنَّ بعضًا من أصحابِها قد قام بتمييز هذا النَّوع من الأمثال عن الأمثال القديمة، قال العسكريّ: " وَمَيَّزْتُ مَا أَوْرَدَ حَمْزَةُ الأَصْبَهَانِيُّ مِنْ الأَمْثَالِ المَضْرُوْبَةِ فِيْ التَّنَاهِي والمُبَالَغَةِ، وَهِيَ الأَمْثَالُ عَلَى (أَفْعَلَ مِنْ كَذَا)، فَأَوْرَدْتُ مِنْهَا مَا كَانَ عَرَبِيًّا صَحِيْحًا، وَنَفَيْتُ المُوَلَّدَ السَّقِيْمَ "[1] وسبب هذا التَّمييز عند العسكريّ يرجع إلى أنَّ هذه الأمثال – المولَّدة – فيها الغثُّ والسَّمين، فأخذ بالصَّحيح وأهمل السَّقيم.

وقد قام الميدانِيُّ بتمييزِ أمثالِ المُولَّدين عن الأمثال القديمة فأفرد لها في نهايةِ كلِّ فصلٍ من فصول كتابه حَيِّزًا لوحدها يمنعها من الاختلاط بالأمثال العربيَّة القديمة.

وفي مقابلِ هذا نَجِدُ أنَّ بعض المصنِّفينَ جعل لهذا النَّوعِ من الأمثال كِتَابًا خَاصًا، نذكر على سبيل المثال كتاب: (الأمثال المولَّدة) لأبي بكر محمَّد بن العبَّاس الخوارزميّ (ت:383هـ)؛ قال عن كتابه هذا: " وضعتُ هذا الكتابَ، وجَمَعْتُ فيهِ أمثَالاً اِستَحْدَثَهَا مُوَلَّدُو العَصرِ، وأَنْشَاءُ الزَّمَانِ، وأبناءُ الدَّولةِ العبَاسيَّةِ "[2].

والفرق بين الأمثال العربية القديمة والأمثال المولَّدة يكمن في أنَّ الأمثال المولَّدة تَعْمَدُ إلى التَّسهيلِ في العبارة غَالبًا، كما أنَّها تأتي مَسجُوعَةً وفيها بعضُ التَّصنُّعِ والتَّكلُّفِ؛ ممَّا يوحي بأنَّها لا تَنْتَمِي إلى عُصورِ الاحتجاج والاستشهاد.

---

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 11

[2] – أبـو بكر محمَّد بن العبَّاس الخوارزمي، الأمثـال المــولَّدة، تح: محمد حسين الأعرجــي، المجمـع الثقافي، أبـو ظبي– الإمارات العربيَّة المتحدة، (د.ط)، سنة: 1424هـ/2003م، ص: 71

ج- الأمثال الحديثة:

الأمثال الحديثة هِي الأمثال التي جمعها المستشرقون قبل غيرهم، في القرن التَّاسع عشر، والقرن العشرين من بلاد العرب[1].

ثانيًا- تصنيف الأمثال حسب علَّة نشوئها:

يقع تحت هذا التَّصنيف عدد كبيرٌ من الأنواع، والمرادُ بالعلَّة هنا السَّبَبُ الذي نشأت عنه الأمثال، وعناصر هذا التَّصنيف هي[2]:

أ- الأمثال النَّاشئة عن حادثة:

ويقصد بها تلك التي تضربُ بعد انتهاء حادثةٍ ما؛ نمثل لذلك بقول العرب: (قَطَعَتْ جَهِيْزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ) فهذا المثل نشأ بعد حادثة مفادها أنَّ قومًا اجتمعوا يَخْطُبون من أجلِ الإصلاح بين حَيَّينِ قَتَلَ أَحَد الحَيَّينِ فَرْدًا من الحيِّ آخَرِ، وبينما هم في ذلك إذْ بِأَمَةٍ (جهيزة) تَحْضُرُ فَتَقُولُ: إنَّ القَاتِلَ قد ظَفَرَ به بَعضُ أَوْلِيَاءِ المقتولِ فقتَلَهُ؛ فَضُرِبَ هذا المَثَلُ للذي يَقْطَعُ على النَّاسِ مَا هُم فيه من أبواب الخير (الإصلاح) بِحَمَاقة يأتي بها.

فهذا المثل وغيره ممَّا يشابهه يضربُ بعد انتهاء حادثة تكون قد جرت، والملاحظ في هذا النَّوع أنَّ الذي يُرْسِلُ المثلَ ليس الذي قيل فيه المثل، وإنَّما أشخاصٌ آخرون عايشوا تلك الحادثة، ومن

---

[1] - ردولف زلهايم، الأمثال العربيِّة القديمة مع اعتناء خاصٍّ بكتاب الأمثال لأبي عُبيد، ص: 43

[2] - محمَّد أبـو صُـوفِه، الأمثـال العربية ومصـادرها في التُّـراث، مكتبة الأقصـــى، عمـان- الأردن، ط 1، سنـة: 1402هـ/1982م، ص: 18-19

فوائد هذا النَّوع من الأمثال أنَّه يحملُ معلومات كثيرة تتعلق بأسماء الأشخاصٍ، ووصفٌ للظُّروف المحيطة بضرب المثل، والبيئة التي جرت فيها الحادثة؛ كلُّ ذلك وغيره يساعد على فهم المثل على الوجه المطلوب من جهة، وتناول الأمثال بالدِّراسة من زوايا كثيرة ومختلفة من جهة أخرى.

ب– الأمثال النَّاشئة عن تشبيه:

هذا النَّوع من الأمثال يُبْنَى من خلال جعل شخصٍ ما، أو شيء، أو حدث معيَّن، مثلاً يُحتذَى به؛ فإن أردنا أن نصف شخصًا ما بالكرَمِ شبَّهناه بحاتم، فنقول:(أجودُ من حَاتمٍ)، وإن أردنا وصفه بالجَوْرِ شبَّهناه بِسَدُومٍ، نقول:(أَجْوَرُ مِنْ سَدُومٍ[1])، وإن شئنا وصفَ شيء ما بالحلاوة شبَّهناه بالشَّهدِ، نقول:(أحلى من الشَّهدِ)، إلى غير ذلك؛ وهذا النَّوع من الأمثال جاء بكثرة في كتب الأمثال، بحيث يغلبُ عليه الارتباط بصيغة: (أَفْعَل من) الدَّالة على التَّناهي في المبالغَةِ.

والتَّشبيه هنا لا يقصدُ به ذلك الذي يندرج تحت علم البيان أي المفهوم الاصطلاحي، بل يرادُ به تشبيه حالةٍ بحالةٍ أخرى.

ج– الأمثال النَّاشئة عن قصة:

المقصود بهذا النَّوعِ من الأمثال أن تكون هناك قصَّة حدثت بالفعل أو هي من نسج الخيال، ومن خلال تلك القصَّة ينتج لنا مثلٌ معيَّن، هذا المثل قد يكون المغزى الذي تدور حوله تلك

[1] – سَدوم رجلٌ كان في قديم الزَّمان، يُتَمَثَّل به في الجَوْرِ، ذُكِرَ أنَّه كان على قَنْطرةٍ يأخُذُ من كُلِّ إنسانٍ يَعْبُرُهَا دِرهَمًا، فقال له رَجُلٌ: أنا أَعبُرُ تَحتَهَا، فقال: إذنْ تُعطِي دِرهَمَين؛ ينظر: [أبو هلالٍ العسكريِّ، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 269]

القصَّة، أو بعضُ ألفاظِ المحادثة التي دارت في تلك القصَّة بحيث تنتزع من ذلك الكلام لتصبح مثلاً يضرب فيما اختير له من المعنى.

د- الأمثال النَّاشئة عن حكمة:

والمراد بهذا النَّوع أنْ تكون هناك حكمةٌ من الحكم، ثم سارت هذه الحكمة بين النَّاس وتداولوها بِكَثْرَة، ثم انتقلت عن أصلها لتصبح مثلاً يضرب في مناسبة وأحوالٍ تُوافِقُ تلك التي قيلت فيها في أصل نشوئها، أو قد تخرج عن ذلك الأصل؛ ومن نماذج ذلك قول زُهَيْر بن أَبِي سُلْمَى (نحو:13 ق.هـ):

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[1]

فنتج من هذا البيت المشتمل على حكمة المثل القائل: (يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ).

ومن النَّماذج كذلك تحول الحكمةِ القائلة: (إذا نُصِرَ الرَّأيُ بَطَلَ الهَوَى) إلى مثلٍ يُضربُ في اِتِّباع العقل.

هـ- الأمثال النَّاشئة عن الشِّعر:

المقصود من هذا النَّوع أمران:

الأوَّلُ: أن يكونَ البيتُ الشِّعرِيُّ موجودًا أوَّلاً، ثم ينتزع جزء منه، أو يؤخذ ككُلٍّ، فَيُنْقَلُ إلى دائرةِ الأمثال؛ ونماذج هذا كثيرة، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة (ت:93هـ):

[1] - زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المازني، ديوانه، اع: حمدُو طمّاس، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط 2، سنة: 1426هـ/2005م، ص: 70

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَــا تَعِدْ *** وشَفَـتْ أَنْفُسَـنَا ممَّا تَجِـدْ

واِسْتَبَــدَّتْ مــــرَّةً وَاحِــدَةً *** إنَّمَا العَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدْ[1]

فنتج من هذا الشِّعر المثل القائل: (إنَّما العَاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُ).

الثَّاني: أن يكـون المثلُ منثورًا أوَّلاً، ثم يُنْــظَمُ في بيت مـن الشِّعر؛ قال الحسن اليوسي: " اِعْلَمْ أَنَّ المَثَلَ مَعْرُوفُ الحَقِيْقَةِ – مِمَّا قدَّمنا مِنهُ–، وهو يَكُونُ نَثْرًا تَارَةً، وَذَلِكَ أَكْثَرُهُ، وَقَدْ يَكُونُ نَظْمًا؛ فَإِنَّ المَثَلَ وَإِنْ كَانَ سَائِرًا، لَكِنَّهُ إِذَا نُظِمَ كَانَ أَسْيَرَ لَهُ وَأَسْهَلَ على اللِّسَانِ وَأَحْسَنَ "[2]، وقد سبق إلى هذا المعنى ابن رشيق القيرواني حين قال: " وَالمَثَلُ إِنَّمَا وُزِنَ فِي الشِّعرِ لِيَكُونَ أَشْرَدَ[3] له، وأخفَ للنُّطق به "[4] فَاجتِمَاعُ المثلِ مع النَّظمِ يزيدُ المثلَ سيرًا وتداولاً بين النَّاس، وذلك لسهولة النُّطقِ به حال نظمه واستحضاره.

ومن النَّماذج التي كانت في أصل نشأتها منثورةً ثم نظمت قولهم: (مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ) فقد نظمه غير واحدٍ من الشُّعراء، ومن ذلك قول كعب بن زهير (ت:26هـ):

كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً *** وَمَا مَوَاْعِيْدُهَا إِلَّا الأَبَاطِيْلُ[5]

---

[1] – عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، تص: بشير يموت، المطبعة الوطنيَّة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1353هـ/1934م، ص: 79

[2] – زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج: 1، ص: 52

[3] – قوله: أَشْرَد أي أَسْيَر؛ تقول العرب: مـثلٌ شـرودٌ وشـاردٌ أي سَـائِرٌ لا يُردُّ كالجمل الذي لا يكاد يعرض له ولا يردُّ؛ ينظر: [ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، ج: 1، ص: 280]

[4] – المصدر نفسه، ص: 282

[5] – أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سُلمى، ديوانه، شر: مفيد قميحة، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض– المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1410م/1989م، ص: 110

وهناك من المصنِّفين المتأخرين من وضعَ نظمًا جعله في الأمثال خاصَّة، وقد سمَّى نظمه: (فَرَائِدُ اللَّآلِ فِي مَجمَعِ الأَمثَالِ) وصاحب هذا النَّظم هو إبراهيمُ الأحدب الطرابلسيّ (ت:1308هـ) حيث نظم الأمثال التي جمعها الميداني في كتابه.

ومن نماذج ذلك النَّظم نَظْمُهُ للمثل القائل:(إنَّ الحَدِيْدَ بِالحَدِيْدِ يُفْلِحُ) قال في نظمه:

فَقَابِلِ الشَّيْءَ بِشَيْءٍ يُصْلَحُ *** إنَّ الحَدِيْدَ بِالحَدِيْدِ يُفْلِحُ[1]

وَنَظَمَ المثل القائل:(عِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِيْنُ) فقال:

عَنْ فَضْلِهِ سَلْنِي بِلَا تَفَكُّرِ *** عِنْدَ جُهَيْنَةَ يَقِيْنُ الخَبَرِ[2]

والأمثال الشِّعريَّة قد تكون بيتًا من الشّعر تَامًّا، أو شطرًا منه، أو جزءًا من الشَّطر، أو أَكثر مِنْ بَيْتٍ؛ وقد اشترط بعضهم في هذا النَّوع من الأمثال ثلاثة شروطٍ؛ هي[3]:

1- أن يكونَ مُتَّزِنًا قائمًا بنفسه غير محتاجٍ إلى غيره.

2- أن يكون سالمًا عن التَّكلُّف سَلِسًا، تستلذُّه الأسماعُ ليكونَ أَوقَعَ لَه في النَّفسِ وأَعْوَنَ على الشُّيوعِ.

3- أن يكون مُتَحَرًّى فيه الصِّدقُ وحُسْنُ الإصَابَةِ.

---

[1] - إبراهيم ابن السيد علي الأحدب الطرابلسي الحنفي، فرائد اللآل في مجمع الأمثال، طبع في المكتبة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، (د.ط)، سنة: 1312هـ/1891م، ج: 1، ص: 15

[2] - المصدر نفسه، ج: 2، ص: 3

[3] - الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج: 1، ص: 54-55-56

و- الأمثال النَّاشئة عن القرآن الكريم والحديث الشَّريف:

1- أمثال القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الزُّمر :27].

وفي الحديث قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: " كَانَ الكِتَابُ الأوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، ونَزَلَ القُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زجرٌ، وأمرٌ، وحلالٌ، وحرامٌ، ومُحْكَمٌ، ومُتَشَابِهٌ، وأمثالٌ، فَأَحلُّوا حَلَالَه، وحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُم عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، واعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُوْلُوا: آمَنَّا كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا "[1].

فجعل الرَّسول صلى الله عليه وسلم من أبواب القرآن الكريم باب أمثاله وأمر بالاعتبار بهذه الأمثال، وهذا موافقٌ لما نَصَّ عليه القرآن الكريم.

والأمثال في القرآن الكريم – عند بعضهم – هي على ضربين: ظاهرٌ مصرحٌ به، وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه[2].

---

[1] – محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض– المملكة السعودية، (د.ط)، سنة: 1415هـ/1995م، مج: 2، ص: 133، الحديث رقم: 587

[2] – ينظر: [بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة– مصر، ط 3، سنة: 1404هـ/1984م، ج: 1، ص: 486] و[أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)، سنة: 1426هـ/2005م، ج: 6، ص: 1936]

الضَّربُ الأوَّلُ: الأمثال الظَّاهرة المصرح بها؛ وهي: " التي يُصَرَّحُ فِيهَا بِلَفظِ المَثَلِ أو بما يَدُلُّ عليه من تَشبِيْهٍ أو نَظِيْرٍ أو سِيَاقٍ أو آيَةٍ أو غير ذلك "[1] وهذا النَّوع كثيرٌ في القرآن الكريم، ومن نَمَاذِجِهِ قوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾ [سورة الكهف،45].

الضَّرب الثَّاني: الأمثالُ الكَامِنَةُ؛ وهي: " التي لَمْ يُصَرَّحْ فِيهَا بِلَفْظِ التَّمثِيْلِ "[2]، وهي عبارة عن ورودِ أقوالٍ وأمثالٍ مشهورةٍ تُوافِقُ في معناها بعضَ الآياتِ القرآنيَّة[3] وهذا النَّوعُ هو المقصودُ من قولهم: أمثالٌ ناشِئَة عن القرآن الكريم، وعدد أمثال هذا النَّوع محصور بالمقارنَةِ مع النَّوع السَّابق.

ومن النَّماذج التي نسوقها في هذا قول العرب: (خيرُ الأمورِ أَوْسَاطُهَا) فهذا المثلُ جَاءَ في معناه موافقًا لبعضِ آي الذِّكر الحكيم؛ قال الله تعالـــى:

﴿**لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾ الآية [سورة البقرة:68]، وقـال – عزَّ وجلَّ –: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ الآية [سورة الإسراء:29]، وغيرها.

وقد صنَّف بعض المؤلِّفين كتابًا خاصًا في هذا النَّوع، نمثل لذلك بكتاب (الأمثال الكامنة في القرآن الكريم) للحُسين بن الفضل (ت:282هـ)[4].

---

[1] – فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض– المملكة السعودية، ط 14، سنة: 1426هـ/2005م، ص: 590

[2] – مناع القطـــان، مباحث في علـــوم القـــرآن، مكـتبة وهبة، القاهرة– مصر، ط 11، سنة: 1421هـ/2000م، ص: 279

[3] – الحسين بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تح: علي حسين البوَّاب، مكتبة التوبة، الرياض– المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1412هـ/1992م، ص: 10

[4] – الكتاب مطبوع ومحقَّق؛ ينظر الهامش السَّابق.

وزاد بعض الدَّارسين المحدثين ضربًا ثالثًا من أنواع الأمثال في القرآن الكريم سمَّوه بالأمثال المُرْسَلَةِ، وَحَدُّ هذه الأمثال أنَّها: " آياتٌ جاريةٌ مجرى الأمثال "[1]، ومن نماذجها قوله تعالى: ﴿**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ [سورة يوسف:51]، وقوله: ﴿**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾ [سورة هود:81].

وقد سَبَقَ أولئك المحدثين في استعمال هذا النَّوع بَعضُ المتقدمين حيث إنَّهم أدرجوا بعضًا من الشَّواهد والنَّماذج التي يُتَمَثَّلُ بها من هذا النَّوع في كتبهم، فهذا الأبشيهي (ت:850هـ) يذكر في كتابه (المُسْتَطرَفُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظرَفٍ) جملةً منها[2]، ولم يذكر من أمثال القرآن إلاَّ هذا النَّوع، واستغنى عن النَّوعين السَّابقين.

وفي هذا النَّوع –الأمثال المرسلة– خلافٌ بين الدَّارسين[3] من حيث الإقرار به من عدمه، وقد اختلف بعض العلماء الأوائل في حكم استعماله استعمال الأمثال، بين المنع، والكراهة، والجواز[4].

---

[1] – ينظر: [سامي عطا حسن، " الأمثال في القرآن الكريم خصائصها التربوية وسماتها البيانية " في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، العدد 1، سنة: 1432هـ/2011م، ص: 22] و[مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 280] و[فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: 598]

[2] – شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، إش: المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، (د.ط)، سنة: 1412هـ/1992م، مج: 1، ص: 44

[3] – فمنهم من أقرَّ به وجعله ضربًا ثالثًا من أنواع الأمثال في القرآن الكريم، ومنهم من لم يقرَّ به، والمسألة فيها جدل واسع؛ للاستزادة ينظر: سامي عطا حسن، " الأمثال في القرآن الكريم خصائصها التربوية وسماتها البيانية "، ص: 23].

[4] – ينظر: [مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 281] و[فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: 599]

2- أمثال الحديث:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص (ت:65هـ): " حَفِظْتُ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَلْفَ مَثَلٍ "[1] فهذا القول يعتبر شاهدًا على اشتمال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمثال؛ وقد أَوْرَدَ أصحاب كتب الأمثال الكثير من الأحاديث النَّبويَّة وجعلوا منها أمثالاً تُضرَبُ في مواقفَ وحالاتٍ معيَّنَةٍ؛ ومنبع هذا الاهتمام من هؤلاء القوم يرجع إلى مكانة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم وأقواله عندهم.

وقد لاحظ المستشرق المجري جولد تسيهر (ت:1342هـ) بأنَّ هؤلاء المُصنِّفين قد أكثروا من نقل أقوال النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وجعلوها أمثالا يُستشهَدُ بها، فَدَعَاهُ ذلك للقول: " لا يوجدُ حدٌّ فاصلٌ بين (المثلِ) و(الحديثِ) في كثيرٍ من الأحيانِ؛ وعلى هذا يمكن العُثُورُ على هذا المَثَلِ أو ذَاكَ في كُتُبِ الحديثِ، والعَكْسُ بالعَكْسِ"[2].

والسَّبَبُ الذي جعل هؤلاء المُصنِّفينَ يُدرجونَ أحاديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم الخاصَّة بجمع الأمثالِ يرجعُ إلى اشتراك أَقوالِ رسول الله وأَحاديثِه مع الأمثالِ في بعضِ الخَصَائِصِ والسِّمات منها: الذُّيوع والانتشارُ، وكثرة التَّداول والمسير بين ألسنة عامَّة النَّاس وخاصَّتهم، والإصابة في المعنى، وكذا الإيجازُ في العبارة ولكن ليس على الإطلاق، فهناك من

[1] – أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بومباي– الهند، ط 1، سنة: 1404هـ/ 1983م، ص: 6

[2] – ردولف زلهايم، الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عُبيد، ص: 38

أمثال الحديثِ ما جاء مبنيًّا على السَّردِ الوصفِيِّ وهذا النَّوع يَشْتَهِرُ بالطُّول وهو خاصٌّ بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا النَّوع تخلو منه كتب الأمثال تقريبًا.

ومن الأسباب التي جَعَلَت من هؤلاء المصنِّفين يُدرجُونَ بعض أحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصنَّفاتهم نظرهم في كلامه صلى الله عليه وسلم فوجدوا بأنَّه يشملُ كلَّ خصائِص المثل التي ذكروها ويزيدُ عليها؛ قــال الجاحظ (ت:255هـ) واصفًا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وهو الكَلامُ الذي قَلَّ عَدَدُ حُرُوفِهِ، وَكَثُرَ عَدَدُ مَعَانِيْهِ، وَجَلَّ عَن الصِّنْعَةِ، ونُزِّهَ عن التَّكَلُّفِ...وَلَمْ يَتَكَلَّمْ إلاَّ بِكَلَامٍ قَدْ حُفَّ بالعِصْمَةِ "[1] فهذه النَّبْذَةُ المُقتَطَفَةُ من قَولِ الجَاحظِ في وَصفِهِ لكلامِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم تشتملُ على الخِلَالِ والسِّمات التي ذكرها أولئك الذين عرفوا المثل.

والمُقَلِّبُ لصفحاتِ بعض كتب الأمثال[2] أوَّلُ ما سيلحظه في سَردِ مادَّتها أنَّها تَفتَتِحُهَا بذكرِ أمثالِ الحديث النَّبويِّ؛ وأنواع أمثال الحديث الشَّريف المبثوثة في تلك الكتبِ على قسمين:

القِسمُ الأوَّل: أمثالٌ مُوجَزَةٌ: وهي تلك الكلماتُ الجَامِعَةُ التي قَالَها صلى الله عليه وسلم في أمرٍ من أمورِ الدِّينِ أو الدُّنيَا؛ ومن النَّمَاذِجِ المبثوثة في كتب الأمثال من هذا النَّوع قوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من البيانِ لسحرًا)، (إيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ)، (الحياءُ لا يأتي إلاَّ بخير)، (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط 7، سنة: 1418هـ/1998م، ج: 2، ص: 16–17

[2] – ينظر: [أبو عبيد القاسم بن سلَّام، كتاب الأمثال، ص: 34] و[أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 13] و[علي بن محمَّد بن حبيب الماوردي، الأمثال والحكم، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض– المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1420هـ/1999م، ص: 53]و[الميداني، مجمع الأمثال، ج: 1، ص: 7]

القِسمُ الثَّانِي: أمثالٌ مُفَصَّلَةٌ: قال الرامهرمزي (ت:360هـ): " وَهَذِهِ بَيَانٌ وَشَرْحٌ وَتَمْثِيْلٌ يُوَافِقُ أَمْثَالَ التَّنْزِيْلِ التي وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا وَأَوْعَدَ، وَحَرَمَ وَأَحَلَّ، وَرَجَّى وَخَوَّفَ، وَقَرَعَ بِهَا المُشْرِكِيْنَ، وَجَعَلَهَا مَوْعِظَةً وَتَذْكِيْرًا "[1] فهذا النَّوع يُشبِهُ أمثال القرآن التي جاءت مبنيَّة على السَّردِ الوصفيِّ حيث إنَّها تمتازُ بالطُّولِ، والتَّصويرِ، والتَّمثيلِ؛ ومن نماذج هذا النَّوع في كتب الأمثال قوله صلى الله عليه وسلم: (ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبي الصِّراط سُورٌ فيه أبوابٌ مفتوحةٌ، وعلى تلك الأبواب سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى رَأسِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ: ادخُلُوا الصِّراط ولا تَعُوجوا...)[2].

ثالثًا: تصنيف الأمثال حسب سمتها الاصطلاحيَّة:

يقع تحت هذا التَّصنيف ثلاثة أنواع من الأمثال؛ هي:

أ- الأمثال الموجزة:

هذا النَّوع هو المقصودُ إذا أطلقت لفظَةُ (المثل) وقد سبق تعريفه على أنَّه: " قولٌ موجزٌ سائرٌ، صائبُ المعنى، تشبَّهُ به حالةٌ حادِثَةٌ بحالةٍ سالفةٍ "[3].

فمن خلال هذا التَّعريف يمكن أن نُدْرِجَ تحت هذا النَّوع كُلَّ نَمَطٍ من الأنماطِ التَّعبيريَّة التي تشتركُ معه في بعض السِّمات والخصائِصِ، فيدخل تحته كُلٌّ من الحِكَمِ الموجزة التي تداولها النَّاس

[1] – أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، أمثال الحديث، ص: 5

[2] – أبو عبيد القاسم بن سلَّام، كتاب الأمثال، ص: 34

[3] – عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص: 11

وسارت بينهم، وكذا الأمثال الشِّعريَّةِ بأنواعها، كما يندرج تحت هذا النَّوع الأمثال على وزن (أَفْعَل من)[1] الدَّالةِ على المبالغةِ، وذلك عَمَلاً بالقاعدة التي أُستُنْبِطَت من كتب المصنِّفين في الأمثال.

ب- الأمثال القياسيَّة:

عُرِّفَ هذا النَّوع بأنَّه: " ذلك السَّـرد الوصفي أو القصصي الذي يستهدفُ توضيحَ فكـرةٍ مَا، أو البرهنة عليها عن طريق التَّشبيهِ أو التَّمثيلِ الذي يقومُ على المقارنَةِ والقِيَاسِ "[2].

هذا التَّعريف يدلُّ على وجود فرق بين النَّوع الأول وبين هذا النَّوع، ويتمثل هذا الفرق في كون المثل السَّائر موصوفًا بالإيجاز، في حين تتَّصف الأمثال القياسيَّة بالسَّرد، ومن المعلوم أنَّ السَّرد فيه نوع من الطُّول، فمن هذا يتَّضحُ أنَّ الأمثال القياسيَّة تَصدُقُ على نوعٍ خاصٍ من التَّعبيرات، يمكن حصرها في نوعين مُحدَّدينِ هما: أمثال القرآن المصرحِ بها، وأمثالُ الحديثِ المفصَّلَةِ، بالإضافة إلى كُلِّ ما نُسِجَ على منوال هذين النَّوعينِ، وهو قليل جِدًّا في التُّراثِ العربي.

ج- الأمثال الخرافيَّة:

الخُرَافَةُ في العُرْفِ اللُّغويِّ العربيِّ منسوبَةٌ إلى شَخْصٍ سمِّي خُرَافَة؛ قال ابن دريد: " زعـم ابن الكلبي أنَّه رجلٌ من بني عُذرة اختطفته الجنُّ ثم رجع إلى قومه، فكان يحدِّث بأحاديثَ يُعجبُ منها، فجرى على أَلْسُنِ النَّاس: حديثُ خُرَافَة "[3]، وقالت العرب في أمثالها: (حَدِيْثُ خُرَافَةٍ يا أمَّ عَمْرِو)

---

[1] – صيغة (أفعل) لا تختصُ بالتفضيلِ فقط، وإنَّما تختص بأشياء أخرى نحو: الألوان والعيوب، تقول: (أحمر، أزرق؛ أعور، أبرص...)؛ ولكن لمَّا لحقت (من) بهذه الصيغة اختصت بالتَّفضيل والمبالغة دون الألوان والعيوب.

[2] – عبد المجيد قطاش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص: 30

[3] – ابن دريد، جمهرة اللغة، ج: 2، ص: 588

وهو يضرب فيما لا أصل له، وزاد الميدانيّ على ما ذكرناه لابن دريد قَولَه: " وعن النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه قال: خُرَافَةُ حَقٌّ، يعني ما تحدَّثَ به عن الجنِّ حَقٌّ "[1].

أمَّا في الاصطلاح فالمثل الخرافيُّ هو: " حكايةٌ ذاتُ مغزى تقالُ على لسان غير الإنسان، لغرضٍ تعليميٍّ أو فكاهيٍّ "[2]، يدلُّ هذا على أنَّ الأمثالَ الخرافيَّة لا أساس لها في الواقع أو العقل، وإنَّما هي منسوجة من بُنَيَّاتِ الأفكار والخيال، حيث يَعْمَدُ الإنسانُ إلى سردِ حكايَةٍ على لسانِ حيوانٍ أو جمادٍ أو تكون مَرْوُيَّةً عنه، هذا السَّرد فيما يُسمَّى بالحكاية يحمل مغزًى مُعيَّنًا، ولهذا المغزى غايةٌ تُدرك من خلال تحليل الحِكَايَةِ وربطِها بسياقها الذي ظهرت فيه.

وإذا رجعنا إلى كتب الأمثال فإنَّنا نجدها تنقل بعضًا من نماذج هذا النَّوع، ومن تلك الشَّواهد ما ذكره العسكري في جمهرته، قال: " قولهم: (كطالبِ القرنِ فُجُدِعَت أُذُنُهُ) يضربُ مثلاً للرَّجُلِ يَطْلُبُ رِبْحًا فَيَقَعُ فِي الخُسْرَانِ "[3] وأصلُ هذا المثل حكاية عن نَعَامَةٍ، مَفَادُهَا أنَّ هذه النَّعامة ذهبت تطلبُ قرنين، فرجعت مقطوعة الأذنين.

ومن الشَّواهدِ – أيضا – قولهم: (أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثَّورُ الأَسْوَدُ) وهو مضروبٌ للرَّجل يفقد من يَنْصُرُه وهو السَّبب في ذلك، وأصله أنَّ ثورين: أسودَ وأبيضَ، كانا في بعض المروجِ، فكان الأَسَدُ إذا قصد الفَتكَ بهما تَعاونا على ردِّه، فَخَلا يومًا بالأبيضِ، وقال له: إنْ خَلَّيتَنِي فأكلتُ الأسودَ خلا لك مَرْعاكَ، فخلاَّه، فأكله، ثم عطف الأسد على الثَّور الأبيض فافترسه، فقال: (أُكلتُ يومَ أُكِلَ

---

[1] – مجمع الأمثال، ج: 1، ص: 195؛ وينظر: [أحمد بن محمَّد بن حنبل، المُسْنَدُ، شر: حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة– مصر، ط 1، سنة: 1417هـ/1995م، ج: 17، ص: 550، رقم: 25120].

[2] – محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص: 46

[3] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص: 126

الثَّورُ الأسود)[1]؛ فهذه الحكاية مروية على لسان هذه الحيوانات، أمَّا حكاية النَّموذج السَّابق فهي عنها.

وفي هذين النَّموذجين غرضٌ تعليميٌّ بارزٌ، وهو من بين أهداف هذا النَّوع من الأمثال، كما أنَّ استخدام الحيوانات في هذا النَّوع يكون بمثابة الرُّموز والإشارات، فلا يُرَادُ من الاستعانة بهذه الحيوانات والجمادات أن تَدُلَّ على نفسها بل يُرَادُ منها أشياء أخرى تُفْهَمُ حسب سِيَاقِ وحِكَايَةِ كُلِّ مَثَلٍ على انفراد.

وفي نهاية هذا المبحث نستنتج أنَّ هذه التَّصنيفات الثلاث التي ذكرت ليست مُحكمة كما ينبغي، بل هي نسبيَّة، وتتفاوت درجة النسبيَّة من تصنيفٍ إلى آخر، ومن نوعٍ إلى آخر، بحيث يمكن حذف بعض الأنواع والاستغناء عن البعض، كما يمكن إدراج بعض الأنواع تحت نوعٍ واحد لوجود علاقة بينها، كما يمكن أيضًا التَّفصيل في بعض الأنواع؛ والسَّبب الذي يعود إليه عدم القدرة على وضع تصنيف محكم يرجع إلى كثرة الأمثال هذا من جهة، وتباين هذه الأمثال من جهة أخرى، بالإضافة إلى تضارب وجهات نظر الباحثين من جهة ثالثة، وغيرها من الأسباب.

[1] – أبو هلالٍ العسكري، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 61 (بتصرف)

الفصل الثَّاني

دراسة التَّشبيه من خـــلال جمهرة الأمثال لأبي هلالٍ العسكريّ

- المبحث الأوَّل: التَّعريف بصاحب المدوَّنة ووصف منهجه فيها
- المبحث الثَّاني: التَّعريفُ بفنِّ التَّشبيه
- المبحث الثَّالث: دراسة تطبيقية على التَّشبيه في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلالٍ العسكريّ

الفصل الثَّاني

المبحث الأوَّل : التَّعريف بصاحب المدوَّنة ووصف منهجه فيها

في هذا الفصل سنعالج مسألة التَّشبيهِ في الأمثال العربيَّة، والتَّشبيهُ المراد البحث فيه هنا هو التَّشبيه بمفهومِهِ الاصطلاحيّ في علم البيان، حيث سنقوم بوصف هذا المبحث وفقَ ما أورده علماءُ البيانِ في كتبهم، ثم نُحَلِّلُ الكلام الذي قالوهُ في هذه المسألةِ حَسْبَ ما يقتضِيهِ البحثُ العلميُّ؛ وبعدَ ذلكَ نُطبقُ ما جاءَ في هذا المبحثِ على الأمثالِ العَرَبِيَّةِ التي وردت في كتابِ (جمهرةِ الأمثالِ) لأبي هلالٍ العَسْكَرِيّ لنكشف عن الأهداف التي يُؤدِّيهَا التَّشبيه في الأمثال المُطَبَّقِ عليها؛ ولَكِنْ قبلَ الولوج إلى كُلِّ ذلك سَنُعَرِّفُ بالمدونة التي تحوي النَّماذج التي سنطبق عليها ونترجم لصاحبها ونذكر منهجه فيها، وذلك ليسهل علينا ما سنخوض فيه من بعد.

فإذا تتبعنا ما جاء في الفقرة السَّابقة حصَّلنا ثلاثة مباحثٍ؛ وبيان كُلِّ مبحث من هذه المباحث هو كالتَّالي:

المبحث الأوَّل: التَّعريف بصاحب المدوَّنة ووصف منهجه فيها

أوَّلاً: ترجمة أبي هلالٍ العَسْكَرِيُّ

اسمُهُ: هو الحَسَنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سَهْلِ بن سَعِيْدِ بن يَحْيي بن مِهرانَ العسكريّ[1].

[1] – ينظر: [شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1414هـ/1993م، ج: 2، ص: 918] و[علي بن أنجب المعروف بابن السَّاعي، الدُّرُ الثمينُ في أسماء المصنِّفين، تح: أحمد شوقي بِنبين ومحمَّد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، سنة: 143هـ/2009م، ص: 337] و[جلال الدِّين السّيوطيّ، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، (د.ب)، ط 2، سنة: 1399هـ/1979م، ج: 1، ص: 506]

كُنْيَتُهُ: أَبُو هِلَالٍ؛ هذه الكُنْيَةُ تُوحي بأنَّ للعسكريّ وَلَدًا، ولكنَّ النَّاظِرَ في كتبِ التَّراجِمِ والطَّبقَاتِ سيلاحِظُ بأنَّها لا تَذْكُرُ عن أَهْلِ بيتِ العسكريّ أي خبرٍ يمكنُ من خلالِهِ إثبات هذه الكُنيَة هل هي على وجهِ الحقيقةِ أم هي كُنيةٌ اشْتَهَرَ بِهَا فقط.

نِسْبَتُهُ: العَسْكَرِيُّ –بفتح العين، وسكون السِّين المهملتين، وفتح الكاف، وبعدها راء– هذه النِّسبَةُ تَعُودُ على عِدَّةِ مَوَاضع وَأَشياء؛ أشهرها (عَسْكَر مُكْرَم) –التي يُنْسَبُ إليها أبو هلالٍ– وهو بَلَدٌ مَشْهُوْرٌ من نَوَاحِي خُوزسْتَان[1].

أَصْلُهُ: لم تُشِرْ كُتُبُ التَّراجِمِ إلى أَصلِ أبي هلالٍ، وقد ذهبَ بعضُ الباحثينَ للقولِ بأنَّ أصلَهُ فَارِسِيٌّ ودليلهم في ذلك أنَّهم وجدوه يُورِدُ بَعْضَ الألفاظِ الفَارسيَّةِ في كُتُبِهِ وفي هذا نظرٌ.

مَوْلِدُهُ: لم تَذْكُرْ كُتُبُ التَّراجِمِ والطَّبقاتِ تاريخ مَولِدِ أبي هلالٍ العسكريِّ، وهذا يَعُودُ إلى أسبابٍ مُعيَّنة، لعلَّ أبرزها عدم شهرته في تلك الفترةِ الشُّهرة التي تجعله مصدر اهتمامٍ عند المُؤَرِخِينَ والمُترجِمِينَ، ومن أسبابِ عَدَمِ شُهْرَتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَجُبْ الأَقْطَارَ والأَمصَارَ كَمَا هي عَادَةُ العُلَمَاءِ؛ قال الذَّهبيُّ (ت:748هـ): " وَمَاْ أَظُنُّهُ رَحَلَ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَم "[2].

---

[1] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ناشرون، بيروت– لبنان، (د.ط)، سنة: 1397هـ/1977م، ج: 4، ص: 123

[2] – شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1413هـ/1993م، ج: 28، ص: 512

كما أنَّ تَشَابُهَ اِسْمُ أَبَي هِلَالٍ مع اسمِ أُسْتَاذِهِ وَخَالِهِ أَبِي أَحْمَدَ العَسْكَرِيُّ (ت:293هـ)[1] لَعِبَ دَوْرًا في جَعْلِ المُترجمين يظنُّونَ بأَنَّهُمَا شخصٌ وَاحدٌ، قالَ أبو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ (ت:576هـ): " وَكَانَ لأَبِي أَحْمَدَ تِلْمِيذٌ وَافَقَ اِسْمُهُ اِسْمَهُ، وَاِسْمُ أَبِيهِ اِسْمَ أَبِيهِ، وهو عَسْكَرِيٌّ أَيضًا، فَرُبَّمَا اِشْتَبَهَ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ "[2]؛ وَمِنَ المُؤَرِخِينَ الذين يُشَكُّ في أَنَّهم وَقَعُوْا في هذا نذكر: أبا العبَّاسِ بن خَلِّكَانَ (ت:681هـ) الذي أَفَاضَ في ترجمتِهِ لأبي أحمدَ العَسْكَرِيّ[3] ولم يُشِرْ ولو إشارةً عابرةً إلى تلميذِهِ وابنُ أُخْتِهِ أبي هِلَالٍ، أمَّا صاحب (الأعلام) فقد صرَّح بخطئه فقال: " كَانَ مِنَ الخَطَأِ فِي الطَّبْعَةِ الأُولَى مَزْجُ تَرْجَمَتَي أَبِي هِلَالٍ هذا وَأَبِي أَحْمَدَ المُتَقَدِمِ ذِكْرُهُ، فِي تَرْجَمَةٍ وَاحِدَةٍ "[4] والسَّبب يعود إلى اتِّفَاقِ اسم أبي هلال مع اسم أبي أحمد.

شُيُوْخُهُ: لا تَذْكُرُ كُتُبُ التَّراجِمِ من شُيُوخِ أبـي هـلالٍ إلاَّ اثنين؛ قـال الذَّهبيُّ عـن أبي هلال: " تَلْمَذَ للعَلاَّمَةِ أبي أحمدَ العَسْكَرِيّ، وَحَمَـلَ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي القَاسِمِ بن شيران، وَغَير وَاحِـدٍ "[5].

فهذان العالمان من شيوخه الذين جالسهم، وَسَمِعَ منهم، وروى عنهم؛ وقد أَثْبَتَ أبو هِلَالٍ تَتَلْمُذَهُ على أبي أحمدَ العسكريّ بِنَفْسِهِ، فهو ما يَنْفَكُ يذكرهُ في صفحات كُتُبِهِ، والمُطَّلِعُ على بَعْضِ

---

[1] – هو الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري أبو أحمد، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، كان من الأئمَّة المذكورين في التَّصرف في أنواع العلوم والتَّبحر فيها، انتهت إليه رياسة التَّحديث والإملاء للآداب والتَّدريس بقطر خوزستان، تتلمذ على جملة من العلماء المشهود لهم منهم: ابن دريد (ت:331هـ) ونفطويه (ت:323هـ)؛ ينظر: [ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 911].

[2] – معجم الأدباء، ج: 2، ص: 918

[3] – أبو العبَّاس شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزَّمان، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت– لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج: 2، ص: 83

[4] – خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط 15، سنة: 1423هـ/2002م، ج: 2، ص: 196 [ينظر الهامش رقم (2)]

[5] – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج: 28، ص: 512

كُتُبِ[1] أبي هلالٍ سيلحظُ بِأنَّه يكثرُ مـن قَـولِ مثل هـذه العبارات: (أخبرنا أبو أحمد) و(حـدَّثنا أبو أحمد) و(أنشدنا أبو أحمد)، وغيرها.

ولأبي هلالٍ العسكريّ نوعٌ آخرٌ من الشُّيوخِ، وهم أولئك الذين لم يُجَالِسْهُم ولم يَسْمَعْ مِنْهُم مُباشرةً، ولكنَّه تَتَلْمَذَ على كُتُبِهِم وآثَارِهِم؛ قال مُحَقِّقًا كتاب (الصِّنَاعَتَينِ) عن أبي هلال: " اسْتَعَانَ في تَأْلِيفِهِ بِجُلِّ مَا كَتَبَ سَابِقُوهُ مِمَّن عَالَجُوا مِثْلَ مَوضُوعِهِ؛ وَنَذْكُرُ مِنْ هَؤُلَاءِ: اِبْنُ سَلاَّمٍ، وكتابه طبقات الشُّعراءِ، والجاحظ، وكتابه البَيَانُ والتَّبيينُ، وابن قتيبة، وكتابه نَقْدُ الشِّعرِ، وابن المُعْتَزِ، وكتابه البَدِيعُ، وقدامةُ، وكتابه نَقْدُ الشِّعْرِ، والآمديّ، وكتابه الموازنَةُ، والقاضي الجرجانيُّ، وكتابه الوساطة بين المُتَنَبِي وَخُصُوْمِهِ؛ وَقَدْ اسْتَطَاعَ أَبُو هِلَالٍ أَنْ يَعْرِضَ لَنَا زُبْدَةَ هَذِهِ الكُتُبِ فِي كِتَابِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَجْعَلُنَا نَكَادُ نَسْتَغْنِي عَنْهَا جَمِيعًا "[2]؛ فهذا يدلُّ على عُلُوِّ كَعْبِهِ في الكتابة وتمكُّنِهِ منها.

تَلَامِيذُهُ: تَذْكُرُ كُتُبُ التَّراجِمِ والطَّبَقَاتِ ثُلَّةً من طَلَبَةِ العِلْمِ جالسوا أَبَا هلالٍ، واغْتَرَفُوا من عِلْمِهِ؛ قال ياقوت الحمويُّ (ت:626هـ): " وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ رَوَى عَنْهُ: أَبُو سَعْدٍ السَّمَّانُ الحَافِظُ بالريّ [(ت:445هـ)]، وأبو الغنائم ابن حمَّـاد المقـرئ إمـلاءً بالأهوازِ، وأبو حكيم أحمـد بن إسماعيلَ بن فضلان اللُّغويُّ بالعَسْكَرِ، وآخرون "[3]؛ وزاد الذَّهبيُّ: مظفَّر بن طَاهِرٍ الآستريُّ[4].

---

[1] – ينظر: [الصِّناعتين، ص: 12–23–126] و[جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 18–19–20] و[ديوان المعاني، شر: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميَّة، بيروت–لبنان، ط 1، سنة: 1413هـ/19994م، ج1، ص: 21–27].

[2] – أبو هلال العسكريّ، الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، ص: (ج) من مقدمة المحققين: علي محمَّد البجاوِيّ، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم.

[3] – معجم الأدباء، ج: 2، ص: 919

[4] – تاريخ الإسلام، ج: 28، ص: 512

آثاره ومصنفاته: لقد خلَّف أبو هلال العسكريُّ للمكتبة العربيَّة الإسلاميَّة كمًّا زاخِرًا من المُصَنَّفاتِ والآثار المتنوعة، منها ما حَفِظَهُ التَّاريخُ وخلَّدَهُ بذكرِهِ وانتشارِهِ في ربوعِ الأقطارِ والأمصارِ، ومنها ما أَتَى عليهِ الدَّهْرُ فَضَاعَ ولم يَبْقَ مِنْهُ إلاَّ اسْمُهُ؛ ومن جملة ما خطَّه وقدَّمه لهذه الأمَّة ما ذكره أبو طاهر السِّلَفِيُّ حين قال: " وله كتابٌ في اللُّغةِ وَسَمَهُ (بالتَّلخيصِ)[(1)] كتابٌ مفيدٌ، وكتابُ (صناعتي النَّثرِ والنَّظمِ)[(2)] وهو أيضًا كتابٌ مفيدٌ جدًّا "[(3)].

وعدَّ ياقوت الحمويُّ خمسةَ عشرَ كتابًا دون الكتابين السَّابقين ليصبِحَ المجموع سبعةَ عَشَرَ كتابًا؛ وأضاف السُّيوطيُّ كتابًا[(4)]، وقال البغداديّ (ت:1093هـ) بعد سرده للكتب التي ذكرها ياقوت الحمويّ: " وَلَهُ عِنْدِي كِتَابُ (الفُرُوقُ في اللُّغَةِ)، وكتابُ (دِيوَانُ المَعَانِي)؛ وَهُمَا دَالَّانِ عَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ "[(5)] لِيُصْبِحَ مجموعُ كُلِّ ذلكَ عشرين مصنَّفًا.

---

[1]– **كتاب التَّلخيص:** هو معجمٌ في المعاني والصِّفات؛ قال أبو هلال: " هذا كتاب التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونُعوتِها، وشَرْحِ أنواعِها وفُنُونِها التي تفْتقِرُها عَامَّةُ أهلِ الأدَبِ إلى عِلْمِها، وتَحْتَاجُ إلى إتْقانِها وحِفْظِها " [تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق– سورية، ط 2، سنة: 1417هـ/1996م، ص: 29]

[2]– **هو المعروف بالصِّناعتين،** وهو مطبوعٌ ومحقَّق، جعله في البلاغة والأدب والآراء النَّقديَّة المتعلقة بصناعتي النَّثر والنَّظمِ؛ قال فيه: " فرأيت أن أعملَ كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحْتَاجُ إليه في صِنْعَةِ الكلام: نثرِهِ ونظمِهِ، ويستعملُ في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهابٍ وإهذار؛ وأجعله عشرة أبوابٍ مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً " [ص: 5]

[3] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 919

[4] – بغية الوعاة، ج: 1، ص: 506

[5] – عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط: 4، سنة: 1418هـ/1997م، ج: 1، ص: 231

أمَّا المستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت:1377هـ) فقد أحصى من آثار وَمُصَنَّفَاتِ أبي هلالٍ العسكريّ أربعةً وعشرين مصنَّفًا[1]؛ وهي مُوزَّعَةٌ ما بين اللُّغةِ والتَّفسيرِ والوعظِ والنَّوادرِ، وكانَ الغالبُ عليه الأدب والشِّعر؛ قال عن بعض العلوم التي حصَّلها في أيامه ولياليه[2]:

وَلَيَـــالٍ أَطَـلَـنَ مُدَّةَ دَرْسِـــيَ *** مِثْلَمَا قَدْ مَدَدْنَ فِي عُمْرِ لَهْوِيَ

مَـرِّ لِي بَعْضُـهَا بِفِقْـهٍ وَبَعْضٌ *** بَيـنَ شِعْـرٍ أَخَـذْتُ فِيهِ وَنَحْوِ

وَحَـــدِيثٍ كَـأَنَّهُ عِقْـــدُ رَيَّـــا *** بِـتُّ أَرْوِيـهِ لِلـرِّجَـالِ وَتَـرْوِىْ

حاله: إنَّ المتأملَ في شعرِ أبي هلالٍ العسكريّ سيكتشف أنَّ حياته لم تكن سهلة ميسرة، فكثيرًا ما نجده يشتكي من الدُّنيا وأهلها، وهو حين يَصِفُ حَالَهُ في زَمَنٍ لم يُقَدِّرْ أهله العلمَ والعلماءَ، يَقُوْلُ مُتَسَخِّطًا[3]:

إِذَا كَـانَ مَـالِيَ مَـالَ مَنْ يَلْقُطُ العَجَمْ *** وَحَـالِي فِيكُمْ حَـالَ مَنْ حَاكَ أَو حَجَمْ

فَأَيــنَ انْتِفَـاعِيَ بِالأَصَـــالَةِ والحِجَـا *** وَمَـا رَبِحَـتْ كَفِّـيَ عَلَى العِلْمِ وَالحِكَمْ؟

وَمَنْ ذَا الذِي فِي النَّاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي *** فَـلَا يَلْـعَنُ القِـرْطَاسَ والحِبْرَ وَالقَلَـمْ؟

فهذه الأبيات تدلُّ على درجةِ السُّخطِ الذي بلغ بالرَّجل، فبالرَّغم من تمكن الرَّجل وتَضَلُّعِهِ في جملةٍ من العلومِ والفنونِ إلاَّ أنَّ ذلك لم يَشْفَعْ له من نَكَالِ الدُّنيا عليه.

---

[1] – تاريخ الأدب العربي، ج: 2، ص: 252 وما بعدها.

[2] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 921–922

[3] – المصدر نفسه، ص: 919

ومن نَكَالِهَا عليه أنَّها سَاقَتْهُ إلى دُخُولِ السُّوقِ لتكونَ حالُهُ في ذلك كَحالِ الدَّهمَاءِ من النَّاس، قال أبو الطيب الباخرزيّ (ت:467هـ): " بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الفَاضِلَ كان يَحْضُرُ السُّوقَ، وَيَحْمِلُ إِلَيهَا الوُسُوْقَ[1]، ويَحْلُبُ دَرَّ الرِّزْقِ وَيَمْتَرِي، بِأَنْ يَبِيعَ الأَمْتِعَةَ وَيَشْتَرِيَ؛ فَانْظُرْ كَيفَ يَحْدُو الكَلامَ وَيَسُوقُ، وَتَأَمَّلْ هَلْ غَضَّ مِنْ فَضْلِهِ السُّوقُ؟ "[2]؛ هذه المقامة دلَّت على المهنة التي امْتَهَنَهَا أبو هلالٍ، ولكنَّها لم تُصَوِّرْ لَنَا حاله كمَا شعر هو بذلك، فهو يقول عن نفسه في تلك الحالةِ[3]:

جُلُوسِيَ فِي سُوقٍ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي *** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَنَامَ قُرُوْدُ

وَلَاْ خَيرَ فِي قَوْمٍ يَذِلُّ كِرَامُهُمْ *** وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُوْدُ

وَيَهْجُوْهُمُ عَنِّيَ رَثَاثَةُ كِسْوَتِيَ *** هِجَاءً قَبِيحًا مَاْ عَلَيهِ مَزِيدُ

فهذا يدلُّ على أنَّه عاش حياة صعبةً وقاسية؛ وبالرَّغم من كدِّ الحياةِ ونصبِ العيش إلاَّ أنَّه لم يفقد إيمانه ولم يتزحزح اعتقاده بأنَّ هذه الحياة ليست بدار بقاءٍ؛ قال واصفًا أطوار حياة كلِّ إنسان[4]:

قَدْ تَعَاطَاكَ شَبَابُ *** وَتَغَشَّاكَ مَشِيبُ

فَأَتَى مَاْ لَيسَ يَمْضِي *** وَمَضَىْ مَاْ لَاْ يَؤُوْبُ

فَتَأَهَّبْ لِسُقَامٍ *** لَيسَ يَشْفِيهِ طَبِيبُ

لَاْ تَوَهَمْهُ بَعِيدًا *** إِنَّمَا الآتِي قَرِيبُ

---

[1] – **الوَسْقُ**: مِكْيَلَةٌ معلومةٌ، وهي ستونَ صَاعًا أو حِمْلُ البعير، والصَّاعُ خمسةُ أرطالٍ وثلث.

[2] – علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، دُمية القصر وعُصرةُ أهل العَصرِ، تح: محمَّد التونجي، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1414هـ/1993م، ج: 1، ص: 509

[3] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 919–920

[4] – المصدر نفسه، ص: 918

فهذه النُّبَذُ والمقتطفات الشِّعرية صورت لنا جانِبًا من جوانب حال أبي هلال العسكريّ، ولو اطلعنا على بقية أشعاره التي أودعها في ثنايا كتبه لاكتشفنا أشياء أخرى، وهي على العموم جاءت مرصَّعة بالمعاني الجليلة.

مَكَانَتُهُ وَصِفَاتُهُ العِلْمِيَّة: ذَكَرَ أَهْلُ العِلْمِ المُتَقَدِمِينَ من المؤرخين والمترجمين معلوماتٍ تَتَعَلَقُ بمكانةِ أبي هلالٍ العسكريّ وَصِفَاتِهِ العِلْمِيَّة، وَمِنْ ذلك أنَّه وُصِفَ باللُّغويِّ[1] وَجُعِلَت هذه الصِّفة أبرز الصِّفاتِ التي تميزهُ عن أستاذه أبي أحمد العسكريّ، فإذا قيل: الحسنُ بن عبد الله العسكريّ الأديب فهو أبو أحمد الأستاذ، وإذا قيل الحسن بن عبد الله العسكريّ اللُّغويُّ فهو أبو هلال التلميذُ.

وقد وَصَفَ القِفْطِيُّ (ت:624هـ) أبا هلال بأنَّهُ عَلَمٌ مِنَ الأَعْلامِ، قال في ترجمته لأبي أحمد العسكريّ: " وَلَهُ مِنَ الأَتْبَاعِ وَالأَصْحَابِ عُلَمَاءٍ أَعْلَامٍ؛ كَأَبِي هِلَالٍ العَسْكَرِيّ ومثاله، دَوَّخَ البِلَادَ، واسْتَفَادَ وَأَفَادَ "[2]؛ وزادَ على هذهِ الأوصافِ قَولَهُ أثناءَ ترجمته لأبي هلال: " الفَاضِلُ الكَامِلُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الأَدَبِيَّةِ...وَكَانَتْ لَهُ نَفْسٌ طَاهِرَةٌ زَكِيَّةٌ، وَتَصَانِيفُهُ فِي غَايَةِ الجَودَةِ "[3]؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ نَظْمًا[4]:

وَأَحْسَـنُ مَاْ قَرَأْتُ عَلَى كِتَابٍ	***	بِخَـــطِ العَسْكَرِيِّ أَبِي هِـلَالِ
فَلَـوْ أَنِـي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيشٍ	***	لَـمَا قَـاتَـلْـتُ إِلاَّ بِالسُّـــؤَالِ
فَـإِنَّ النَّـاسَ يَنْـهَزِمُـوْنَ مِنْـهُ	***	وَقَدْ صَـبَرُوا لِأَطْرَافِ العَوَالِـي

[1]- ينظر: [ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 918] و[البغدادي، خزانة الأدب، ج: 1، ص: 230]

[2]- إنباه الرُّواة، ج: 1، ص: 346

[3]- المصدر نفسه، ص: 189

[4]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، ص: 133

هذه الأبيات تشيرُ إلى أنَّ أبا هلالٍ العسكريّ ذو باعٍ في الكتابة والتَّصنيف، وقد فاق أقرانه وهزم منافسيه.

وفاته: لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ التَّرَاجِمِ وَالطَّبقاتِ تَاريخًا مُحَدَّدًا لوفاةِ أبي هلالٍ العسكريّ، وإنَّما هي مُجَرَدُ تَخمِينَاتٍ وافتراضاتٍ ليسَ لها شواهد وأدلة قاطعة تُثبِتُهَا، والذي غَلَبَ على المُؤَرِخِينَ والمُتَرجِمِينَ[1] أنَّهم جعلوه من وفيات سنة خمسٍ وتسعينَ وثلاثِمِائَةٍ هجرية (395هـ) وهم في ذلك متابعين لياقوت الحمويّ في قوله: " وَأَمَّا وَفَاتُهُ فَلَمْ يَبْلُغْنِي فِيهَا شَيءٌ، غَيرَ أَنِّيَ وَجَدْتُ فِي آخِرِ كِتَابِ (الأَوَائِلِ)[2] مِنْ تَصْنِيفِهِ: وَفَرَغنَا مِن إِمْلَاءِ هَذَا الكِتَابِ يَوْمَ الأَرْبِعَاء لِعَشْرٍ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثْمِائَةٍ "[3]؛ ومن المترجمين[4] من ذهب للقول بأنَّه عاش إلى سنة أربعمائة هجريَّة (400هـ)، وذكره الذَّهبِيُّ من وفيات سنة عشرين وأربعمائة هجريَّة (420هـ) ولكنَّه قال: " أَتَوَهَمُ أَنَّهُ بَقِيَ إِلَى هَذَا العَصْرِ "[5]؛ والذي عليه أغلب الباحثين والدَّارسينَ المحدَثين أنَّهم يثبتون في كتاباتهم وتحقيقاتهم القول الأوَّل.

---

[1]– ينظر: [ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج: 2، ص: 921] و[جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج: 1، ص: 508] و[البغدادي، خزانة الأدب، ج: 1، ص: 231] و[خير الدين الزركلي، الأعلام، ج: 2، ص: 196].

[2] – **كتاب الأوائل:** هذا الكتاب يبحث في معرفة أوائل الوقائع والحوادث، قال أبو هلال: " وقد رأيتُ أكثر الخاصَّة وجلَّ العامَّةِ لهجينَ بالسُّؤال عن أوائل الأعمال... فعملتُ كتابي هذا مشتمِلاً على هذا النَّوع من الأخبار، وحاويًا لهذا الفن من الآثار" [تح: محمَّد السَّيد الوكيل، دار البشير، مصر، ط 1، سنة: 1408هـ/1987م، ص: 17–18] وهذا الكتاب لا يعدُّ آخر ما ألَّف العسكريُّ كما يفهم من ظاهر القول الموجود في المتن، بدليل أنَّ صاحبه أشار إليه في جمهرة الأمثال في غير ما موضع، ينظر على سبيل المثال: ج: 1، ص: 485/ج: 2، ص: 184–273

[3]– معجم الأدباء، ج: 2، ص: 921

[4]– ينظر: [القفطي، إنباه الرواة، ج: 4، ص: 189]

[5] – تاريخ الإسلام، ج: 28، ص: 512

ثانيًا: وَصْفُ المُدَوَّنةِ ومنهج صاحبها

المدوَّنة المختارة في هذا العمل هي مصنَّفٌ من المصنَّفات الأدبيَّة بالدَّرجة الأُولَى، وقد أطلق عليها صاحِبُها اسم (جَمْهَرَة الأَمثَالِ) ولم يذكر سَبَبَ تسمية كتابه بهذا الاسم، والغالبُ على الظَّنِّ أنَّه اقتَبَسَهُ من ابن دريد، بدليل أنَّ ابن دريد سمَّى كتابه (جَمْهَرَةَ اللُّغَةِ) لأنَّه اختار لَهُ الجُمْهُوْرَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ[1] أي المشهورَ، وفي هذا نوعٌ من الصَّرامة فِي تدوينِ الألفاظِ؛ وكذلك الحَالُ عندَ أبي هلالٍ العسكريّ فقد عُرِفَ بصرامتهِ في تدوينهِ للأمثالِ، حيث كان يميِّز بين الأمثال التي ينقلها، ولا يقبلُ كُلَّ ما يُصَادِفُهُ منها، وهذا ما صَرَحَ به في خطبةِ جمهرته[2].

وكتابُ (جمهرةِ الأمثالِ) من أمَّهات الكُتبِ التُّراثية التي وصلت إلينا، وهو من أصولِ كتبِ الأدب، جَمَعَ فيه صَاحبه عددًا كبيرًا من الأمثالِ، بلغَ حوالي ثلاثة آلاف مثل، وهي مختلفة ومتنوعة فيما بينها.

صَدَّرَ أبو هلالٍ جَمْهَرَتَهُ بِمُقَدِّمَةٍ حَمَلَت في ثناياها جملة من الأمور؛ منها: إشارته إلى منزلة الأمثال من الكلام، وذكر أنَّ العرب لمَّا عَرَفُوا حقيقة تلك المكانة أخرجت أمثالها في أقوى الألفاظ وأسهلها، كما أنَّه جعل من الأمثال علمًا منفردًا بنفسه يُحْتَاجُ إلى فهم هذا العلم جملة من الشُّروط، ثم صرَّح بطبيعة العمل الذي قام به في هذا الكتاب، وأتبع ذلك بذكره لنظام التَّرتيب الذي اختاره لأمثال كتابه، وبعدها أخبر عن بعض المصادر التي استقى منها مادَّة كتابه، كما أنَّه تناول ذكر اشتقاق كلمة (مثل) وما المقصود من قولهم: (ضربُ المثل).

---

[1] – ابن دريد، جمهرة اللُّغة، ج: 1، ص: 41

[2] – أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال: ج: 1، ص: 11

وختم المقدِّمة بذكره لقانونٍ من قوانين الأمثال وهو أنَّ (الأمثال تُحكى) وَفَسَّرَهُ بقوله: " أَنَّهَا تُضْرَبُ عَلَى مَا جَاءَت عن العَرَبِ، وَلَاْ تُغَيَّرُ صِيغَتُهَا "[1].

وَبَعْدَ المُقدِّمة شَرَعَ أبو هلالٍ في سَرْدِ مادَّةِ كتابهِ، وهي مُرَتَّبَةٌ على نَسَقِ حروفِ المُعجَمِ، وقد سَبَقَ أبا هلال العسكريّ في الاعتماد على مثل هذا التَّرتيب حمزةُ الأصبهانيّ الذي رتَّب الأمثال التي جاءت مبنية على صيغة (أفعل من) ترتيبًا معجميًا، وهي موزعة على ثمانية وعشرين بابًا بحسب عدد حروف المعجم، إلاَّ أنَّ أبا هلالٍ خالف حمزة الأصبهاني في نقطتينِ هامَّتين:

الأولى: تكمن في أنَّه رتَّب كلُّ أمثال كتابه ترتيبًا معجميًا، فهو بهذا سبَّاق إلى ذلك، باعتبار أنَّ المؤلِّفين الذين سبقوا حمزة الأصبهانيّ كان ترتيبهم للأمثالِ مبنيًا على حسب الموضوعات، والهدف عند أبي هلال من اختيار هذا النَّوع من التَّرتيب هو التَّسهيل على الباحثين، غير أنَّه لم ينظرْ في ترتيبه إلى الحرف الثَّاني والثَّالث وهكذا، بل اكتفى بالنَّظر إلى الحرف الأوَّل فقط، فإذا ما أردنا الوصولَ إلى المثل القائل: (إنْ يَبْغِ عَلَيكَ قَوْمُكَ لَاْ يَبْغِ القَمَرُ) سَيَتَوَجَّبُ علينا البحث عنه في كافة باب الألف، وفي هذا مشقة بعض الشَّيءِ، فالتَّسهيل الذي ابتغاه أبو هلال من خلال ترتيبه نسبيٌّ.

والثَّانيةُ: أنَّه زادَ بابًا على ما أورده حمزةُ الأصبهانيُّ ليصبحَ المجموع تسعة وعشرين بابًا، ثمانية وعشرون منها مُنَظَمٌ على حروف المعجمِ، أمَّا البابُ المضاف فهو ما سمَّاه (فيما جاء من الأمثال في أوَّله [لا]) وَرُتْبَتُهُ بالنِّسبة لِبَقِيَّةِ الأبوابِ تقع في الباب الثَّامِنِ والعشرين.

---

[1] – أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 11 / (*) **تنبيه:** بما أنَّنا نتحدَّث عن المدوَّنة (جمهرة الأمثال لأبي هلالٍ العسكريّ) فسنكتفي في الهوامش القادمة بذكر لفظة (ينظر) وذلك طلبًا للاختصار، وعدم حشو الهوامش.

وقد وَضَعَ أبو هلالٍ لِكُلِّ بَابٍ من أبواب كتابه فَهْرَسًا خاصًا به، يَذْكُرُ فيه الأمْثال التي يحتويها، وكان يُتْبِعُ ذلك الفَهْرَسَ بِفَهْرَسٍ آخر تحتَهُ مُبَاشَرَةً يَشْتَمِلُ على الأمثال المضروبةِ في التَّناهي والمُبَالَغَةِ التي على وزن (أفعل من)، وقد وقع هذا في كُلِّ أبوابِ الكتابِ إلاَّ البابَ الثَّامنَ والعشرين الذي اكْتَفَى فيه بذكرِ الفَهْرَسِ الأوَّلِ وتَخَلَّى عن الثَّاني لأنَّه لا وُجُودَ لأمثالٍ مَضْرُوْبَةٍ في المبالغَةِ يَقَعُ في أوَّلِ أُصُولِهَا حَرْفُ (لا)؛ وبعد انتهائِهِ من سَرْدِ محتوى كُلِّ بابٍ يشرعُ في تَفْسِيرِ الأمثال التي ذكرها.

ولأبي هلالٍ العسكريّ طُرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ في التَّفسير تُشَابِهُ طُرُقَ أصحابِ المَعَاجِمِ كثيرًا، ومن أبرز هذه الطُّرق:

الطَّريقة الأولى: تفسير الأمثال وألفاظها بطريقة مباشرة، حيث نجده يتعرضُ إلى تفسير الألفاظ التي يُبنَى عليها المثل بطريقة مباشرة، ومن نماذج ذلك تفسيره لقول العرب:(أنا تَئِقٌ وصاحِبِي مَئِقٌ، فكيفَ نَتَّفِقُ؟!) بقوله: " التَّئِقُ: السَّريعُ إلى الشَّرِ، والمَئِقُ: السَّريعُ البُكاء "[1]؛ فبشرحه لمعاني ألفاظ المثل يَبنِي تفسيره للمثل، وهذه الطَّريقة تَبْرُزُ في كثير من مواضع الكتاب.

الطَّريقة الثَّانية: تفسيره لدلالة ألفاظ المثل عن طريق المغايرة، والمقصودُ بالمغايرة هنا أنَّ يذكر لفظةً تكون ضِدٌّ أو نَقِيضُ الكلمة التي يُرِيدُ شرحها، ومن ذلك تَفْسِيرُهُ للفظة (أَذْلَالِهَا) في قول العرب: (أَجْرِ الأُمُوْرَ على أذْلَالِهاَ) بقوله: " يُضربُ مثلاً للرِّفْقِ بالأمر وحُسن التَّدبيرِ لهُ؛ ومعناهُ: أَجْرِهَا على وُجُوْهِهَا وَمَجَارِيهَا؛ وَوَاحِدُ الأَذْلَالِ: ذِلٌّ، وهو ضِدٌّ الصُّعُوْبَةِ "[2]؛ واعتماده على هذه الطَّريقة قليلٌ بالمقارنة مع سابقتها.

---

[1] – ينظر: ج: 1، ص: 89؛ وينظر أيضًا: ج: 1، ص: 92-95-105-106-122

[2] – ينظر:ج: 1، ص: 77؛ وينظر: ج: 1، ص: 210-234-338

الطَّريقة الثَّالثة: تفسيره لألفاظ المثل عن طريق ذكر الألفاظ التي تماثلها في البناء أو المعنى، وشواهد هذا كثيرة ومن ذلك تفسيره للفظة (الجَابَةِ) في قول العرب: (أَسَاءَ سَمْعًا فأساءَ جَابَةً) بقوله: " يضربُ...مثلاً للرَّجُلِ يُخْطِئُ السَّمعَ فيسيء الإجابَةَ؛ والجَابَةُ اسمٌ؛ مثلُ الطَّاعةِ والطَّاقَةِ، وَالإِجَابَةُ: المَصْدَرُ؛ مِثْلُ الإِطَاعَةِ والإِطَاقَةِ "[1]، هذا فيما يخصُّ البناءَ، أمَّا تفسيره لألفاظ المثل عن طريق ما يماثلها في المعنى فمن نماذجه تفسيره للفظة (الوُلْد) من قول العرب: (وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عَقِبَيكِ) بقوله: " وَالوُلْدُ والوَلَدُ سواءٌ؛ مثل: العُجْمِ والعَجَمِ، والعُرْبُ والعَربِ "[2].

الطَّريقة الرَّابعة: تفسيره للأمثال بذكر الحادثة أو القصَّة التي قيلت فيها، حيث يذكر المثل ثمَّ يسردُ قصَّته أو حادثته، ومن خلال الاطِّلاع على تلك القصَّة أو الحادثة يُفْهَمُ المَقْصُود من ذلك المثل وفيما يُضربُ من المعاني، وقد جاءت هذه المدونة مشتملةً على كثيرٍ من القصص والحوادث التي تُفَسِّرُ الأمثالَ التي جاءت خلالها[3].

وتَبرُزُ عند أبي هلالٍ العسكريّ طريقة أخرى في تَفْسِيرِ الأمثال، وهي استعماله لكلمةِ (معروفٌ)؛ ومن ذلك أنَّه فَسَّرَ المثلَ القائلَ: (أبردُ من الثَّلجِ) بقوله: " معروفٌ "[4]؛ ولا شكَّ في أنَّ لهذه الطَّريقةِ سلبياتٍ منها أنَّ المثل الذي فُسِّرَ بقولِهِ (معروفٌ) قد لا يكون معروفًا عند من يأتي بعده، ولكنَّ أبا هلال لم يكثر من هذه الطَّريقة في تفسير الأمثال وشرحها وهي قليلة بالمقارنة بالطُّرق السَّابقة، وأغلب الأمثال التي فَسَّرها وفق هذا المنهج معروفٌ حقيقةً.

---

[1] – ينظر:ج: 1، ص: 27

[2] – ينظر:ج: 1، ص: 37

[3] – ينظر، ج: 1، ص: 18-20-30-33-34

[4] – ينظر: ج: 1، ص: 199 وينظر أيضًا: ج: 1، ص: 164-201-318-348

ومن الأمور التي تُخلُّ بالغرضِ الذي جاء من أجله هذا الكتاب، سكوتُ أبي هلالٍ عن تفسيرِ عددٍ كبيرٍ من الأمثال، فهو لا يَشرَحُهَا، ولا يُعَلِّقُ عليها، ولا يَذكُرُ من أخبارها أي شيءٍ، وإنَّما يكتفِي بذكرها ويتركها على حالها؛ كما نجده في بعض الأمثال يُفَسِّرُهَا بكلماتٍ قليلات لا تَخْدِمُ الباحث.

وقد استعانَ أبو هلالٍ في توضيحِ ما أشكل من الأمثالِ بشواهدَ مختلفةٍ، منها:

1- القــرآن الكــريم:

استشهدَ أبو هلال العسكريّ بآي الذِّكرِ الحكيمِ في غيرِ مَا مَوضِعٍ من كتابه، وَلَكِنْ مَا يُلَاحَظُ حَولَ هذا أنَّ كتابه (الجمهرة) وبالرَّغم من كبر حجمه، وكثرة الأمثال فيه، إلاَّ أنَّه لم يستشهد بآيات كثيرة، وقد بَلَغَ عَدَدُ الآيات التي استشهد بها حوالي مائة آية.

أمَّا عن منهجه في تعامله مع الشَّواهد القرآنيَّة التي ذكرها فإنَّنا نجده تارةً يستخدمها ليؤكِّدَ بها صحَّة اللَّفظ أو المعنى الذي ورد في أصل المثل أو لينفي ذلك[1]، وتارةً يجعل الآية دليلاً على صحَّة وجهٍ من الوجوه الإعرابيَّة التي يرد بها المثل[2].

2- الحـديث الشَّـريف:

استشهد أبو هلال العسكريّ بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاله في الاستشهاد بها كحاله في الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة، إذْ لم يكثر منها أيضًا، وقد بلغ عدد شواهد الحديث الشَّريف التي ضمَّنها كتابه ما يقارب السَّبعين حديثًا؛ وقد كانت لأبي هلالٍ أحوالٌ في استشهاده

[1] - ينظر: ج: 1، ص: 32-59-122-186-261-251-358-399-449

[2] - ينظر: ج: 1، ص: 58-82-393

بالأحاديث النَّبويَّة الشّريفة؛ من ذلك أنَّه يذكرها باعتبارها أمثالًا تضربُ في مواقف معيَّنة[1]، وهذا هو الغالب، حيث نجده يذكر الكلمات الجامعة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضِمْنَ فَهْرَسِ الأمثال التي وضعها تحت كلِّ بابٍ، وعندما يشرع في تفسيرها يأتي بكامل الحديث الذي انتزعت منه، ذاكرًا سنده، وقصَّته أو حادثته، ثم يذكر الأمر الذي يضربُ فيه، وأحيانًا يُعطِي أحكامًا انطباعيَّة حول المثل، وأحيانًا أخرى يذكر بعض الأبيات الشِّعريَّة التي جاءت معانيها مضاهية ومقتبسة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أحواله كذلك في استشهاده بالأحاديث النَّبويَّة أنَّه يجعلها شواهد يوضِّحُ من خِلَالِها دلالة ألفاظِ المثل[2]، وفي بعض الأحيان يستشهد بها من أجل إثبات معنى المثل أو نَفْيِهِ[3].

3- الشِّـــعر:

أورد أبو هلالٍ في هذه المدوَّنة عددًا كبيرًا من الأشعار المختلفة والمتنوعة، وقد كان يأتي بها من أجل أغراضٍ وأهداف مختلفة، فمرَّةً يَسْتَدِلُّ بها على أنَّ أصلَ نشأةِ المثلِ جاءَ من بيتٍ شعري[4]، ومرَّة يستعين بها لتوضيحِ دلالة لفظة من ألفاظ المثل أو معناه[5]، وأخرى يذكر فيها

---

[1] - ينظر: ج: 1، ص: 18-20-21-224-288

[2] - ينظر: ج: 1، ص: 58-247-426

[3] - ينظر: ج: 1، ص: 31-147-184-426-446

[4] - ينظر، ج: 1، ص: 30-83-91-96-104-128-153-421

[5] - ينظر: ج: 1، ص: 152-157-160-169-181-243

الشَّاهد الشِّعري وقد نُظِمَ فيه مثلٌ من الأمثال[1]، ومن أحواله كذلك أنَّه يورد الشَّواهد الشِّعريَّة باعتبارها جزءًا من قصص الأمثال[2] وهذا كثيرٌ، وله أحوال أخرى غير هذه.

ومنهجُ أبي هلال في نقله للشَّواهد الشِّعريَّة أنَّه في بعض المواضع ينسبها إلى أصحابها وهذا كثير، وفي مواضع أخرى لا يسمِّي أصاحبها؛ أمَّا الشُّعراء الذين استشهد بشعرهم فهم من حيث العدد كُثُرٌ جدًا، أمَّا من حيث طبيعتهم فكان للشُّعراءِ الجاهليين الحظُّ الأوفر من الذِّكر.

وقد أودع أبو هلالٍ في هذه المدونة عددا كبيرًا من الأشعار التي نَظَمَهَا بِنَفْسِهِ[3]، ومنهجه في إيرادها أنَّه يُمَيِّزُهَا بقوله: (قلتُ)؛ وأشعاره تلك غالبًا ما تأتي مُضَاهِيَةً وَمُحَاكِيَةً لأحد الأساليب، ومعانيها تأتي مقتبسة من الشَّواهد التي يذكرها سلفًا.

وَتَعَدَّى أبو هلالٍ العسكريّ مُجَرَّدَ الاستِدلَالِ بأقواله ليلجأَ إلى لُغَةِ العَجَمِ (اللُّغة الفارسيَّة على وجه الخصوص) ليجعلَ منها شاهِدًا على صِحَّةِ بعض المعاني التي وردت بها الأمثال العربيَّة، ومنهجه في إيراد شواهد لغة العجم أنَّه تارةً يذكرها بألفاظها الأصليَّة، وتارة مُعَرَّبَةً، قال عند المثل:(جَاوِرْ بَحرًا أَو مَلِـكًا) : " مَعنَـاهُ اُطـلُبْ الخِصْبَ؛ وَقَدْ اتَّفَقَتِ العَرَبُ وَالفُرْسُ فِي جَمِيعِ أَمْثَالِـهَا إلاَّ فِـي هَذَا المَثَلِ؛ فَـإِنَّ العَرَبَ قَالَت:(جَاْوِرْ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا)، وَقَالَت الفُرْسُ:(نَهْ شَاه آشنا ونَهْ رُوْذَ هَمْذُورَهْ)؛ وَالمَعْنَى: لَاْ المَلِكُ مَعْرِفَةٌ، وَلَاْ البَحْرُ جـارٌ، أَي لَاْ تَتَعَرَّفْ إِلَى المَلِكِ، وَلَاْ تُجَاوِرِ البَحْرَ "[4].

---

[1] – ينظر: ج: 1، ص: 177–250–399؛ ج: 2، ص: 126–300

[2] – ينظر: ج: 1، ص: 30–170–187–190–196

[3] – ينظر: ج: 1، ص: 54–56–76–94–108–119

[4] – ينظر: ج: 1، ص: 243، وينظر أيضا: ج: 1، ص:49–99–105–107

أنواع الأمثال التي وردت في المدوَّنة:

على الرُّغم من أنَّ هذه المُدَوَّنة هي من بين أَجْمَعِ مَا جُمِعَ فِي الأمثال إلاَّ أنَّها لم تجمع جميع أنواع الأمثال، فقد غابت عن هذه المدونة مجموعة من الأمثال، ومن ذلك الأمثال القياسيَّة –أمثال القرآن المُصرَّح بها، وأمثال الحديث المفصَّلة– التي لم نظفر منها بأي نموذجٍ؛ أمَّا عن بقيَّة الأنواعِ فهي متباينة من حيث نِسْبَةُ تواجدها، فمن حيث الزَّمنُ غلبت الأمثالُ الجاهليَّةُ والإسلاميَّةُ، ومن حيث النَّشأةُ غلبت الأمثال النَّاشِئَةُ عن حادثة، أمَّا من حيث السِّمةُ الاصطلاحيَّة فالغلبةُ كانت للأمثال المُوجَزَةِ السَّائِرَةِ، وفي هذه النُّقطة يمكن ملاحظة أنَّ الأمثال التي جاءت على صِيغة (أفعل من) أخذت حَيِّزًا وافرًا من المدونة سواءً من حيث السَّرد أو الشَّرح والتَّفسير.

وقد كفانا أبو هلال –في كثيرٍ من الأحيان– عناءَ البحثِ عن الزَّمنِ الذي قيل فيه مثلٌ من الأمثالِ، وذلك أنَّه كان يُشِيرُ إلى أنَّ هذا المثل من الأمثال القديمة أو المُولَّدَةِ أو المُحدَثَةِ أو من أمثال العامَّة، كما أنَّه نسب بعضها لأصحابها مُبَاشَرَةً[1].

وَنَجِدُ في هذه المُدَوَّنة أنَّ أبا هلالٍ قد أودعَ فيها بعض الأنماط التَّعبيريَّة التي عدَّها من قبيلِ الأمثالِ، وفي الأصلِ هي لا تنتمي إليها، وإنَّما اعتبرت كنوعٍ من الأمثال تَجَاوُزًا وَتَسَاهُلاً، لا حَقِيقَةً –كما أثبتنا ذلك في الفصل الأوَّل–؛ ومن هذه الأنماط التي ضُمِنت في هذه المدونة نجد:(المُكَنَّى)، و(المُبَنَّى) إذْ وجدنا أبا هلالٍ يُبَوِّبُ لها بابًا خاصًا تحت اسمِ:(ابنُ الأيَّامِ وَمَا يَجْرِي فِي بَابِهِ)[2].

[1] – ينظر: ج: 1، ص: 170–188–198–296–284–418–457، ج: 2، 45–135–184

[2] – ينظر: ج: 1، ص: 34 وما بعدها.

وبالنَّظر والتَّأَمُلِ في مَتْنِ هذا الباب حَصَلَ لَدَينَا أنَّ مثل هذه الكلمات والألفاظ أَحَقُّ الأماكن التي يلزم وجودها فيه هي في هذه المدوَّنة وما يماثلها –أي كتب الأمثال– لا بِاعْتِبَارِهَا أمثالاً بل باعتبارها وسيلة لِفَهمِ الأمثال، إذْ إنَّ كَثِيرًا من الأمثال تَأتِي في مَبَانِيهَا مُشتَمِلَةً على كَلِمَةٍ من تلك الكلمات، وَنُقَيِّدُ المكان الذي تُثَبَّتُ فيه بأن تكون في صَدرِ الكتاب، لتكون بمثابةِ الباب الذي من خلاله يُولَجُ إلى الأمثال، وَلِمَنعِ لُبسِهَا وَاختِلَاطِهَا بالأمثال.

ومن النِّقاط المنهجيَّة التي حفلت بها هذه المدوَّنة أنَّ أبا هلالٍ لمَّا كان من اللُّغويين البارزين، وذا رأي في أوساط النُّقاد والبلاغيين، لم يترك هذه المدوَّنة من دون أن يظهرَ فيها بعضًا من لمساته البلاغيَّة وآرائه النَّقديَّة وتعليقاته اللُّغويَّة[1]، بل كان كُلَّما سَنَحَت له فرصة ذلك أبدى من مهاراته تلك ما يُوَضِّحُ بها القضيَّة التي يعالجها؛ فنراه في حال النَّقدِ يحكم على مثلٍ من الأمثال بالحُسنِ أو القُبْحِ أو الصِّحَةِ أو الخَطَإِ أو الجَودَةِ أو الرَّداءَة، وَنَجِدُهُ في البلاغة يستخرج الصُّور البيانيَّة ويحلِّلُها، وهو كلغويٍّ ما ينفكُّ يخوضُ في القضايا النَّحويَّة الإعرابيَّة والصَّرفيَّة البِنَائِيَّة، وغيرها.

ونقف عند نقطة أخيرة نشيرُ فيها إلى أنَّ مادَّة هذه المُدَوَّنَةِ –أي الأمثال– ليست من وضعِ أبي هلال العسكريّ ولا من وَضْعِ من أَلَّف في الأمثال جُمْلَةً وتفصيلاً، بل لهؤلاءِ فضلُ جمعِهَا وترتيبِهَا وتفسيرِهَا، وهذا جُهدٌ جَهِيدٌ لا يمكن إيفاء حق شكرهم عليه؛ فإذا كانت الحالُ هكذا فيلزم من ذلك أنْ يُشِيرَ جُمَّاعُ الأمثالِ والمؤلِّفونَ فيها إلى المصادر التي نقلوا منها مادَّة كتبهم، وبالفعل اِلْتَزَمَ بعضهم بذلك، في حين خالفه آخرون.

[1] – ينظر: ج: 1، ص: 47–150–188–296–302 ؛ ج: 2، ص: 37

فإذا جئنا لإسقاط هذه القَضِيَّة على مُدَوَّنَتِنَا فإنَّنا نَجِدُ بأنَّ أبا هلال لا يشير إلى المصادر التي نقل منها مادَّة كتابه، وقد أغفلها كلَّها إلاَّ أنَّه اعترف بأنَّه أخذ الأمثال المضروبة في التَّناهي والمبالغة من كتاب حمزة الأصبهانيّ[1]؛ كما أنَّه أقرَّ بنقله عن أبي عُبَيدَةَ (ت:209هـ)، والأصمعيِّ (ت:216هـ)؛ قال عند قول العرب: (أَعْرَضَ ثَوْبُ المُلْبِسِ): " هكا[2] قَرَأنَاهُ عن الأَصْمَعِيِّ، وَقَرَأنَاهُ عن أَبِي عُبَيدَةَ: (عَرُضَ ثَوْبُ الْلِبسِ) "[3]؛ أمَّا باقي المصادر المصنَّفة في الأمثال فلا وجود لذكرٍ لها.

هذا فيما يَخُصُّ كتبَ الأمثالِ؛ أمَّا ما عَدَاهَا من المصادر فقد وجدناه يُكْثِرُ من ذكر كتاب (كليلة ودمنة)[4] وأمَّا باقي المصادر فلم يُصَرِّحْ بها، ولكنَّهُ ذكر أَسمَاءَ مؤلِّفين ومصنِّفين كُثُرٍ، وكان لشيخه وخاله أبي أحمد العسكريّ النَّصيبُ الأوفر من الذِّكر، وفي مقابل ذلك وجدناه يحيلُ إلى بعض كتبه[5].

وفي ختام هذا المبحث يتَّضِحُ بأنَّ البحث في أوصاف المدوَّنة، ومنهجِها، والإطلاع على سيرة صاحبها، وصفاته العلميَّة، كُلُّ ذلك من شأنِّه أن يُسَاعدَ في فَهْمِ أبعاد العمل المراد إنجازه حولَ تِلكَ المدوَّنَةِ وحدوده.

---

[1] – ينظر: ج: 1، ص: 11

[2] – هذه اللَّفظة وقعت في أصل الكتاب كما هي مرسومة، والأصَّح أن ترسم (هكذا) لدلالة السِّياق على ذلك.

[3] – ينظر: ج: 1، ص: 130

[4] – ينظر: ج: 1، ص: 21-61-138-233

[5] – ينظر: ج: 1، ص: 19-328-485؛ ج: 2، ص: 241

الفصل الثَّاني

المبحث الثَّاني : التَّعريفُ بفنِّ التَّشبيه

المبحث الثَّاني: التَّعريفُ بفنِّ التَّشبيه

لقد مرَّ في بعض مباحث الفصل السَّابق ذكرنا لبعض أقوال البلاغيين والنُّقاد والأدباء في أنَّ للمثل خصائصَ وخلالاً تُميِّزه عن سائر ضروب القول والكلام، وذكروا من ذلك أنَّ الأمثال يجتمع فيها أربع لا تجتمع في غيرها، قال إبراهيم النَّظام (ت:221هـ): " يَجتَمِعُ فِي المَثَلِ أَربَعَةٌ لَا تَجتَمِعُ فِي غَيرِهِ مِن الكَلَامِ: إِيجَازُ اللَّفظِ، وَإِصَابَةُ المَعنَى، وَحُسنُ التَّشبِيهِ، وَجَودَةُ الكِنَايَةِ؛ فَهُوَ نِهَايَةُ البَلَاغَةِ "[1]، فَحُكِمَ عَلَى بلاغةِ الأمثالِ باجتِماعِ هذه السِّمات فيها، والخُلَّة الأُولَى والثَّانيَّة تُدرَسَانِ مِن جَانِبِ علم المعاني عند أهل البَلَاغَةِ، أمَّا الخُلَّتان البَاقِيَتَانِ فَهُمَا من مباحثِ علم البيانِ.

ومن تلك الخَصَائِصِ التي خُصَّت بالذِّكر وأَكَّدَتها أغلبُ الأقوال التي ذكرناها سابقًا ذِكرُهُم للتَّشبيهِ، وكانَ أغلبُهم يَقصِدُ من إطلاقِهِ لِلَفظَةِ التَّشبيهِ (تَشبِيهَ حَالَةِ المَضرِبِ بِحَالَةِ المَورِدِ)، أمَّا نحن في هذا المبحث فسنتناول هذه الخَصِيصَة كمبحثٍ من مباحثِ علمِ البيانِ.

وما جاء في الفقرة السَّابقة قد يُثِيرُ لدى بعضهم تساؤلاً حول الفَرق بين التَّشبيهين المذكورين، أي التَّشبيه بوصفه مصطلحًا علميًّا، والتَّشبيهُ الذي قَصَدَهُ أغلب من عرَّفَ الأمثال.

فهذا السُّؤالُ مهمٌّ جدًّا وجب الوقوف عنده بشيء من التَّحليل والتَّعليق، وترجعُ أهميَّة هذا السُّؤال إلى أنَّ الإجابة عنه ستوضِّحُ حدودَ هذا العمل وأبعادهُ بشكلٍ كبيرٍ؛ والإجابة عنه تكون بذكر محلِّ كُلٍّ من التَّشبيهين داخل دائرة الأمثال العربيَّة، والعلاقة التي تجمعهما.

[1] – الميداني، مجمع الأمثال، ج: 1، ص: 6

فالتَّشبيه الأوَّل: (بمعناه الاصطلاحيّ في علم البيان) يعتبر أحد الأساليب التي جاءت بعض الأمثال العربيَّة مَبنِيَّةً عليها، فهو بمثابة الجزء من الكُلِّ، ذلك أنَّ من الأمثال العربيَّة ما جاء في أصل صورته حاملاً لأحد الأساليب البيانيَّة العربيَّة من مجاز أو كناية أو استعارة، وغيرها، والتَّشبيهُ واحدٌ من تلك الأساليب.

أمَّا **التَّشبيه الثَّاني**: وهو الذي يَبتَغِيهِ ويقصِّده أغلب من عرَّف الأمثال من أنَّه (تشبيه حالة المضرب بحالة المورد) فهذا وإن سُمِّيَ تشبيهًا إلاَّ أنَّهم يقصدون به شيئًا آخر، يفهم مقصودهم منه بتحليل أجزاء هذا التَّركيب، فمعرِّفُو الأمثال يريدون من قولهم: (حالة المَورِد) الحالة التي قيل فيها المثلُ ابتداءً؛ ويُرادُ بـ: (مَضرِبِ المَثَلِ) الحالات والمواقف اللَّاحقة التي يمكن استعمال ذلك المثل فيها لتَّشابُهِ بين الحالتين؛ فبهذا الاعتبار يكون محلُّ هذا التَّشبيه من الأمثال أنَّه يقع على كُلِّ ما اصطلح عليه بأنَّه من الأمثال.

وهكذا يكون التَّشبيه الأوَّل (بمفهومه الاصطلاحيّ) جزءًا من التَّشبيه الثَّاني؛ ولتَّوضيحِ أكثر نسوق قول العرب في أمثالها: (الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللَّبَنَ) فهذا المثل لا تَشبِيهَ فيه بالمفهوم الاصطلاحيِّ عند أهل البيان، ولكن يُستَعمَلُ في مَضَارِبِهِ على وجه تَشبِيهِ هذه المضارب بالمَورِدِ وإن لم يُصَّرح فيها بالتَّشبيهِ.

فَقَولُ من قَالَ أوَّلَ مرَّةٍ للمرأةِ التي طلَّقها: (الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللَّبَنَ) لا يريدُ تشبيهًا أصلاً، وإنَّما أراد بإطلاقه للمثل إخبار تلك المرأة بأنَّها فرَّطت في اللَّبن وَتسبَّبت في ضياعه منها عند زمن الصَّيف حين طلبت الفِرَاقَ، هذا عن مورد المثل؛ فإذا استَعمَلَ شَخصٌ مَا هذا المثل في مَواقِفَ وحالاتٍ تُشَابِهُ الحَالَةَ الأُولَى كان ذلك تَشبِيهًا، شُبِّهَ فيه مَضرِبُ المَثَلِ بِمَورِدِهِ.

وقد يَجمَعُ مَثَلٌ من الأمثال التَّشبيهين معًا، بحيث يكون في أَصلِ وَضعِ ذلك المثل –أي في مورده الأوَّل– تشبيهٌ بمفهومه الاصطلاحيّ العلميّ في علم البيان نحو قول العرب: (كَالحَادِي وَلَيسَ لَهُ بَعِيرٌ) و(كَمُجِيرِ أُمِّ عَامِرٍ)، وغيرها؛ فعندما تُستَعمَلُ هذه الأمثال في حالات ومواقف تشابه الحالة الأولى التي قيل فيها يصبِحُ حاملاً للتَّشبيهين، فهذا النَّوع –أي الذي يحمل التَّشبيهين معًا– واقعٌ في ثُلَّة من الأمثال، أمَّا النَّوع الذي قبل هذا فكلُّ الأمثال العربيَّة مبنيَّةٌ عليه.

فإذا اتَّضَحَ الفَرقُ بينَ التَّشبيهين لَزِمَ على المُطَّلِعِ على هذا العملِ أن يَعلَمَ أنَّ التَّشبيهَ بالمعنى الثَّاني ليس يَعنِينَا البحث فيه هنا، وهذا لا يعني استغناءنا عَنهُ كُلِّيَّة، بل سنلجَأُ إليه باعتباره وَسِيلَةً تُسَهِّلُ علينا البحثَ في مَقصُودِنَا الذي ارتضيناه، وهو التَّشبيهُ كمبحثٍ من مباحثِ علم البيان.

ومنه فالتَّشبيهُ كمصطلحٍ علميٍّ يَقَعُ ضِمنَ مباحث علم البيان، هذا العلم يُعرَّف في اصطلاح البلاغيين وعلماء البيان بأنَّه: عِلمٌ يُعرَفُ بِهِ إِيرَادُ المَعنَى الوَاحِدِ بِطُرُقٍ مُختَلِفَةٍ فِي وُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيهِ[1] ولا بُدَّ مِن اِعتِبَارِ المُطَابَقَةِ لِمُقتَضَى الحَالِ دَائِمًا[2].

ولشرح المقصود من هذا التَّعريف نسوق هذه القصَّة: (اِجتَمَعَ جَرِير (ت:110هـ) والفَرَزدَقُ (ت:110هـ) والأَخطَلُ (ت:92هـ) فِي مَجلِسِ عَبدِ المَلِكِ [بن مروان] (ت:86هـ)، فَأَحضَرَ بَينَ يَدَيهِ

[1] – جلال الدِّين محمد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وض: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1424هـ/2003م، ص: 163

[2] – السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضب: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا– لبنان، ط 1، سنة: 1420هـ/1999م، ص: 216

كِيسًا فِيهِ خَمسُمِائَةِ دِينَار، وَقَالَ لَهُم: لِيَقُل كُلٌّ مِنكُم بَيتًا فِي مَدحِ نَفسِهِ، فَأَيُّكُم غَلَبَ فَلَهُ الكِيسُ، فَبَدَرَ الفَرَزدَقُ فَقَالَ:

أَنَا القِطرَانُ وَالشُّعَرَاءُ جَربَى *** وَفِي القِطرَانِ لِلجَربَى شِفَاءُ

فَقَالَ الأَخطَلُ:

فَإِن تَـكُ زِقَّ زَامِـلَةٍ فَإِنِّـي *** أَنَا الطَّـاعُونُ لَيسَ لَهُ دَوَاءُ

فَقَالَ جَرِيرُ:

أَنَا المَوتُ الَّذِي آتِى عَلَيكُم *** فَلَيـسَ لِهَـارِبٍ مِنِيَ نَجَاءُ

فَقَالَ عَبدُ المَلِكِ: خُذ الكِيسَ، فَلَعَمرِيَ إِنَّ المَوتَ أَتَى عَلَى كُلِّ شَيءٍ)[1].

فالمعنى الذي أُورِدَ هنا هو (مَدحُ النَّفسِ)، وكلٌّ من الثَّلاثة مدح نفسه عن طريق التَّشبيه، ولكن اختلفوا في طريقة إيراد المعنى، فالأوَّل شبَّه نفسه بالقِطران وجعل من الشُّعراءِ بمثابة الإبل الجربى، فهو دواءٌ لها، والثَّاني شبَّه نفسه بالطَّاعون الذي يأتي على كلِّ شيء يدركه، والثَّالث شبَّه نفسه بالموت الذي لا يفرق بين أحد، فالمعنى نفسه ولكن طريقة إيراد ذلك المعنى تختلف وتتفاوت بين الثَّلاثة.

كمَّا يتبيَّن أنَّ الفرزدق والأخطل تنافسا فيما بينهما فقط، فقولُ الأخطل جاء ردًا على الفرزدق ولم يُرَاعَ مقتضى الحال عندهما، ولكن لمَّا راعى جرير مقتضى الحال وهو مدحُ النَّفسِ والتَّغلبُ على مُنَافِسَيهِ للحصول على ذلك العطاء فقد جاء بتصويرٍ جمع فيه كُلَّ ذلك.

[1] – أبو الحسن جمال الدين علي بن ظافر بن حسين الأزدي، بدائعُ البَدَائِهِ، ض: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1426هـ/2007م، ص: 16

فالبيان علمٌ يعرف به إيرادُ المعنى الواحد في طرقٍ وتراكيبَ مختلفة في وضوح الدَّلالَةِ على ذلك المعنى، وهو من الأمور التي خُصَّ بها الإنسان دون سواه؛ قال تعالى: ﴿**الرَّحمَنُ** (**1**) **عَلَّمَ القُرآنَ** (**2**) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ** (**3**) **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** (**4**)﴾ قال بعض المفسرين عند قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ أي: " الإفصاح عمَّا في الضَّمير "[1]؛ والإفصاح والإبانة من المعاني اللُّغويَّة لعلم البيان.

ولهذا العلم مباحث يهتَمُّ بالبحث فيها؛ وهي: التَّشبيهُ، والمجاز، والكناية، وهناك من يُفَصِّلُ فيضيف الاستعارة؛ وقد قُدِّمَ مبحث التَّشبيه على سائر مباحث علم البيان لأنَّه الأساس الذي تبنى عليه بقية المباحث.

والتَّشبيه في اللُّغة جاء من الأصل الثلاثي (شَبَهَ)، ومن معاني هذا الأصل مع بعض مشتقاته: " المِثْلُ، والجمعُ أشباهٌ، وأَشبَهَ الشَّيءُ الشَّيءَ ماثلهُ...وشَبَّهَهُ إيَّاهُ، وشَبَّهَهُ بِهِ: مَثَّلَهُ...والمُتَشَابِهَاتُ: المُتَمَاثِلَاتُ...والتَّشبِيهُ التَّمثِيلُ "[2]؛ أمَّا في الاصطلاح فلأهل البلاغة والأدب والنَّقد أقوالٌ كثيرة فيه؛ منها:

قال المبرد (ت: 285هـ): " واعلم أنَّ للتَّشبيه حدًّا لأنَّ الأشياءَ تَشَابَهُ من وجوهٍ، وتبايَنُ من وُجُوهٍ؛ فَإنَّما يُنْظَرُ إلى التَّشبيه من أين وقَعَ "[3]؛ فالمبرد في قوله هذا يثبت أنَّ التَّشابُهَ بين شيئين لا يكون متطابقًا من كلِّ الوجوه بل يتشابهان في وجوهٍ ويختلفان في أخرى.

---

[1] – محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكيني الشّنقيطي، تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، إع: سعد محمَّد ساداتي الشنقيطي، دار الفضيلة، الرياض– المملكة السعودية، ط 1،سنة: 1426هـ/2005م، ص: 1446

[2] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد: 4، : 2189

[3] – أبو العباس محمَّد بن يزيد المبرد، الكامل، تح: محمَّد أحمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبان، ط 3، سنة: 1418هـ/1997م، ج: 2، ص: 948

وهذا ما ذهب إليه قدامة بن جعفر (ت:337هـ) في قوله: " إِنَّهُ مِنَ الأُمورِ المَعلُومَةِ أَنَّ الشَّيءَ لا يُشبَّهُ بنَفسِهِ ولا بِغَيرِهِ مِن كُلِّ الجِهَاتِ، إِذْ كانَ الشَّيئَانِ إِذَا تَشَابَهَا مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ وَلَم يَقَعْ بَينَهُمَا تَغَايُرٌ البَتَّةَ اِتَّحَدَا، فَصَارَ الاثنان وَاحِدًا، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ التَّشبِيهُ إِنَّمَا يَقَعُ بَينَ شَيئَينِ بَينَهُمَا اِشتِرَاكٌ فِي مَعَانٍ تَعُمُّهُمَا وَيُوصَفَانِ بِهَا، وَاِفتِرَاقٌ فِي أَشيَاءَ يَنفَرِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا عَن صَاحِبِهِ بِصِفَتِهَا، وَإِذَا كَانَ الأَمرُ كَذَلِكَ، فَأَحسَنُ التَّشبِيهِ هُوَ مَا أَوقَعَ بَينَ الشَّيئَينِ اِشتِرَاكُهُمَا فِي الصِّفَاتِ أَكثَرَ مِنْ اِنْفِرَادِهِمَا فِيهَا، حَتَى يُدْنى بِهِمَا إِلَى حَالِ الاتِّحَادِ "[1].

فالاشتراك بين المُشبَّهِ والمُشبَّهِ بِهِ بحسب هذا القول يكون في وجوه محدَّدة وليس كلّها، وجعل قدامة بن جعفر أحسن التَّشبيهِ ما كان بين المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ اشتراكٌ في غالب الصِّفات لدرجةِ اتِّحادهما.

أمَّا الرمّاني (ت:386هـ) فقد قال عن التَّشبيه: " هو العَقدُ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الشَّيئَينِ يَسُدُّ مَسَدَّ الآخَرِ في حِسٍّ أو عَقْلٍ وَلَا يَخلُو التَّشبِيهُ أَنْ يَكُونَ فِي القَولِ أَو فِي النَّفسِ "[2].

ففي هذا القول مخالفةٌ لِمَا ذهبَ إليه أصحاب القولين السَّابقين، فالرّمَّاني يجعل الصِّلَةَ بين طرفي التَّشبيه (المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ) هي المطابقة الكُلِّيَّة إلى درجة نِيَابَة الواحد مكان الآخر في كلِّ الأحوال.

---

[1] – أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص: 124

[2] – الرمّاني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاثُ رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمَّد خلف الله أحمد، محمَّد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة– مصر، ط 3، سنة: 1937هـ/1976م، ص: 80

أمَّا أبو هلالٍ العسكريّ فقال: " التَّشبيهُ: الوَصفُ بِأَنَّ أَحَدَ المَوصُوفَينِ يَنُوبُ مَنَابَ الآخَرِ بِأَدَاةِ التَّشبيهِ "[1].

إنَّ ظاهرَ كلام العسكريّ هذا يُوحي بأنَّه يَذْهَبُ مَذهَبَ مَن قال بأنَّ الصِّلة بين طَرَفَي التَّشبيه هي المطابقة الكُلِّيَّة، ولكن ينتفي هذا الوجه عندما نَنْظُرُ إلى الأمثلة التي حَلَّلَهَا، فهو لا يقصد هذا الوجه، وإنَّما يُريد بذلك أنَّ الصِّلة بين طرفي التَّشبيه تكون في معنى جامــعٍ بينهما لا ما يُفهَمُ من ظــاهِرِ التَّشبِيهِ، ومثـال ذلك قـول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحرِ كَالْأَعْلامِ﴾[الرَّحمن: 24] قال عن وجه الشَّبه بين الفُلْكِ والجِبَالِ هو من جهةِ عِظَمِهَا لا من جهة الصَّلابةِ والرُّسوخِ.

وقد أثبت العسكريّ في تعريفه أنَّ الرَّبط بين طرفي التَّشبيه يكون بأداةٍ، ليصبِحَ هذا التَّعريف أقرب التَّعريفات التي تُبَيِّنُ حقيقةَ مصطلح التَّشبيهِ، ولكنَّ أبا هلالٍ جعل منه غامضًا ونِسبيًّا بعض الشَّيء عندما لجأ إلى الأمثلة والشَّواهد ليُفهَمَ مَقصُودُهُ مِنهُ، وفي هذا إخلالٌ ببعض خصائص التَّعريف في البحث العلميِّ الذي من صفاته أن يكون جَامِعًا مَانِعًا.

أمَّا حدُّ التَّشبيهِ عنــد ابن رشيق فهــو: " صِفَــةُ الشَّيءِ بِمَـا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ، مِن جِهَةٍ وَاحِدَةٍ أَو جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ لَا مِن جَمِيعِ جِهَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَو نَاسَبَهُ كُلِّيَّةً لَكَانَ إِيَّاهُ "[2].

أَكَّدَ ابن رشيق في قوله هذا أنَّ العلاقة بين طرفي التَّشبيهِ تكون باشتراكهما في وجوهٍ واختلافهما في وجوهٍ أخرى، وَمَنَعَ المُطَابَقَةَ بينهما لأنَّه لَو شَابَهَ المُشَبَّهُ المُشَبَّهَ بِهِ في كُلِّ الجِهَاتِ والوجوه لَكانَ إيَّاهُ وَسَدَّ مَسَدَّهُ في كُلِّ الأَحوالِ.

---

[1] – كتاب الصِّناعتين الكتابة والشعر، ص: 239

[2] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، ص: 286

أمَّا عبد القاهر الجرجانيّ (ت:471هـ) فإنَّه قال: " اِعلَم أنَّ الشَّيئَينِ إذَا شُبِّهَ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ كَانَ ذَلِكَ عَلَى ضَربَينِ؛ أَحَدُهُمَا: أَن يَكُونَ مِن جِهَةِ أَمرٍ بَيِّنٍ لَا يَحتَاجُ إِلَى تَاوُّلٍ، وَالآخَرُ: أَن يَكُونَ الشَّبَهُ مُحَصَّلاً بِضَربٍ مِنَ التَّأَوُّلِ "[1].

أي أنَّ الجُرجَانِيّ قَسَّمَ التَّشبيهَ إلى: تشبيهِ الشَّيءِ بالشَّيءِ من جهةِ الصُّورَةِ والشَّكلِ الظَّاهِرَينِ؛ نحو: تَشبِيهِ حُمرَةِ الخَدِّ بِحُمرَةِ الوَردِ، وَهَذَا القِسمُ يُدرَكُ بِسُهُولَةٍ؛ وإمَّا أنَّ الشَّبهَ بين الشَّيئين نُدرِكُهُ من خِلَالِ تأويلٍ لتلكَ الصُّورة؛ نحو: (هَذِهِ حُجَةٌ كالشَّمسِ في الظُّهورِ)، بحيث لا نُدرِكُ مَاهِيَّةَ هذا التَّشبِيهِ إلاَّ بالاستعانَةِ بالتَّأويلِ؛ فنقول: ظُهُورُ الشَّمسِ يكون بدونِ حِجَابٍ يَحجبُها عن العينِ، والذي يَقُومُ مَقَامَ الحِجَابِ عند إيرادِ الحُجَّةِ هي (الشُّبهَةُ) فهي التي تَمنَعُ القَلبَ من إدراكِ تلك الحُجَّةِ، فالشَّمس الطَّالِعَةُ لا يَشُكُّ فيها ذو بَصَرٍ، ولا يُنكِرُهَا عَاقِلٌ، فكذلك الحُجَّةُ الواضحةُ البيِّنَة لا يشكُّ فيها إلاَّ صَاحِبُ هَوًى مُعاند أو شخصٌ تكون على قلبه غشاوة.

وعبد القاهر الجرجاني إثر حديثه عن التَّشبيه وما يتعلق به عَنوَنَ عنوانًا سَمَّاهُ: (الفَرقُ بَينَ التَّشبِيهِ والتَّمثِيلِ)؛ والفرقُ عنده بينهما يكمن في أنَّ " التَّشبِيهَ عَامٌ، وَالتَّمثِيلَ أَخَصَّ مِنهُ، فَكُلُّ تَمثِيلٍ تَشبِيهٌ، وَلَيسَ كُلُّ تَشبِيهٍ تَمثِيلاً "[2]؛ يقصد بذلك أنَّ التَّمثيلَ يَشمَلُ التَّشبِيهَ وَيَختَصُّ بأشياءَ أُخرَى لا تَقَعُ في التَّشبِيهِ، فإذا قلنا:(هَذَا مِثلُ هَذَا) أي أنَّهُ يَسُدُّ مَسَدَّهُ كالسَّوادَينِ، بمعنى أنَّ الذي يَسُدُّ مَسَدَّ اللَّونِ الأسودِ في كُلِّ أَحوَالِهِ لَونٌ أَسوَدٌ مثله؛ أمَّا إذا قلنا:(هَذَا يُشبِهُ هَذَا) فهناك اشتراكٌ في وجوهٍ واختلافٌ في وجوهٍ أُخرَى.

---

[1] – أسرار البلاغة، ص: 90

[2] – المصدر نفسه، ص: 95

أمَّا السكـاكيّ (ت: 626هـ) فقد عَرَّف التَّشبِيهَ على طريقة المُحدَثِينَ –تقريبًا– وذلك حين قـال: " لَا يَخفَى عَلَيكَ أَنَّ التَّشبِيهَ مُستَدعٍ طَرِيقَينِ: مُشَبَّهًا، وَمُشَبَّهًا بِهِ، وَاشتِرَاكًا بَينَهُمَا مِن وَجهٍ، وَافتِرَاقًا مِن آخَرَ "[1].

فالسكاكيّ ذَكَرَ في تعريفه هذا كُلَّ أركان التَّشبيهِ إلاَّ رُكنًا واحدً وهو أداة التَّشبيه، وأقرَّ بأنَّ اشتراك المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ يكونُ في بَعضِ الصِّفاتِ لا كُلِّهَا.

وفي مرحلة أخرى نجد أنَّ ابن الأثير(ت:637هـ) يَرُدُّ على من قَامَ بالتَّفريقِ بينَ التَّشبِيهِ والتَّمثيلِ، إذْ إنَّهم جعلوا لِكُلِّ واحد منهما بابًا مُستَقِلاً يختَّصُ بهِ، فهو يَعتَقِدُ أنَّه لا فرق بينهما في أصلِ الوَضعِ، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ معنى التَّشبيه هو التَّمثيل، وقد قَسَّمَ التَّشبِيهَ إلى قِسمَين، فقال: " والتَّشبِيهُ يَنقَسِمُ إلى قِسمين: مُظهَرًا وَمُضمَرًا؛ وفي المُضمَرِ إشكَالٌ فِي تَقدِيرِ أَدَاةِ التَّشبِيهِ فِيهِ فِي بَعضِ المَوَاضِعِ "[2]؛ فتقسيمُ ابن الأثير هذا مبنِيٌّ على ظُهُورِ أداة التَّشبيه وإضمارها، وقد أهمل بقية أركان التَّشبيه الأخرى.

أمَّا الخطيب القزوينيّ (ت:739هـ) فقد ذكر أنَّ التَّشبيهَ هو: " الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمرٍ لِآخَرَ فِي مَعنًى "[3]؛ فالقزويني من خلال تعريفه هذا يُقِرُّ بوجودِ طَرَفَين يقوم التَّشبيه بينهما من جهة المعنى، ولكنَّه لم يُصَرِّح بذكر الأداة ولو فعلَ لكانَ هذا التَّعريف هو نفسُ الذي اتَّفقَ عليه المُحدَثُونَ.

---

[1] – أبو يعقوب يوسف بن محمَّد علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1420هـ/2000م، ص: 439

[2] – المثل السَّائر، ج: 2، ص: 115

[3] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص: 164

فهذه جملةٌ من الأقوال ذكرها أهلُ البلاغة والأدب والنَّقد في توضيحِ حدِّ التَّشبيه عندهم، وما يستنتج من خلالِهَا أنَّها جاءت متَّفقة على بعض الأمور، واختلفت في أمورٍ أخرى؛ فقد كان بين أصحابها اتِّفاقٌ حول بعض أركان التَّشبيه، فمنهم من صرحَ ببعضها بطريقة مباشرة ومنهم من لمَّح ولم يصرحْ.

أمَّا اختلافهم فوقع في مسألة كون اشتراك المشبَّه والمشبَّه به: هل يكون في وجهٍ من الوجوه فقط؟ أم يكون مطابقًا له من كلِّ الوجوه؟

والرَّاجح أنَّ الاشتراك بين طَرَفَي التَّشبيه قد يقع في المَعنَى على سبيل التَّطَابُق أو التَّقارب، إذْ ليس المرادُ من إثباتِ التَّشَابُه جَعلَ الطَّرفِ الأوَّلِ هو الثَّانِيَ عَينَهُ إلى درجةِ نيابةِ الواحدِ منهما مَنَابَ الآخرِ في كلِّ الأحوالِ، بل المرادُ من ذلك إثبات المعنى، فقد يتطابقان فيه، كما أنَّهما قد يتقاربان.

هذا فيما يخصُّ حدَّ التَّشبيهِ عند بعض العلماءِ الأوائلِ؛ أمَّا تعريفه عند المُحدَثِينَ فعباراتهم مختلفة ولكنَّ المقصودَ واحدٌ، وقد عُرِّفَ عنـدهم بـأنَّه: " مُشاركةُ أمرٍ لأمرٍ في معنًى بأدواتٍ معلومةٍ "[1]؛ يفهم من هذا التَّعريف أنَّ للتَّشبيه أربعة أركان هي: المشبَّهُ والمشبَّهُ بِهِ، ويُسَمَّيَانِ طَرَفَي التَّشبِيهِ[2]، والأَدَاةُ وَوَجهُ الشَّبَهِ.

---

[1] – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: 219

[2] – **الفرق بين الرُّكن والطَّرف في التَّشبيه**: أنَّ الرُّكن يمكن وجود التَّشبيه من دونه، وحذفه أفضل من ذكره؛ أمَّا الطَّرف لا يمكن وجود التَّشبيه من دونه.

أركان التَّشبيه:

أَوَّلاً: طَرَفَا التَّشبِيهِ (المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ): وهما رُكناهُ الأساسيان وبدونهما لا يكون تَشبِيهٌ؛ فالمشبَّهُ: هـو مـا يرادُ وَصفُهُ أو تَقرِيبُـهُ عن طـريق التَّشبِيهِ، والمـشبَّهُ بِهِ: هُوَ مَا بِهِ قُرِنَ المُشَبَّهُ في الكلام.

ثانيًا: أداة التَّشبيه: للتَّشبيهِ أدواتٌ وألفاظٌ تَدُلُّ على المُمَاثَلَةِ والمشابهة والاشتراك، وقد تكونُ مَلفُوظَةً مُصرَّحًا بِها أو مَلحُوظة مُقدَّرة؛ وهي على أنواع: فمنها ما يكون حَرفًا وهما:(الكاف) و(كأنَّ)؛ ومنها ما هو اسمٌ:(شِبه) و(مثل) وما في معانيها ممَّا يدلُّ على المماثلة والمشابهة؛ ومنها ما هو فعلٌ؛ نحو:(عَلِمتُهُ) و(خِلتُهُ) و(حَسِبتُهُ) وما في معانيها ممَّا يُفِيدُ المشابهة والمماثلة والمحاكاة.

وأداة التَّشبيه قد تُذكَرُ في بناء الصُّورة المراد إبرازها، كما أنَّها قد تحذف، والوجه الثَّاني أفضل عند البلاغيين، وقد أشار الجرجاني إلى الفرق بين ذكرنا للأداة وحذفنا لها بقوله: " فإنَّك تَقُولُ: (زيدٌ كالأسدِ) أو(مثلُ الأسدِ) أو(شبِيهٌ بالأسدِ) فتجدُ ذلكَ كُلَّهُ تَشبِيهًا غُفلاً سَاذَجًا؛ ثم تَقولُ: (كَأَنَّ زَيدًا الأَسَدُ)...ثم تَقُولُ:(لَئِن لَقِيتَهُ لَيَلقَيَنَّكَ مِنهُ الأَسَدُ) فَتَجِدُهُ قَد أَفَادَ هَذِهِ المُبَالَغةَ، لَكِن فِي صُورَةٍ أَحسَنَ، وَصِفَةٍ أَخَصَّ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَجعَلُهُ فِي (كَأَنَّ) يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ الأَسَدُ، وَتَجعَلُهُ هَاهُنَا يُرَى مِنهُ الأَسَدُ عَلَى القَطعِ، فَيَخرُجُ الأمرُ عن حَدِّ التَّوَهُّمِ إلى حَدِّ اليَقِينِ "[1].

[1] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: أبو فهر محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط 5، سنة: 1425هـ/2004م، ص: 425

فهناك تفاضلٌ بين ذكرنا لهذه الأداة أو تلك، كما أنَّ عَدَمَ ذكرها يزيدُ الصُّورة حُسنًا ورونَقًا يغيب عنها حال ذكرنا إيَّاها، ومن فوائد ذلك –أي حذف الأداة– قُربُ المُشَبَّهِ من المُشَبَّه بِهِ؛ وعلى ذكر الأداة وحذفها تُبنَى أَنوَاعٌ للتَّشبِيه سيأتي ذكرها.

ثالثًا: وَجهُ الشَّبَهِ: وهو الصِّفَة أو المعنى الذي يشترك فيه المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ به؛ وقد ذكر السكاكيّ أنَّ الحقَّ في هذا الرُّكن أن يشملَ الطَّرفين، فإنْ كان كذلك صَحَّ التَّشبِيهُ وإلاَّ فَسَدَ[1]، وَقَد يُصَرَّحُ بوجه الشَّبَهِ في بناء الصُّورة المراد تأديتها، كما يمكن حذفهُ منها، وبهذين الاعتبارين (التَّصريح والحذف) تُبنَى أنواعٌ للتَّشبِيهِ، وهي متفاوتَةٌ في درجة البيان والبلاغة والوضوح.

أقسام التَّشبيه:

قَسَّمَ البلاغيون التَّشبيهَ إلى أقسامٍ وأنواعٍ كثيرةٍ، وتقسيماتُهم تلك كانت مَبنِيَّةً وُفقَ اعتبارات مختلفة؛ منها[2]:

1/– باعتبار المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ: يَنقَسِمُ التَّشبِيهُ بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسامٍ؛ هي:

أ– من حيث إفراد الطَّرفين وتركيبهما: ينقسمُ الطَّرفان تَبَعًا للإفرادِ والتَّركيبِ إلى أربعةِ أقسامٍ؛ وهي: الأوَّلُ: تشبيهُ مفردٍ بِمُفرَدٍ، الثَّانِي: تَشبِيهُ مُركَّبٍ بِمُركَّبٍ، الثَّالثُ: تَشبِيهُ مُفرَدٍ بِمُرَكَّبٍ، الرَّابِعُ: تَشبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُفرَدٍ.

---

[1] – مفتاحُ العلوم، ص: 448

[2] – هذه التَّقسيمات ملخصة من مجموعة من الكتب عمدنا فيها إلى الاختصار والإيجاز، وللعودة إلى الأصل ينظر: [السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 454 وما بعدها] و[القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 186 وما بعدها] و[علي صقر الأزهري، 200 سؤال وجواب في علوم البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة– مصر، ط 1، سنة: 1435هـ/20013م، ص: 109 وما بعدها].

والمقصودُ بالمفرَدِ والمُرَكَّبِ: " أنَّ المُفردَ يَكُونُ تَشبِيهَ شيءٍ واحدٍ بِشَيءٍ وَاحِدٍ، وَالمُرَكَّب تَشبِيه شَيئَينِ اثنَينِ بِشَيئَينِ اثنَينِ... فما فوق "[1].

ب– من حيث حِسِّيَّةِ الطَّرفين وعقليَّتِهما: الطَّرفَـانِ إمَّا أن يكـونَا حِسِّيَّينِ أو عقليَّينِ أو أَحَدُهُمَا حِسِّيٌّ والآخرُ عقلِيٌّ؛ والمُرادُ بالحِسِّيّ: كُلُّ مـا يُدرَكُ بِإحدَى الحَواس الخمس الظَّاهرة؛ أمَّـا العـقليّ: فهو ما لا يدرك بالحواس، وإنَّما يُستَـدَلُّ عليه بالعقلِ أو الوُجدَانِ.

ج/– من حيث تَعَدُّدُ الطَّرفين: يَنقَسِمُ التَّشبِيهُ بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسامٍ: مَلفُوفٌ، وَمَفرُوقٌ، وَتَسوِيَةٌ، وَجَمعٌ.

1– فالمَلفُـــوفُ: هو أن يُؤتَى بالمشبَّهات أوّلاً على طريق العَطفِ أو غيره، ثم بالمُشَبَّهِ بِهَا؛ كقول امرئ القيس:

كَـأَنَّ قُلُـوبَ الطَّـيرِ رَطـبًا وَيابِـسًا *** لَدى وَكرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي[2]

2– والمَفـــــرُوقُ: هو أن يُؤتَى بمُشَبَّهٍ ومشبَّهٍ بِهِ ثم آخر؛ كقول الشَّاعِر:

إنَّمَا النَّفسُ كَالزُّجَاجَةِ وَالعِلـ ـــمُ سِرَاجٌ، وَحِكمَةُ اللهِ زَيتٌ[3]

3– وَتَشبِيهُ التَّسوِيَةِ: أن يَتَعَدَّدَ المُشَبَّهُ دُونَ المُشَبَّهِ بِهِ؛ مثل قول الشَّاعر:

---

[1] – ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج: 2، ص: 129

[2] – البيت في ديوانه، ص: 129؛ ويعني به: كأنَّ قلوب الطَّير رَطبًا كالعُنَّابِ (نوعٌ من التَّمر حلو)؛ ويابسًا كالحشفِ البالي (الحشفُ نوعٌ من التَّمرِ يابسٌ وفاسد).

[3] – البيت لابن سينا (ت:428هـ) أتى فيه بمشبَّه ثم مشبَّه به ثلاث مرَّات؛ الأوَّل: شبَّه فيه النَّفس بالزُّجاجة، الثَّاني: شبَّه فيه العلم بالسِّراج، الثَّالث: شبَّه فيه حكمة الله بالزَّيت.

صُدْغُ الحَبِيبِ وَحَالِي *** كِـلَاهُمَا كَاللَّيَالِـي[1]

4- وَتَشبِيهُ الجَمعِ: هو أن يَتَعَدَّدَ المُشَبَّهُ بِهِ دونَ المشبَّهِ؛ كقولِ البحتري (ت:284هـ):

فَهِيَ الشَّمسُ بَهجَةً وَالقَضِيبُ الغَـضُّ لِينًا وَالرِّئمُ طَرَفًا وَجِيدَا[2]

2/- باعتبار أداةِ التَّشبِيهِ: ينقسم التَّشبيهُ بهذا الاعتبار إلى قسمين: مُؤَكَّدٍ ومُرسَلٍ.

فالمُؤَكَّدُ: هو ما حذفت أداته؛ **والمُرسَلُ**: ما ذُكِرَت فيه الأداةُ.

3/- باعتبارِ وَجهِ الشَّبَـهِ: ينقسم التَّشبيه وفقَ هَذَا إِلَى: مُجمَلٍ وَمُفَصَّلٍ؛ وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ؛ وَتَمثِيلٍ وَغَيرِ تَمثِيلٍ.

فالمُجمَـلُ: مـا لـم يُصَرَّح فيه بذكرِ وجهِ الشَّبَهِ؛ أمَّا **المُفَصَّـلُ**: فهو ما صُرِّحَ فيه بذكرِ وَجهِ الشَّبَهِ.

والقَـرِيبُ: ما كان وجه الشَّبَهِ فيه في غاية الظُّهور، بحيث يدركه أيُّ أحدٍ؛ **والبَعِيدُ**: هو الذي يُحتَاجُ في إدراكه إلى دِقَّةِ نَظَرٍ وإعمالِ فكرٍ وتأمُّلٍ، فَوَجهُ الشَّبَهِ خَفِيٌّ لا يدركه إلاَّ الخَاصَّةُ.

وَتَشبِيهُ التَّمثِيلِ: هو مَا وجهُهُ وَصفٌ مُنتَزَعٌ مِن مُتَعَدِّدٍ أي أنَّه مُرَكَّبٌ من أجزاءٍ؛ كقول البحتري:

---

[1] - في هذا البيت مشبَّهان (حال الشَّاعر ومن يصفه) أمَّا المشبَّه به فواحد (اللَّيالي)؛ ووجه الشَّبه بين المشبَّهين والمشبَّه به هو السَّواد.

[2] - المشبَّه في هذا البيت واحد وهو ما دلَّ عليه الضَّميرُ (هي)؛ أمَّا المشبَّه به فهو صورٌ متعدِّدة (الشَّمس، والقضيب، والرِّئم)؛ الرِّئم: الظَّبي الخالصُ البياضِ.

وَتَراهُ في ظُـلَمِ الوَغـى فَتَخالُـهُ *** قَمَراً يَكُرُّ عَلى الرِّجالِ بِكَوكِبِ[1]

أمَّا **غَيرُ التَّمثِيلِ**: فهو ما كان وَجهُ الشَّبَهِ فيه غير مُتَعَدِّدٍ أي مُفرَدًا ولو تَعَدَّدَتِ الصِّفَاتُ التي يشتركُ فيها الطَّرفان؛ كقول امرئ القيس (ت:80ق.هـ):

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخَى سُدُولَهُ *** عَلَـيَّ بِأَنـوَاعِ الهُـمُـومِ لِيَبتَـلِـيَ[2]

ومن أنواع التَّشبِيهِ ما يأتي مبنيًّا وفقَ اعتبارات أخرى غير التي ذكرت؛ ومن تلك أن يُجمَعَ بين قسمين من أنواع التَّشبيهِ، كاجتماع التَّشبيه المُجملِ والمؤكَّدِ في صورة واحدة، لينتُجَ عن ذلك حذفُ وَجهِ الشَّبهِ وأداةِ التَّشبيهِ، ويسمَّى هذا النَّوع **بالتَّشبيه البَلِيغ** وهو عند البلاغيين وعلماء البيان أَرقَى أَنوَاعِ التَّشبيهِ وأَقوَاها.

ومن ذلك أيضًا **التَّشبيهُ الضِّمنِيُّ** وهو تَشبِيهٌ لا يُوضَعُ فيه المُشَبَّهُ وَالمُشَبَّهُ بِهِ في صُورَةٍ من صُورِ التَّشبيهِ المَعرُوفَةِ بَل يُلْجَمَانِ في التَّركيبِ؛ كقولِ المُتنبيّ(ت:354هـ):

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَـوَانُ عَلَيهِ *** مَـا لِـجُـرحٍ بِمَيِّـتٍ إِيـــلَامُ[3]

فهذه بعض أنواع التَّشبيه التي ذكرها علماء البيان في كتبهم، ولهؤلاء المُصَنِّفِين أقسامٌ وأنواعٌ أخرى غير هذه؛ والمتأمِّلُ في هذه الأنواع والأقسام سيلاحظُ بأنَّ أهل البلاغة عمومًا وعلماء البيان

---

[1] – المُشبَّهُ في هذا البيت هو الفارس الحامل لسيفه اللَّامع وهو يَشُقُّ به ظلام غبارِ الحربِ؛ والمشبَّهُ به هو القمرُ الذي يشقُّ ظلمةَ الفَضَاءِ؛ ووجه الشَّبهِ صورةٌ مركَّبة من ظهورِ شيءٍ مضيءٍ يُلَوِّحُ بشيءٍ متلألِئ في وسط الظَّلام.

[2] – المشبَّهُ في هذا البيت هو اللَّيل في ظلامه المهول؛ والمشبَّه به هو موج البحر؛ ووجه الشَّبَهِ بينهما هو الهول والظُّلْمَة.

[3] – شبَّهَ الشَّاعر في هذا البيت حالة من كان هينًا في نفسه محتملاً للهوان بحالة الميت الذي لا يشعر بألم الجرح؛ لكنَّه لم يُصرِّحْ بذلك، بل جعل من الشَّطر الثَّاني دليلاً على صحَّة المعنى الذي جاء في الشَّطر الأوَّل.

خاصَّة وضعوا هذه الأقسام والأنواع بالنَّظر إلى كلِّ الجوانب المتعلِّقة بالصُّور التي يأتي عليها التَّشبِيهُ، فقسَّموا أنواعه بالنَّظَرِ إلى أركانه تارةً، وبالنَّظَرِ إلى الصِّيغَةِ التَّركِيبِيَّةِ التي يَرِدُ عليها تارةً أخرى، وكذا بالنَّظَرِ في جوانبه الجماليَّةِ، وغيرها؛ كلُّ هذه الاعتبارات التي بُنيت عليها تقسيماتهم لهذه الأنواع تَدُلُّ على مكانةِ هذا المبحث –التَّشبيه– عندهم.

وهذا المبحث لا يقفُ فيه علماءُ البيانِ عند البحث في مفهومه وأركانه وأنواعه فقط، بل يتجاوزونَ ذلك إلى البحث في قضايا دقيقة وأمور أخرى كثيرة، لذا نَجِدُ المبرد يقولُ: " والتَّشبِيهُ بَابٌ كَأَنَّهُ لَا آخِرَ لَهُ "[1]؛ فهو إن كان كذلك فلا يَسَعُنَا تناولُ كُلِّ ما جاء فيه على الوجه المطلوب في هذه العُجَالة.

ومن القضايا التي تندرج ضمن عناصر أسلوب التَّشبيه البحثُ في أغراضه وما يُؤدِّيه في الكلام، ذلك أنَّ الشَّخصَ الذي يلجَأُ إلى التَّشبيهِ من أجلِ الإفصاحِ عن خلجاتِ النَّفسِ، ومكنوناتِ الذِّهنِ، لا يَعمَدُ إلى هذا الأسلوبِ إلاَّ لغرضٍ يَبتَغِيهِ وقصدٍ يَرتَضِيهِ؛ لذا نجد أنَّ أغلب من صنَّف في البلاغَةِ قد تَصَدَّى إلى محاولةِ الكَشفِ عن الأغراضِ والمَقَاصِدِ التي يؤديها أسلوبُ التَّشبيه في الكلام.

ولمَّا كانت الإبانَةُ عن هذه الأغراضِ مرتبطةً بالدَّرَجَةِ الأُولَى بِتَحلِيلِ الشَّواهِدِ واستقرَائِهَا فإنَّنا سنسكتُ عن ذكر هذه القضيَّة (أي أغراض التَّشبيه) في هذا المقام لنَكشِفَ عن بعضٍ منها أثناء تناولنا للنَّماذج المُطبَّقِ عليها في المبحث التَّالي.

[1] – الكامل، ج: 2، ص: 1057

وَنُشِيرُ أخيرًا – في هذا المبحث – إلى أنَّ التَّشبيهَ كأسلوبٍ من الأساليبِ العربيَّةِ الواقعةِ ضمنَ مباحثِ علم البيانِ عند أهل البلاغة جَاءَ في كثيرٍ من الأمثال العربيَّة، حيث حَمَلَت بعضُ الأمثال العربيَّةِ نوعًا من أنواع التَّشبيهِ المذكورةِ سابقًا.

وَلَكِن لمَّا كانت لهذا الأسلوبِ (التَّشبيه) خَصَائِصُهُ التي تُمَيزِهُ، وكانت لذلك النَّمطِ التَّعبيري (المثل) خِلَالٌ وخصائص تميِّزه هو كذلك، حَالَ بَعضُ خصائصِ كُلٍّ منهما دونَ وقوعِ بعضِ أنواعِ التَّشبيهِ في الأمثالِ العربيَّةِ، ومن ذلك مَثَلاً: التَّشبيه المُرَكَّبُ، فهو نوعٌ من أنواع التَّشبيهِ ومن خصائصهِ أنَّه مَوسُومٌ بالطُّولِ نوعًا ما، فهذه الخَصِيصَةُ مُعَاكِسَةٌ ومُبَايِنَةٌ للخُلَّةِ الأولَى في الأمثالِ وهي الإيجاز.

ونتيجة لهذا التَّعارض القائم بين بعض خصائص أسلوب التَّشبيه على اختلاف أنواعه، وبين خصائص وخلال الأمثال العربيَّة، سيكون هناك حَصرٌ لأنواع التَّشبيهِ التي يمكن إيجادُها في المدوَّنة المختارة.

الفصل الثَّاني

المبحث الثَّالث: دراسة تطبيقيَّة على التَّشبيه

في (جمهرة الأمثال) لأبي هلالٍ العسكريّ

المبحث الثَّـــالث: دراســـــة تطبيقيَّة علـــــى التَّـــشبيه

– في (جمهرة الأمثال) لأبي هلالٍ العسكريّ –

لقد وردت في هذه المدوَّنة مجموعة كبيرة من التَّشبيهات بمفهومها الاصطلاحيّ العلميّ، كما أنَّها جاءت مبنيَّة على ضروبٍ مختلفة، وأنواعٍ عديدةٍ؛ وأوَّل ما يلاحظ حول هذه التَّشبيهات أنَّ أغلبها اتَّسم بالبساطة والوضوح إلاَّ ثلَّة قليلة منها، ولبروز هذه الظَّاهرة – أي البساطة والوضوح – في تشبيهات الأمثال أسبابٌ متعدِّدة ومختلفة، فمن بين هذه الأسباب: أنَّ المثلَ لمَّا كان من وضعِ خاصَّة النَّاس وعامَّتهم امتاز بالسُّهولة، وعدم التَّكلُّف، وانزاحَ مطلقوه عن التَّصنُّعِ المبالَغِ فيه؛ كما أنَّ الهدف من الاستشهاد بالأمثال – وهو الاحتجاج غالبًا – لعبَ دورًا بارزًا في جعل الصُّورة التي يَرِدُ بها التَّشبيه في الأمثال تأتي سهلةً واضحةً، ذلك أنَّ الذي يُرِيدُ أن يَحتَجَّ على شخصٍ ما لا يمكن أن يَحتَجَّ عليه بشيء لا يدركه –أي المُحتجُّ عليه– ولا يفهمه أصلاً، فإن فعلَ المُحتجُّ ذلك فلن يتحقَّق له الغرضُ من استشهاده بالمثل.

وثانية الملاحظات يمكن ملاحظتها حول تشبيهات الأمثال في هذه المدوَّنة أنَّ الصِّيغَ والألفاظَ التي تَرِدُ بها هذه التشبيهات كثيرًا ما تكون مرتبطةً بالبيئة التي نشأ فيها مطلقُ المثل، فمطلق المثل أوَّلَ مرَّة يجعل من أحد العناصر التي تتشكَّل منها البيئة المحيطة به مُشبَّهًا به يقيس عليه أمرًا آخر، بحيث يشترك كلٌّ منهما في صفةٍ ما أو معنًى، وهذا يدلُّ على طول التَّأمُّل لدى واضعي الأمثال ومطلقيها.

وتبرُزُ ملاحظة ثالثة في تشبيهات الأمثال الواردة في أصل هذه المدوَّنةِ، وهي تتعلق بالمُشبَّهِ به بوجه خاصٍّ، حيث وجدنا بأنَّ هذا الطَّرف يغيبُ عن بناء أغلب صور التَّشبيه في نماذج هذه المدوَّنة، ولهذا أسبابٌ عديدة، ولعلَّ أبرزها يرجع إلى أنَّ المثل باعتباره نمطًا من الأنماط التَّعبيريَّة ما يميِّزُه عن سائر الأنماط والأشكال التَّعبيريَّة الأخرى كثرة تداوله ومسيره، وسبب ذلك –أي كثرة التَّداول والمسير– يرجع إلى قدرة أي أحد على الاستشهاد به، فلو أنَّ مطلقي الأمثال نصُّوا على المُشبَّه في أصل الصُّور التي تُبنَى عليها تشبيهاتهم للزمَ من ذلك ذِكرُهُ في سائرِ الحالات والمواقف التي تشابِهُ الحالةَ الأولى التي أُطلقَ فيها المثلُ المشتمل على المُشَبَّهِ، وذلك عملاً بالقاعدة المتَّفق عليها وهي قولهم: (الأَمثَالُ تُحكَى عَلَى مَا سُمِعَت).

وإذا كانت الحالُ كذلك فبالضَّرورَةِ يلزمُ نتيجةً مِمَّا سبقَ تَقييدٌ لاستعمال المثل، لأنَّه إذا صُرِّحَ بالمشبَّه في تشبيه من تشبيهات الأمثال فإنَّه قد لا يتناسب الاستشهاد بذلك المثل مع جميع المواقف والحالات اللَّاحقة؛ ولكن عندما أدركت العرب أنَّها لو صَرَّحت بالمُشبَّه في أصل بناء تشبيهات الأمثال لحصلَ نتيجةً لذلك تقييد في استعمال الأمثال، تَرَكَتِ المُشبَّه مفتوحًا غير مقيَّدٍ، فلم تُسَمِّه ولم تُعَيِّنه، فنتج عن ذلك إمكانية الاستشهاد بالمثل في حالات ومواقف كثيرة تشابه حالة مورده الأصليَّة.

فهذه الأمور (الملاحظات) المشار إليها تبرز في هذه المدوَّنة بصفة لا يمكن تَجَاهُلُهَا، ولا المرور عليها دون فهم أبعادها ومدلولاتها؛ وستتضِّح أكثر إثر تناولنا للنَّماذِج المُطبَّق عليها فيما يأتي من أجزاء هذا المبحث؛ وقبل مباشرة التَّطبيق نشيرُ إلى أنَّ النَّماذج المطبَّق عليها ليست مختارة ولم نستقصها، بل هي عيِّناتٌ عشوائية، لا ضابط في اختيارها.

النَّموذج الأوَّل: (إنَّ من البيانِ لَسِحرًا)[1]

هذا هو أوَّلُ تشبيهٍ نُصادِفُه أثناءَ إطِّلاعنا على هذه المدوَّنَة، وهذا النَّموذجُ هو أوَّلُ الأمثال المسرودة في أصل هذه المدوَّنة، استهلَّ به أبو هلال مصنَّفه لأسباب مختلفة، وقد حصلَ لدينا منها سببين: أحدهما يتعلقُ بالتَّرتيبِ، ذلك أنَّ هذا المثل جاء مبدوءًا بألفٍ أصليَّة، وأبو هلال رتَّبَ كتابه على نسق حروف المعجم، فمن البديهي أن يأتي هذا المثل في صدر الكتاب لأنَّه يحملُ ألفًا في أوَّله؛ ولكنَّ إذا دقَّقنا أكثر وجدنا بأنَّ هذا السَّبَبَ نسبيٌّ نوعًا ما، بدليلِ أنَّ هناك من الأمثال ما جاء في أوَّل أصولها ألفٌ أصليَّة ولها أحقيَّةُ أن تسبق النَّموذج المذكور هنا، لأنَّ الحرف الثَّاني في هذا النَّموذج (النُّون) تسبقه حروفٌ كثيرة، وهناك من الأمثال ما جاءَ منسوجًا على واحدٍ منها نحو: (أَجِع كَلبَكَ يَتبَعكَ)، و(إذا جَاءَ الحِينُ حَارَ العَينُ)، وغيرها كثير جِدًّا.

أمَّا السَّببُ الثَّاني الذي جعلَ أبا هلال يُنَصِّبُ هذا المثل أوَّلَ مثلٍ في كتابه فهو يتعلَّق بطبيعة هذا الشَّاهد؛ إذ إنَّ هذا المثلَ هو من الأمثال الحديثيَّة الموجزة التي نَطَقَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلَّم؛ ولا غرابةَ فيما ذهبَ إليه أبو هلالٍ، لأنَّ أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم مُقدَّمة على كُلُّ قولٍ من أقوال البشر.

فإذا جئنا إلى تحليل التَّشبيه في هذا النَّموذجِ لَزِمَ قبل ذلك معرفةُ قصَّتِهِ والحَادِثَةِ التي جرت إبَّان إطلاقه، لأنَّ ظَاهر التَّشبيه في هذا المثل يَحتَمِلُ وجهين:

أحدهما: ذمُّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم للبيان، لأنَّه شبَّهه بالسِّحر وهو مذموم.

[1] – أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:18

والوجه الثَّاني: يَحمِلُ المدح للبيان، لأنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلَّم قد يكونُ متعجِّبًا في قوله: (إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحرًا).

أمَّا قصَّةُ المثلِ فتبدأ بسؤال الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم لِعَمرِو بنِ الأَهتَمِ (ت:57هـ) عن الزِّبرِقَان (ت:45هـ)؛ فقال مجيبًا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلَّم: إنَّهُ مُطاعٌ في أَدنَيهِ، شَدِيدُ العارضَةِ، مانِعٌ لمَا وراءَ ظَهرِهِ؛ فقال الزِّبرِقَانُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّهُ لَيَعلَمُ مِنِّيَ أكثرَ من ذلك، وَلَكِن حَسَدَنِي؛ فقال عَمرو: واللهِ يا رسولَ الله، إنَّه لَزِمرُ المُروءةِ[1]، ضَيِّقُ العَطَنِ[2]، حَدِيثُ الغِنَى، أَحمَقُ الوالد، لَئِيمُ الخَالِ، وما كذَبتُ في الأُولى، ولَقَد صَدَقتُ في الأُخرَى؛ رَضِيتُ فقلتُ بأحسن ما علمتُ، وسَخِطتُ فقلتُ بأسوإ ما عَلِمتُ؛ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم: (إنَّ من البَيَانِ لَسِحرًا) [3].

فبالرُّغمِ من أنَّنا علمنا قصَّة قولِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: (إنَّ من البَيَانِ لَسِحرًا) إلى أنَّه لا يمكن القطعُ بأي الوجوه التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، لعدم تَوفُّرِ الدَّليل.

أمَّا إذا أردنا البحث في أصل التَّشبيه الموجود في هذا النَّموذجِ فسنجدُ بأنَّه تشبيهٌ بليغٌ، شبَّه فيه النَّبيُّ صلى الله عليهِ وسلَّم جُزءًا من البيانِ –لا البيان كُلَّه– بالسِّحرِ، فجاءَ هذا النَّموذجُ خاليًا من أداة التَّشبيه ووجه الشَّبه، لِتُصنَعَ بحذفهما صورةٌ للتَّشبيه البليغِ، وما يجعل هذا المثل بليغًا بناؤُه المختصرُ، مع كثافة المعاني التي يمكن أن تفهم منه.

---

[1] – زمرُ المروءة: أي قليلها.

[2] – العطن: مَبْرَكُ الإبِلِ حول الماء.

[3] – ينظر: [أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 18، (بتصرف)]

وقد أُكِّدَ هذا التَّشبيهُ بمؤكِّداتٍ كثيرةٍ منها: الأداة (إنَّ) النَّاصبة، وحرف اللاَّم، وهي اللاَّمُ المزحلقة؛ وتفيدُ هذه المؤكدات في صورة التَّشبيه في هذا النَّموذج أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحرِ حقيقةً.

وطرفا التَّشبيه في هذا النَّموذج جَاءَا مفردين وهي أوَّلُ صور التَّشبيه من حيث إفراد الطَّرفين وتركيبُهما، أمَّا من حيث حسِّيَّةُ الطَّرفين وعقليَّتُهما فهما عقليَّان يُستدلُّ عليهما بالعقل والوجدان، ولكنْ لكلا الطَّرفين آثار يمكن الوقوف عليها بإحدى الحواس.

أمَّا الأداة فهي محذوفة عن أصل بناء هذا النَّموذج، وحذفت منه من أجل تأكيد علاقة المشابهة بين الطَّرفين حتَّى يُحِسَّ الَّسامعُ لذلك الشَّاهد أنَّ بعض البيان سِحرٌ ولا يمكن وصفه بغير ذلك، ولو ذُكِرَت الأداة في أصل التَّشبيه لغابت الجودة والحسن الذي يشتملُ عليهما هذا الشَّاهد.

وكذلك الحالُ مع وجه الشَّبه فلو أنَّه صُرِّح به لذَهَبَ الحسن الذي نجده في حال عدم ذكره، ذلك أنَّه يكون قريبًا ولا يحتاجُ إلى طول تأمُّلٍ ودقَّة نظر، ولكن لمَّا غاب وجه الشَّبه عن صورة هذا التَّشبيه استدعى ذلك السَّامِعَ والقارئَ إلى البحث عنه والتَّنقيب على المعنى المشترك بين طرفيه، فهو يُحرِّكُ سامعه وقارئه من أجل التأمُّل وإعمال فكره حتَّى يربط بين المشبَّه والمُشبَّه بهِ، وهذا هو الغرضُ عند مرسل الخطاب، أي أنَّ غرضه هو استمالة السَّامع وجذب انتباهه؛ وما يزيدُ في حسن هذا النَّوع من التَّشبيهات تعدُّدُ الصِّفات التي يمكن أن يشترك فيها الطَّرفان فينتج عن ذلك اتِّساعُ دائرةِ الاستشهاد به.

ومن الوجوه التي يمكن أن تجمعَ بين طرفي التَّشبيه في قوله صلى الله عليه وسلَّم: (إنَّ من البَيَانِ لَسِحرًا) أنَّ بعضَ البيانِ يشترك مع السِّحر في استمالة القلوبِ، فهناكَ جزءٌ من البيان قد

يستعمِلُهُ بعضهم من أجلِ تصويب الباطلِ وتزيينه وتحسينه حتَّى يتوهمَ سامِعُهُ أنَّه حقٌّ، وفي هذا مشابهة لما يعمله السِّحرُ الذي هو صرفُ الشَّيءِ عن حقيقتهِ، فصاحِبُ السِّحر يُصوِّرُ الباطِلَ في صورةِ الحقِّ ويزخرفها ليستميلَ القلوبَ والنُّفوسَ إلى ما يصنعه.

النَّموذج الثَّاني: (كَحَاطِبِ اللَّيلِ)[1]

في هذا النَّموذج تغيب صورة الطَّرف الأوَّل من التَّشبيه (المُشبَّه)، وسبب ذلك يرجع إلى نفس السَّبب الذي رجَّحناهُ قبل قليل، من أنَّه لو صُرِّح به لكان هناك تقييدٌ في استعمال المثل، ومن ناحية أخرى نجد أنَّ الأداةَ والطَّرفَ الثَّاني في التَّشبيه قد صُرِّح بهما، في حين غاب الرُّكنُ الرَّابع وهو وجه الشَّبه الذي يجمع بين المُشبَّهِ المبتور من أصل بناء هذا التَّشبيه، والمُشبَّهِ به الذي ورد في هذا النَّموذج في صورةٍ مركَّبة تركيبًا إضافيًا (حاطِبُ اللَّيلِ) ليدلَّ هذا التَّركيبُ على التَّخصيص، أي أنَّهم خصُّوا فعل الحَطب بكونه في اللَّيل دون سواه من الأزمنة والأوقات.

ولفهم المقصود من هذا التَّشبيه يجب البحث عن الأبعاد التي يدلُّ عليها ذلك الإسناد، فالشَّخصُ الذي يخرجُ لجلبِ الحطبِ ليلاً من الممكن أن يجمع في ظُلمَةِ اللَّيلِ كُلَّ ما وقعت عليه يداه، فمن الممكن أن يأتي بحطبٍ جيِّد، كما يمكن أن يأتي بالرَّدِيء منه، أضف إلى ذلك أنَّه قد تقع يدهُ على غير الحطب الجيِّد والرَّديء.

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:133؛ ملاحظة: لهذا المثل روايةٌ أخرى، ذكرها الميداني في (مجمع الأمثال) وهي: (المِكثَارُ كحاطبِ ليلٍ) وقد أسندها إلى أَكْثَم بن صَيْفي، ينظر: ج: 2، ص: 303.

فإذا نظرنا إلى المعنى الذي يضربُ فيه هذا المثل وجدناهم يقولون: " يضربُ مثلاً للرَّجُلِ يَجمَعُ كُلَّ شيءٍ، ولا يُمَيِّزُ "[1]؛ فمن الأشياء التي يمكن أن تقع يده عليها نجد مثلاً الحيَّة والعقرب، فالحاطب ليلاً لا يمكنه أن يميِّزَ هذه الأشياء بسبب الظُّروف المحيطة به من ظلمةٍ، وتشابه بين تلك الأشياء التي فيها ضرره (الحيَّة والعقرب) والمحيط الذي هو فيه، فالحيَّة تشبهُ حبلهُ الذي يجمع فيه الحطب، والعقربُ متخفية بسوادها في ظلمة من اللَّيلِ.

وبالنَّظر في الصُّورة التي ورد بها هذا التَّشبيه نجد أنَّ لها اعتبارات مختلفة، فهي من ناحية الأداة تُعَدُّ صورةً للتَّشبيه المُرسلِ، وهي باعتبارِ وجهِ الشَّبهِ صورةٌ للتَّشبيه المُجمَلِ؛ أمَّا باقي اعتبارات هذه الصُّورة وأحوالها فليس من الممكنِ الوقوفُ عليها بشكلٍ دَقيقٍ لغيابِ أبرزِ طرفٍ في هذا الأسلوب وهو المُشبَّهُ.

فإذا أتينا إلى محاولةِ تقدير ذلك الطَّرف (المُشَبَّهُ) وجدنا أنَّه في المقدورِ الإتيان بمُشَبَّهَاتٍ كثيرة بحيث تشاركُ حاطبَ اللَّيلِ في الصِّفة التي تبرز فيه، ومن ذلك على سبيل القصر لا الحصر نَذكُرُ الشَّخصَ كثيرَ الكلامِ، فهذا الأخير ربَّما يأتي أثناء حديثه بكُلِّ غَثٍّ وسمينٍ فيُخلِّطُ في كلامه ولا يتفقَّدُه؛ فَكَمَا أنَّ حاطِبَ اللَّيلِ قد تُصِيبُهُ حيَّةٌ أو عَقرَبٌ يكون هلاكه بسبَبِهَا لأنَّه لا يُبصِرُ ما يَجمَعُ في حَبلِهِ، فكذلك المُكثِرُ للكلام في كُلِّ شيءٍ، فهو لا يُلقِي بَالاً لما يَقُولُهُ، وقد يَتَحَدَّثُ بِحَدِيثٍ يكون فيه هلاكُهُ وهو لا يَدرِي، فيكونُ ذلك سَبَبًا لِحَتفِهِ وإزهاق روحه.

فَفِي الصُّورة المقدَّرة سَابِقًا (المُكثِرُ أو المِكثَارُ كحاطبِ اللَّيلِ) نَجِدُ أنَّ الطَّرفين حسِّيَّان يمكن إدراكهما بالحواس، وهما من حيث الإفراد والتَّركيب مختلفان، إذ إنَّ أحدهما مُفرَدٌ (المُكثِرُ) والآخر

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص 133

مُرَكَّبٌ؛ أمَّا غيابُ وجهِ الشَّبه فَجَعَلَ من هذه الصُّورة من نوع التَّشبيه المجملِ القريبِ، فهو تَشبِيهٌ مُجمَلٌ لأنَّه لم يُصَرَّح بوجه الشَّبه، وَقَرِيبٌ لأنَّه يمكن لأي أَحَدٍ إدراكُ الصِّفة التي تجمع بين الطَّرفين لأنَّها في غَايَةِ الظُّهورِ وَلَا يُحتَاجُ إلى إعمالِ كبير فِكرٍ وتأمُّلٍ للوصُولِ إلى ذلك.

أمَّا الغَرَضُ المُتَوَخَّى من التَّشبيهِ في هذا النَّموذَجِ فهو راجعٌ إلى المُشَبَّهِ، لأنَّ قَولَنَا في سياقٍ مُعيَّن لشَخصٍ ما يسأل عن حال فلانٍ من النَّاس –المعروف بكثرة الكلام ولا يراعي الأحوال والمقامات–: (المكثرُ كَحَاطِبِ اللَّيلِ) ففي هذا بيانٌ لِحَالِ المُكثِرِ، فبعدما كان المخاطَبُ جاهلا بحال هذا المستفسر عنه، ويريدُ أن يعرف من حاله وأوصافه التي هو عليها، جئناه بمشبَّهٍ به تُدرِكُهُ الأذهان لقربِ مدلولِهِ إليها فعقدنا بين هذين الطَّرفين مشابهةً، وذلك لبيان حال الطَّرف الأوَّل (المشبَّه) من أنَّه لا يميِّزُ في كلامه بل يجمع كُلَّ غثٍّ وسمينٍ، وهو على هذه الحالة قد يُؤذِي نفسهُ كما قَد يُؤذِي حَاطِبُ اللَّيلِ نَفسَهُ وهو لا يَدرِي.

النَّموذجُ الثَّالث: (كالقابضِ عَلَى المَاءِ)[1]

لقد وقع في هذا النَّموذج نَفسُ ما وقعَ في النَّموذجِ السَّابقِ، فغابَ عن صورة هذا التَّشبيهِ طَرَفُهُ الأوَّل وهو المُشبَّه، وذُكرتِ الأداةُ وهي (الكاف)، كما صُرِّح بالطَّرف الثَّاني (القابض على الماء) وهو المشَبَّهُ به الذي جاء في صورة مركَّبةٍ تركيبًا إضافيًا، في حين حُذِف وجهُ الشَّبه وهو الأمر الذي يجمع بين الطَّرفين.

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:125

فالصُّورة التي يتركَّب منها هذا النَّموذج هي الصُّورة نفسها التي جاءَ بها النَّموذَجُ السَّابقُ، ولكن تختلف دلالةُ ومعنى كلٍّ منهما؛ ومحاولة فهم دلالة التَّشبيه في هذا النَّموذج تبدَأُ من خلالِ محاولةِ الكَشفِ عن المُشَبَّه، والسَّبيلُ الموصِلُ إلى ذلك يكونُ بالتَّعرُّفِ على المعنى الذي يَدُلُّ عليه هذا المثل، فقولهم: (كَالقَابِضِ عَلَى المَاءِ) يُضرَبُ مَثَلاً للرَّجُلِ يَطلُبُ مَا لا يَحصُلُ لهُ، يُفهَمُ من هـذا أنَّ هنـاك شَخـصًا مَا سعى لشيءٍ معيَّنٍ، وَلَكِـن لَا طَائِلَ مِمَّا سَعَى إليهِ، فَيَنتُـجُ عن هذا مُشبَّهٌ وهو (السَّاعي بغير طائلٍ) وهو مركَّبٌ، هذا التَّركيب جَعَلَ من هذا الطَّرفِ مقيَّدًا، فلو قلنا: (السَّاعي كالقابضِ على الماء) لكان في هذا إطلاقٌ للعبارةِ وتعميمٌ لها وفي هذا خطأ جَسِيمٌ، لأنَّه ممَّا هو معلومٌ بالضَّرورة أنَّ ليس كُلَّ ساعٍ يعود من سعيه بالخيبة، فلا بُدَّ من تقييدِ عبارة السَّاعي بضوابط تناسِبُ معنى قولهم: (كالقابض على الماء).

فإذا جِئنا إلى البحثِ عن الجامعِ الذي يَجمَعُ بين الطَّرفين في قولنا: (السَّاعِي بغيرِ طَائِلٍ كالقابِضِ على المَاءِ) لوجدنا بأنَّ (القَابِضَ على الماء) لا يعودُ من مُحَاوَلَةِ القَبضِ على الماء إلاَّ بقطراتٍ يسيراتٍ، ليس له زِمَامُ بقائِها في كَفِّهِ، فَهِيَ تَنسَلُّ من بين فُرُوجِ أَصَابِعِهِ، ولكن قَد يَبقَى منها شيءٌ؛ فكذلك حال (السَّاعِي بغيرِ طَائِلٍ)؛ الذي طلب شيئًا مَا وَبَحَثَ عَنهُ وَنَقَّبَ، فلمَّا أدرَكَهُ ظَفِرَ مِنهُ بِشَيءٍ يسيرٍ، ولكن سُرعَانَ مَا فَقَدَهُ وَأَضَاعَهُ حَتَّى لم يَبقَ لَهُ مِنهُ شَيءٌ، فكان ذلك السَّعيُ لا طَائِلَ مِنهُ ولا فائدة.

فَتَشبِيهُ السَّاعِي الذي كَانَ سَعيُهُ من غَيرِ طائِلٍ بالقَابِضِ على المَاءِ فِيهِ غَرَضٌ يَكمُنُ في تَقرِيرِ حَالِ ذَلِكَ السَّاعِي وَمَا وَصَلَت إِلَيهِ مِنَ الخَيبَةِ وَعَدَمِ بُلُوغِ مُرَادِهِ بعدمَا بَذَلَ للوصولِ إِلَيهِ مَا استطَاعَهُ مِن جُهدٍ وَعَنَاءٍ.

وبالإطِّلَاعِ على الأَصلِ الذي نَشَأَ عَنهُ هَذَا المَثَلُ سنجِدُ بِأَنَّهُ بَيتٌ شِعرِيٌّ، قَالَ فيه صَاحِبُهُ:

فَأَصبَحتُ مِن لَيلَى الغَدَاةَ كَقَابِضٍ *** على المَاءِ خَانَتهُ فُرُوجُ الأصابِعِ[1]

فهذا هو أصلُ المثل الذي أُقتُضِبَ منه قولهم: (كَالقَابِضِ عَلَى المَاءِ)، وَإِذَا جئنا لتحليل المقصود من هذا الأصل –أي البيت الشِّعريُّ– لوجدنا بأنَّ الشَّاعِر قد ألحقَ نفسَهُ بالقَابِضِ على الماءِ فِي صِفَةٍ تَجمَعُهُمَا، وَهِيَ الخَيبَةُ فِي السَّعيِّ والبَوَارُ والخُسرَانُ فيه؛ فالشَّاعِرُ بَعدَمَا بَذَلَ جُهدًا للوصولِ إِلى (ليلي) عادَ من سَعيهِ ذاكَ بالخيبَةِ والبَوَارِ، وفي هذا مُشَابَهَةٌ لِحَالِ القَابِضِ على المَاءِ فَهُوَ بَعدَمَا سَعَى في بَسطِ يَدِهِ للقَبضِ على المَاءِ لِيَصِلَ بِهِ إلى فِيهِ، لم تَعُد تلك الأَصَابِعُ منه بشيءٍ، لأنَّ طبيعَةَ الماءِ وهي السَّيلَانُ حَالَت دونَ مُكثِهِ بين تلكَ الأصابعِ، بل اِنسَلَّ مِن الفُرُوجِ التي بينها مع إمكانية بقاء شيء ضئيل منه، وَلَكِن لَا تَحصُلُ بِهِ الفَائِدَة التي يَرجُوهَا القَابِضُ؛ فالتَّشبِيهُ وفقَ هذه الصُّورة تَشبِيهٌ تَمثِيلِيٌّ، لأنَّ وَجهَ الشَّبَهِ فِيهِ جَاءَ مُنتَزَعًا مِن أُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وقد ذَكَرَ أبو هِلَالٍ العسكريّ إِثرَ نقله لهذا المثل آيةً قرآنيَّةً هي في معناها مُشَابِهَةٌ لمعنى هذا المثل، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيهِ إِلَى المَاءِ لِيَبلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**﴾ الآية، [الرَّعد:14]؛ وَعَلَّقَ بَعدَ ذِكرِهِ لَهَا قَائِلاً: " والذي يَبسُطُ كَفَّيهِ لِيَغتَرِفَ فِيهِمَا المَاءَ، لَا يَحصُلُ في كَفَّيهِ منهُ شيءٌ، وكذلك مَن يَقبِضُ عَلَى المَاءِ، وَالمَعنَيَانِ يَتَشَابَهَانِ "[2]؛ وَلَكِنَّ أسلوب التَّعبير يَختَلِفُ، فَشَتَّانَ بين أسلوبِ القرآنِ الذي هو كلامُ ربِّ العالمين، المعجز بألفاظه ومعانيه، وبين قول من قال: (كَالقَابِضِ عَلَى المَاءِ)، وأبرز فرق بين الأسلوبين أنَّ الأوَّل جاءَ لدحضِ عقيدَةٍ بَاطِلَةٍ، وهي دُعَاءُ الأَوثَانِ

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:125

[2] – المصدر نفسه، 125

وعِبادَتُها، أمَّا الثَّاني فيتحدث عن نَزوَةٍ من نَزَوَاتِ الدُّنيَا، أضف إلى ذلكَ أن أُسلُوبَ القرآنِ استخدمَ لَفظَةَ البَسطِ، أمَّا أُسلُوبُ المثلِ فاستَنَدَ إلَى لفظَةِ القَبضِ، والقَبضُ دُونَ البَسطِ، لأنَّ البَاسِطَ لِكَفَّيهِ هو نَاشِرٌ لأَصَابِعِهِ مُفَرِقٌ بَينَهَا، وهذا لَن يَحمِلَ أي قَطرَةٍ مِن قَطَرَاتِ المَاءِ؛ أمَّا اللَّفظَةُ الثَّانِيَةُ (القبض) فَصَاحِبُهَا –أي القابضُ– قَد يَعُودُ بِقَطَرَاتٍ يسيراتٍ بين كَفَّيهِ.

أمَّا الغرض الذي يُؤَدِّيهِ التَّشبيهُ في قولنا: (السَّاعي بغيرِ طائلٍ كالقابضِ على الماءِ) فَيَرجِعُ إلى المُشبَّهِ، ذلك أنَّنا حين نستشهدُ بهذا المثل كحُجَّةٍ على أنَّ السَّعيَ الذي لا يُرجِعُ منه بفائدة هو كالقبض على الماء، فنحن نُقَرِرُ حَالَ هذا المُشَبَّه في نفس السَّامع، ليبادر كي لا يكون مثله، فاستعنَّا على إيصالِ هَذِهِ الفكرة بأن جعلنا المُشَبَّهَ بِهِ في صورةٍ أعرفَ مِمَّا هِيَ عَلَيهِ في المشبَّه.

النَّموذج الرَّابع: (**سَوَاءٌ كَأَسنَانِ المُشطِ**)[1]

هذا النَّموذج هو من الأمثال الحديثيَّة المعزوَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمام الحديث الذي انتزع منه هذا المثل – كما ذكره أبو هلالٍ العسكريُّ – هو: " إنَّما النَّاسُ كأسنانِ المُشطِ، وإنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بالعَافِيَةِ "[2].

فمن خلال المقارنة بين التَّشبيهِ الوارِدِ في الأصلِ الذي انتزع منه قولهم: (سَوَاءٌ كَأَسنَانِ المُشطِ) وبين المثل نفسه، نجدُ بأنَّ تَشبِيهَ الحَدِيثِ (يعني الأصل الذي انتزع منه المثل) قَد ذُكرت فيه بَعضُ أَركَانِ التَّشبيه، وَلَم تُذكَر في تشبيه المثل، والعكس؛ ومن ذلك التَّصريحُ بالمشبَّهِ في الحديث وهو (النَّاس)، مع غياب وجه الشَّبه، ولكن تُرِكَت لازِمَةٌ تَدُلُّ على ذلك الوجه، وهي مُضَمَّنَةٌ في عبارة

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:426

[2] – ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمَّة، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1412هـ/1992م، ج: 2، ص: 60

(وإنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بالعَافِيَةِ)؛ فالأداةُ (إنَّما) وحرف العطف قبلها (الواو) جَاءَا لِيَحصُرَا مَا أُجمِلَ في العبارةِ التي تَسبِقُهُمَا، وهي (إنَّما النَّاسُ كأسنانِ المُشطِ)، فالمُجمَلُ مِن هذه العبارةِ أنَّ النَّاسَ كُلَّهُم كَأَسنَانِ المُشطِ، فَشُبِّهَ النَّاسُ بأسنانِ المشطِ، وَصِفَةُ أسنانِ المُشطِ المقصودة هنا هي التَّساوي، فَيَكُونُ بذلك أَنَّ النَّاسَ مُتَسَاوُونَ، هذا ما دلَّت عليه العبارةُ الأولى من المَثَلِ، ثم حُصِرَ هذا المَعنَى بالعبارَةِ الثَّانِيَةِ الدَّالَةِ على أنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ.

هذا فيما يخص الصُّورة التي ورد بها التَّشبيه في الحديث، أمَّا عنها في تشبيه المثل فنلاحظ فيها أنَّ المُشبَّهَ محذوفٌ[1]، وقد صُرِّحَ فيه بوجه الشَّبه وَقُدِّمَت رتبتهُ، وهذا معاكسٌ لما جاء في صورة التَّشبيه الواردة في الحديث.

فإذا جِئنَا للبَحثِ عن الغَرَضِ من حَذفِ المُشَبَّهِ من أَصلِ بِنَاءِ المَثَلِ بَعدَمَا كَانَ مَذكُورًا في الأَصلِ الذي نَشَأَ عَنهُ، وجدنا بأنَّ الغَرَضَ يكمنُ في جَعلِ استعمالِ المَثَلِ أَوسَعَ، وَبِشَكلٍ يَتَمَاشَى مَعَ مُستَخدِمِهِ؛ أمَّا تَقدِيمُ وَجهِ الشَّبَهِ فالغَرَضُ منه يَرجِعُ إلى الاستعمالِ كذلك، ذَلِكَ أنَّ أَبَا هلالٍ العسكريّ ذَكَرَ قَبلَ هَذَا المَثَلِ مَثَلاً يُشَابِهُهُ من حيثُ المعنى، وهو قَولُهم: (سَوَاسِيَةٌ كَأَسنَانِ الحِمَارِ) وَفَسَّرَهُ قَائِلاً: " أي مُستَوُونَ في الشَّرِ؛ فلا يُقَالُ: سَوَاسِيَةٌ إلاَّ فِي الشَّرِ "[2]؛ فلمَّا قالُوا في هذا النَّموذج: (سَوَاءٌ) في حين كان في مقدورهم قَولُ: (سَوَاسِيَةٌ) دلَّ ذلك على أنَّ (سَوَاءٌ) تُستَعمَلُ في الخَيرِ والشَّرِ، كَمَا يُفهَمُ مِن ظَاهِرِ المَثَلِ.

---

[1] – نقل الميدانيّ هذا المثل برواية ذُكِرَ في أصلِها المشبَّه، وهي: (النَّاسُ كأسنانِ المُشط)؛ ينظر: مجمع الأمثال، ج: 2، ص: 340

[2] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص: 426

وبالعودة إلى تحليلِ التَّشبيهِ في النَّموذج المختار نَجِدُ بِأَنَّ الوَجهَ الذي يَجمَعُ بين طَرَفَي التَّشبيهِ يَحتَاجُ لِمَزِيدِ إيضَاحٍ، لأنَّ ظَاهِرَ قَولِهم: (النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسنَانِ المُشطِ) يَتَعَارَضُ مَعَ الوَاقِعِ، فَمِنَ المَعرُوفِ أَنَّ أسنانَ المُشطِ مُتَسَاوِيَةٌ لَا يَتَفَاضَلُ بَعضُهَا عَن بَعضٍ بشيءٍ، وهذا هو المشبَّهُ بِهِ، فِي حِينِ جُعِلَ مِنَ النَّاسِ مُشبَّهًا، وقد أُلحِقَ هَذَا المُشَبَّهُ (النَّاس) بِأَسنانِ المُشطِ فِي صِفَةٍ جَامِعَةٍ بَينَهُمَا وَهِيَ التَّسَاوِي.

فَيُفهَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ النَّاسَ مُتَسَاوُونَ، ولا يتفاضلُ الواحِدُ مِنهُم عَلَى الآخرِ بشيءٍ، وَفِي حَقِيقَةِ الأَمرِ إِذَا فُهِمَ هَذَا التَّشبيهُ بهذهِ الطَّرِيقَةِ فَفِي هَذَا خَطَأٌ، على الرَّغم من أَنَّ ظاهرَ التَّشبيهِ هو الذي يُوحِي بِهِ، وَخَطَّأنَا ذلك الفَهم بسَبَبِ التَّعميمِ الذي يَحمِلُهُ ظَاهِرُ المَثَلِ، فالنَّاسُ لا يتساوون، فكما في النَّاس أغنياءٌ، فيهم الفقراءُ، وفيهم الأقوياء، والضُّعفاءُ، وفيهم الشُّجعانُ، والجبناءُ، وغير ذلك، وهذا لا يعني أَنَّهم يتفاضلونَ في كُلُّ شَيءٍ.

أَمَّا السَّبب الذي يَجعَلُ مِنَ المَعنَى الذي أُورِدَ في المَثَلِ يبدُو خَاطِئًا فَيَرجِعُ إلى أَنَّ المَثَلَ انتُزِعَ من أَصلِ الحَدِيثِ، وَقَد قَامُوا بالتَّصرُفِ فيهِ بَعضَ الشَّيءِ، إذ إنَّهم حذفوا المُشَبَّهَ، وذكروا وَجهَ الشَّبَهِ وقدَّمُوهُ عن رُتبَتِهِ الأصليَّةِ، أَمَّا في الأَصل الذي نَشَأَ عنه المَثَلُ فلا تَعَارُضَ بينه وبين الواقع، لأَنَّ المقصود من قوله صلى الله عليه وسلَّم: (إنَّما النَّاسُ كأسنانِ المُشطِ) لا يريدُ به أَنَّ النَّاسَ سواءٌ في أمور الدُّنيَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، بل يُرِيدُ مِن ذَلِكَ أَنَّهم متساوون أَمَامَ أَحكَامِ الدِّين، أَضِف إلى ذلك أَنَّه أثبتَ تَفَاضُلَ النَّاس في قَولِهِ: (وإنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بالعَافِيَةِ).

وإذا جئنا لتحليل التَّشبيه في قولهم: (سَوَاءٌ كأسنانِ المُشطِ) باعتبار أركانه، وجدنَا أَنَّ هذا التَّشبيه هو من حيث الإفراد والتَّركيب: تشبيهٌ لمفردٍ بمركَّب؛ المفرد هنا هو المُشبَّه وقد قدَّرناه بلفظة

(النَّاس) قياسًا على الأصل الذي نشأَ عنه، أمَّا المركَّب فهو المشبَّهُ به (أسنانُ المُشطِ)؛ وهو –أي التَّشبيه– من حيث حسِّيَّةُ كلٍّ من الطَّرفين وعقليَّتهما: تشبيهٌ لحسِّيٍّ بحسِّيٍّ؛ أمَّا باعتبار أداةِ التَّشبيهِ فهذا النَّموذجُ من التَّشبيهاتِ المرسلة، لأنَّ الأداة مذكورةٌ وهي (الكافُ)؛ أمَّا باعتبار وَجهِ الشَّبَهِ فالتَّشبيه مُفَصَّلٌ قريبٌ، مفصَّلٌ لأنَّه صُرِّحَ فيه بوجه الشَّبه، وقريبٌ لأنَّ إدراكه لا يَحتَاجُ إلى طُولِ تأمَّلٍ ودقةِ نَظَرٍ.

أمَّا الغرضُ الذي جاءَ من أجلهِ هذا التَّشبيه فراجعٌ إلى المُشبَّه، لأنَّ فيه بيانًا لحاله، فبعدمَا كانت هذه الحَالُ مجهولةً عند طالبي مَعرفَتِها، يحيطُ بها الغُموضُ، ولم يدركوا الأوصاف التي هي عليها، جيء من أجل تجلية ذلك الغموض ورفع الجهالة المحيطة بحال المُشبَّه (النَّاس) بمشبَّهٍ به هو أبينُ وأوضحُ، فجُعل قائدًا ودليلاً على حال المُشبَّه، لأنَّ بين النَّاس تعارفًا حول هيئة المُشطِ، من تساوي الأسنان فيه، دون أن يتفاضلَ الواحدُ منها على الآخر بشيء، فدلَّ ذلك على أنَّ حال النَّاس وهيئتهم كمثل هيئة أسنان المشطِ، وفي هذا بيانٌ لما جهل من حال المُشبَّه.

النَّموذجُ الخامس:

تَــرَى الفِتيَـانَ كـالنَّـخلِ، وَمَــا يُدرِيكَ مَــا الدَّخلُ[1]

يعدُّ هذا النَّموذجُ من الأمثال الشِّعريَّة، وهو بيتٌ تامٌّ قائمٌ بذاتهِ، وقد انتزعَ من قولِ الشَّاعر على وزن الهزج:

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:219

تَــرَى الفِتيَــانَ كـالنَّـخلِ *** وَمَــا يُدرِيكَ مَــا الدَّخلُ[1]

وَكُـلٌّ فِــي الهَــوَى لَيثٌ *** وَمَــا فِــي نَــابِــهِ فَســلُ[2]

وَلَيسَ الشَّأنُ فِي الوَصلِ *** وَلَكِن أَن يُــرَى الفَصلُ

هذا عن الأصل الذي نشأ عنه المثل؛ أمَّا التَّشبيه الواردُ فيه فَقَد جاءَ مُشتَمِلاً علـى ثلاثة أَركَانٍ، هي: المُشبَّه، وهو يتمثل في لفظة (الفتيان)؛ والأداة، وهـي حرف (الكاف)؛ والمُشبَّهُ بِهِ، وهو (النَّحلُ)؛ في حين غابَ الرُّكنُ الرَّابِعُ من أركان التَّشبيهِ (وجهُ الشَّبَهِ)، وهو الأمر الذي أُلحِقَ به الفتيان بالنَّخلِ، فوجه الشَّبَهِ محذوفٌ ولكن في الإمكان الاستدلال عليه واستنباطه من خلال التَّركيب الذي بُنِيَ عليه المثل.

وَقَد أتى طرفا التَّشبيه في صُورَةٍ حسِّيَّةٍ، يمكن إدراكهما بحاسة البصر، لأنَّهما من المُبصرات، وهما – أي الطَّرفان – مفردان، والمقصود بالمفرد هنا ما يقابل المُرَكَّبَ، والتَّشبيه في قولهم: (تَرَى الفِتيَانَ كَالنَّخلِ، وَمَا يُدرِيكَ مَـا الـدَّخـلُ) هو تشبيهٌ مُرسَلٌ، هـذا باعتبـار الأداةِ، وهو باعتبار وجه الشَّبه تشبيهٌ مُجملٌ قريبٌ.

وإذا جئنا للبحث عن الصِّفة التي يشتركُ فيها المُشبَّه والمُشبَّه به، وجدنا بأنَّهما يشتركان في صفة الطُّول بوجهٍ خاصٍّ، بدليل أنَّ هذا المثل مضروبٌ لرَّجُلِ له مَنظَرٌ حسنٌ، أمَّا حَالُ بَاطِنِهِ فَخرابٌ لا خَيرَ فيه.

---

[1] – الدَّخل: هو ما يَبْطُنُ في الشَّيءِ.

[2] – الفسلُ: يقال رجلٌ فسلٌ أي لا مُرُوءةَ له.

فإذا ما قيل: لماذا ذهبتم في تحديد الصِّفة التي يشترك فيها الفتيان والنَّخل إلى الطُّول ؟ وهناك أوصاف أخرى غير ما ذهبتم إليه نحو: مماثلة الفتيان لِلنَّخلةِ في النَّفع مثلاً، وفي الحديث قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم: " مثل المؤمن مثل النَّخلةِ، ما أخذتَ منها من شيءٍ نَفَعَكَ "[1].

والجواب عن هذا يكون من وجهين:

الوجه الأوَّل: أنَّ القياس بالحديث على أنَّ من الصِّفات التي يشترك فيها الفتيان والنَّخل هي النَّفع، فهذا قياسٌ مردود بنصِّ الحديث المُحتَجِ به نَفسِهِ، ذلك أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلَّم مَاثَلَ بين المؤمن والنَّخلة، وقد خَصَّ – في هذا التَّشبيه – المؤمنين بالنَّفع، ولا دليل عندنا على وجود هذه الصِّفة – الإيمان – في الطَّرف الأوَّل من التَّشبيه في نموذجنا هذا، أضف إلى ذلك أنَّ قولهم: (تَرَى الفِتيَانَ كَالنَّخلِ، وَمَا يُدرِيكَ مَا الدَّخلُ) محمولٌ على الذَّم، فأين هذا من ذاك!

الوجه الثَّاني: اختيارنا لصفة الطُّول دون سواها من الأوصاف كان جرَّاء قراءة متأنية للمثل، فالشَّطر الثَّاني من البيت وهو: (وَمَـا يُدرِيكَ مَـا الدَّخلُ !) جاء مُوضِّحًا لوجه الشَّبه بين الطَّرفين عندما كان محذوفًا، فلمَّا قيلَ: (تَـرَى الفِتيَـانَ كـالنَّخلِ) وهم في ذلك مُتَعَجِّبُونَ من المظاهر، جيء بالأداة (ما) الدَّالة على الاستفهام التَّعجُّبي، لتتكر أنَّ العِبرَةَ في الأشخاص لا تكون بالظَّواهرِ والمظاهر، بل بالجواهر والبواطن، وقد أُكِّدَ هذا المعنى باللَّفظةِ (الدَّخل) التي يُقصَدُ بها: مَا يَبطُنُ فِي الشَّيءِ؛ ليكون تقدير الكلام – من كلِّ ما سبق –: ترى أجسامًا تامَّة حسنةً في ظاهرها، ولا تدري ما حالُ باطِنِها.

[1] – الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ج: 5، ص: 355

وفي هذا المعنى يقول عبَّاس بن مِردَاس (ت:18هـ):

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فتَزدَرِيهِ *** وَتَحـــتَ ثِـيَــابِهِ أَسَـدٌ مَـزِيـرُ

وَيُعـــجِبُكَ الطَّــرِيرُ فَتَبتَلِيهِ *** فَيُخلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّـرِيرُ[1]

قوله: الرَّجُلُ الطَّريرُ أي ذو المنظر.

فالغرضُ من التَّشبيه في قولهم: (تَرَى الفِتيَانَ كَالنَّخلِ، وَمَا يُدرِيكَ مَـا الـدَّخـلُ) راجعٌ إلى المُشبَّه (الفتيان)، والهدف منه هو تِبيَانُ حقيقة الصُّورة التي عليها الفتيان، إذ إنَّ لهم أجسامًا تماثل النَّخل في طولها، ولكنَّ بواطنَهم خاويةٌ، فلمَّا كان معنى المثلِ محمولاً على الذَّمِ والتَّقبيح لهذه الصُّورة أي كون الإنسان ذا مَنظَرٍ ولا مَخبَرَ له، دلَّ ذلك على أنَّ في هذا التَّشبيه تنفيرًا من مشابهة هؤلاء الفتيان.

النَّموذج السَّادس: (كَالحَادِي وَلَيسَ لَهُ بَعِيرٌ)[2]

لا يختلف التَّشبيهُ في هذا النَّموذج عن تشبيهات النَّماذج السَّابقة له إلاَّ من حيث المعنى والغرض الذي جاءَ من أجل تأديتهِ، وقد وقع في أركانه ما وقع في التَّشبيهات السَّابقة، من ذكرٍ لبعضٍ منها وغيابٍ للبعضِ الآخرِ؛ فجاءَ مشتملا على كلٍّ من الأداة وهي (الكاف)، والمُشبَّه به وهو (الحادي) الذي ورد مقيَّدًا بقولهم: (وليس له بعير).

أمَّا بقيَّة الأركان فلم ينصُّوا عليها في تركيب المثل، وأسباب هذا – أي حذفهم للرُّكنين الباقيين – هي نفس الأسباب التي ذكرت في النَّماذج السَّالفة، من أنَّ حذف المُشبَّه يقصدون به

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج: 14، ص: 137

[2] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:124

توسيع نطاق استعمال المثل، ولكي يَتَماشى مع أحوال المحتجِّينَ والمستشهدين به، أمَّا حذفهم لوجه الشَّبه فيَعمَدُونَ إليه من أجلِ استمالةِ المُستَمِعِ والمُخاطَبِ، وحَثِهِ على إعمال فِكرِهِ بالتَّأمُّلِ في البحث عن المقصود من ذلك المثل، لأنَّ الوقوف على معنى التَّشبيه في المثل بعد بَذلِ مجهودٍ في ذلك يزيدُ من فَعَّالِيَّةِ تحقيقِ الغرضِ من استخدام المثلِ، وهو أدعى إلى استجابة المُستَمِعِ والمُخاطَبِ لما يَتَوخَّاه المثل من غرضٍ.

والطَّريقُ الموصلُ إلى فهم التَّشبيه الوارد في قولهم: (كالحَادِي وليسَ لهُ بَعِيرٌ) يقتضي أوَّلاً وقبلَ كُلِّ شيءٍ الاطِّلاعَ على معنى الألفاظ التي يتركَّبُ منها هذا المثل؛ فقولهم: (الحادي) يَقصِدُونَ به الشَّخصَ الذي يَسُوقُ الإبلَ والعيرَ من ورائِها بالحُداءِ، والحُداءُ: هو الغناءُ للإبل من أجلِ الإسراع في المَشي؛ فيفهم من هذا أنَّ الحُدَاءَ مرتبطٌ بسَوقِ الإبل، بمعنى أنَّه إذا لم تكن هناك إبلٌ فلا يُسمَّى الحادي حَادِيًا، لأنَّ الحُداءَ هاهنا مقيَّدٌ بكونهِ خاصًّا بالإبل، فهذا–أي الحادي– الذي نسب نفسه إلى شيءٍ هو فاقدهُ هو متشبِّعٌ بما لا يملكه ولم يُعطَهُ؛ قال صاحبُ (فرائدِ اللَّآلِ في مجمعِ الأمثالِ) ناظِمًا لهذا المثل:

وَهُوَ بِمُلكِ الغَيرِ يُبدِي جَذَلَه *** كَمِثلِ حَادِ وَهُوَ لَا بَعِيرَ لَه[1]

قَولُهُ: (يُبدِي جَذَلَهُ) أي فَرَحَهُ وَبَهجَتَهُ.

فالتَّشبيه في هذا النَّموذج (كَالحَادِي وَلَيسَ لَهُ بَعِيرٌ) هو باعتبار أداته تشبيهٌ مُرسلٌ، وهو باعتبار وجه الشَّبهِ تشبيهٌ مُجمَلٌ.

[1] – إبراهيم الأحدب، ج: 2، ص: 111

أمَّا عن نوع التَّشبيه فيه باعتبار الطَّرفين فلا يمكن تحديده بدقَّة إلاَّ إذا قدَّرنا مُشبَّهاً، وليكن على سبيل المثال: (المُتعالِمُ المُدَّعِي لِمَا لَم يُعطَ) وقيَّدنا المُشبَّه هنا بهذا الوصف ليتوافق مع مدلول المثل والمعنى الذي يضربُ فيه.

فبناءً على ما سبق يُصبِحُ التَّشبيهُ في هذا النَّموذج باعتبار إفراد الطَّرفين وتركيبهما تشبيهًا لمركَّبٍ مقيَّدٍ بمركَّبٍ مقيَّدٍ؛ المركَّبُ الأوَّلُ: هو المُشبَّه المتمثل في (المُتَعَالِم) وقد قُيِّدَ بعبارة (المُدَّعِي لما لم يعطَ)، أمَّا المركَّبُ الثَّاني: فهو المشبَّه به وهو ما دلَّت عليه لفظة (الحادي) وقد قيِّدَ بالجملة الحاليَّة (وليسَ لَه بعيرٌ).

أمَّا عن الطَّرفين من حيث حسِّيَّة كلٍّ منهما وعقليَّته ؛ فالطَّرفُ الأوَّلُ عقليٌّ يُستدلُّ عليه بالعقلِ والوجدان، والثَّاني حِسِّيٌّ، الدَّليلُ عليه حاسَّة السَّمع؛ وكونُ المُشبَّه في صورة عقليَّة والمُشبَّه به محسوسٌ، فيه دلالة على أنَّ إخراج المعقول إلى المحسوس أدعى للتأثير في نفس السَّامعِ ووجدانه، ذلك أنَّكَ تصوِّر له الشَّيءَ البعيدَ المنالِ بشيءٍ محسوسٍ قد اعتادَ عليه، لذا نحن نلحظ أنَّ مُطلقَ المثل استندَ في إرسالهِ لهذا المثلِ إلى الطَّبيعةِ والبيئةِ التي يعيشُ فيها، فذكر (الحادي والعير) لقربِ مسلك إدراكهما وجلاءِ المقصود منهما.

أمَّا عن وجهِ الشَّبهِ الذي يربطُ بين المتعالمِ المُدَّعِي لما لم يعطَ والحادي الذي ليس له بعيرٌ فيرجعُ إلى انتحالِ كُلٍّ منهما ما لا يملكهُ، فوجه الشَّبه بينهما ادِّعاؤهما لشيء لا يملكان زمامه، إذ إنَّ الطَّرف الأوَّلَ ينسب نفسهُ إلى العلم الذي لا يملك مفاتيحه، ولا ناقةَ له فيه ولا جَمَلَ، فإذا خاض فيه وهو لا يحسنه هدم قواعده، وجاء بكلِّ غثٍّ وسمينٍ لأنَّه لا يملكه، ولم يجتهد في تحصِّيله، بل نسبَ نفسه إليه زورًا وادِّعاءً.

أمَّا الطَّرف الثَّاني فقد تشبَّع بشيءٍ لا يملك مادَّته، فهو يحدُو ويسوقُ الأهازيج الدَّافعةَ للعيرِ كي تزيد من سرعتها، ولكن لا عير له لتسمع حُدَاءَهُ، فتستجيبَ لذلك الحداء، فهو يتعبُ من دون أن يُحَصِّلَ فائدةً.

وبالبحث عن الغرض من التَّشبيه في الصُّورة السَّالفة نجد أنَّه راجعٌ إلى المُشبَّه، لأنَّ صورة التَّشبيه هنا جاءت من أجل بيان مقدار حال العالم المتعالم المُدَّعي لما لم يعطَهُ، وقد جِيء بالمُشبَّه به في صورة أبين ممَّا هي عليه في المُشبَّه، وذلك من أجل إيضاح حال المُشبَّه، لأنَّ المُخَاطَبَ عندما يسمع: (المتعالم المُدَّعي لما لم يُعطَه) يكون قد تصوَّر حال المُشبَّه، ودرى بأنَّه مُدَّعِي لما لم يعطه، ولكنَّه يجهل مقدار ذلك الادِّعاء، فجيء بالمشبَّه به في صورة أوضح وأبين لِلدَّلالة على ذلك القدر.

النَّموذج السَّابع: (مَن فَسَدَت بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَن غُصَّ بِالمَاءِ)[1]

إنَّ الأصلَ الذي نشأَ عنه هذا النَّموذج يعود إلى حكمةٍ، وقد نسبَ أبو هلالٍ العسكريّ هذه الحكمة إلى أَكثَم بن صَيفِيٍّ (ت:10هـ) مِمَّا يعني بأنَّها من الزَّمن الجاهليّ أو الإسلاميّ الأوَّل، ولكنَّ أبا هلالٍ لم يتصدَّ لتفسير معنى هذا المثل، ولم يشرح الألفاظ الواقعة فيه، كما أنَّه لم يتناوله بأي خبرٍ يمكن من خلاله أن نضعَ تحليلاً للتَّشبيه فيه والبحث عن الغرض منه بناءً على ذلك.

أمَّا عن التَّشبيه الواقع في قولهم: (مَن فَسَدَت بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَن غَصَّ بِالمَاءِ) فقد جاءت صورته مبنيَّةً على أسلوب الشَّرطِ؛ فالحرف (مَن) هي أداة الشَّرطِ، وفعلُ الشَّرط (فَسَدَت)، أمَّا

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:204

جواب هذا الشَّرط فدلت عليه عبارة (كَانَ كَمَن غَصَّ بِالمَاءِ)، أمَّا الفاعل فهو ما أحال إليه الضَّميرُ المستتر (هو) في فعل الشَّرط (فَسَدَت).

وفيما يخصُّ أركان التَّشبيه في هذا النَّموذج فقد ذُكِرَت كلُّها باستثناء وجه الشَّبه؛ فالطَّرفُ الأوَّلُ (المُشبَّه) لم يُصرَّح به بطريقة مباشرة، ولكنَّهم قيَّدوه بقيدٍ، وهو ما دلَّ عليه التَّركيب (فَسَدَت بِطَانَتُهُ) ليفهم من ذلك أنَّ المُشبَّه شخصٌ فاسدُ البِطَانَةِ، أمَّا الطَّرفُ الثَّاني (المُشبَّه بِهِ) فهو الغَاصُّ بالماءِ، وقد جمعت أداة التَّشبيه (الكاف) المُصرَّح بها بين الطَّرف الأوَّل والثَّاني، لتدلَّ على أنَّ الطَّرفين يشتركان في صفة ما.

وممَّا سَبَقَ يُلاحَظُ بأنَّ التَّشبيهَ في هذا النَّموذج جاء مبنيًّا على عدَّة أنواع؛ فهو باعتبار وجه الشَّبهِ المحذوفِ والأداةِ المصرَّحِ بها: تشبيهٌ مُجمَلٌ مُؤَكَّدٌ، وهو باعتبار الطَّرفين فمن حيث الإفرادُ والتَّركيبُ: هو تشبيهٌ لمركَّبٍ مقيَّدٍ بمركَّبٍ مقيَّد كذلك؛ المركَّب الأوَّل (المُشبَّه) وهو الشَّخصُ الفاسدُ البِطَانَةِ، وقد قُيِّدَ بكونِ بِطَانَتِهِ فاسدَةً، لأنَّ الذي له بِطانَةٌ ولكنَّها ليست بفاسدة فلا يَصلُحُ أن يَكُونَ طَرَفًا في هذا التَّشبيه، لأنَّ المعنى والغرضَ من التَّشبيه هاهنا يمنعان ذلك.

أمَّا المُركَّبُ الثَّاني (المُشبَّه بِهِ) فهو الغَاصُّ بالماءِ، والقَيدُ الذي وُضِعَ لهذا الطَّرفِ يرجعُ إلى كَونِ الغَصَصِ بالماء دون سِوَاهُ، ولهذا مغزًى ودلالةٌ، لأنَّ أصلَ الغَصَصِ أن يعترضَ الطَّعَامُ الحَلَقَ فيمنَعُ ذلك من التَّنفسِ والبَلعِ، فإذا حَصَلَ ذلك استعان الشَّخصُ الغَاصُّ بالماءِ من أجلِ دفعِ ذلك الغَصَصِ؛ ولكنَّه إذا غَصَّ بسبب الماءِ فلا حيلةَ له لدفعِ ما به؛ قال الشَّاعرُ:

لَـو بِغَيـرِ المَـاءِ كَـانَ حَلـقِي شَرِقٌ *** كُنتُ كالغَصَّانِ بالمـاءِ اعتِصَارِي[1]

قوله: (اعتِصَارِي) أي مَلجَئِي.

وقال الآخر:

إِلَى المَاءِ يَسعَى مَن يَغَصُّ بِأَكلِهِ *** فَقُل: أَينَ يَسعَى مَن يَغصُّ بِالمَاءِ؟[2]

أي لا سبيل له لدفع ذلك الغَصَصِ، لأنَّ الذي هو سببٌ في دفعه (الماء) هو السَّبب في غَصَصِهِ.

أمَّا وجه الشَّبه بين المشبَّهِ (الشَّخص الفاسدُ البِطانة) وليكن على سبيل المثال ومن أجل التَّوضيح (الملك)، والمُشبَّهُ بِهِ (الغاصُّ بالماء) فهو صورة منتزعَةٌ من متعدِّدٍ وهي عدمُ وجودِ دواءٍ لكلا الحالتين؛ فكما مرَّ قبل قليل من أنَّ الغاصَّ بالمــاءِ لا حيلةَ له لدفع مـا به، لأنَّه غَصَّ بما هو سَبَبٌ في دفع ذلك الغَصَصِ، فكذلك الحالُ بالنِّسبةِ للملكِ ذي البِطَانَةِ الفاسدةِ، فإذا كانت بِطَانَتُهُ –وهم خاصَّةُ جُلَسَائِهِ وَرِجَالِهِ من وُزَرَاءَ وأُمَرَاءَ وغيرهم من أهل مَشُورَتِهِ– فَاسِدَةً فكيف يرجو صلاحَ مُلكِهِ، وهؤلاء ما نُصِّبوا إلاَّ من أجل إصلاحه وتمكينه، فإذا حصلَ منهم الفساد في ذلك المُلكِ فما وجه حيلة ذلك المَلِك، قال الشَّاعر في معنى هذا:

كُنـتُ مِـن كُربَتِي أَفِرُّ إِلَيهِمُ *** فَهُمُ كُربَتِـي فَأَينَ الفِــرَارُ؟[3]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد: 5، ص: 3262

[2] – الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج: 1، ص: 156

[3] – عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ج: 8، ص: 513

فالصِّفة التي اشترك فيها طَرَفَا التَّشبيه في هذا النَّموذَجِ هي أنَّ الفسادَ والضَّررَ الذي حلَّ بكلِّ طرفٍ كان ذلك الطَّرفُ يحسبُ أنَّ دفع ذلك الفسادِ والضَّررِ يكون بالالتجاءِ إلى مُعِينٍ يُوثَقُ به، ولكنَّ ذلك المعينَ بَدَلَ أن يدفعَ الفسادَ والضَّرَرَ عن من وَثِقَ بِهِ زاده ضَرَرًا إلى ضرره، فوجه الشَّبه وفق هذه الصُّورة ينتج لنا تشبيهًا تمثيليًّا، حيث مثَّلوا حالت من فسدت بِطَانَتُهُ بحالَةِ من غَصَّ بالماء.

أمَّا الغرضُ الذي جاء التَّشبيه لتأديته في قولنا: (مَن فَسَدَت بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَن غَصَّ بِالمَاءِ) فيرجِعُ إلى المُشبَّه، لأنَّ المستشهدَ بهذا المثل الغرضُ عنده من الإتيان بهذا التَّمثيل هو إيضاحُ أنَّ المُشبَّه أمرٌ ممكن الوجود، ذلك أنَّ الأذهان والنُّفوس–لفطرتها وطبيعتها– لا تَتَصَوَّرُ أن الفسادَ قد يأتي من قِبَلِ من أُنِيطَ به دفع ذلك الفسادِ، كما أنَّها لا تتصوَّرُ بأنَّ هناك من يُغَصُّ بالماء، فلمَّا أكَّد المستشهدُ بأنَّ هناك من يَغَصُّ بالماءِ دلَّ ذلك على أنَّ الفَسَادَ في المُلكِ قد يأتي من طرف من سُخِّرَ لإصلاحِهِ وإقامةِ بنيانِهِ، ففي هذا بيانٌ لإمكانِ وقوعِهِ، وإن كان المعروف عنه العكس من ذلك.

النَّموذج الثَّامن:

المُستَغِيثُ بِعَمرٍو عِنــدَ كُربَتِهِ * كَالمُستَغِيثِ مِنَ الرَّمضَاءِ بِالنَّارِ**[1]

في هذا البيت الشِّعري نموذجٌ لنوعٍ من أنواع التَّشبيه، وقد أورده أبو هلالٍ على أنَّه مثلٌ يضربُ في حالاتٍ معيَّنَةٍ ومواقفَ محدَّدَةٍ، والشَّاهدُ من البيتِ هو الشَّطرُ الثَّاني، وهو قولهم:

[1] – جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:134

(كَالمُستَغِيثِ مِنَ الرَّمضَاءِ بِالنَّارِ)، ويُروَى كذلك: (كَالمُستَجِير مِنَ الرَّمضَاءِ بِالنَّارِ)؛ ولم يذكر أبو هلالٍ الزَّمنَ الذي قيل فيه هذا البيت ولا من قاله، وقد وجدنا بعضَ الكُتَّابِ والمصنِّفين يَنسِبُونَهُ إلى زمن حادثَةِ البَسُوسِ وَأَيَّامِهَا؛ وقد جعلَ أبو هلالٍ مضربَ هذا المثلِ خاصًّا بالرَّجُلِ يَفِرُّ من الأمرِ إلـى مَـا هـو شَرٌّ منه، وهذا المثل هو من بين أكثر الأمثال تَدَاوُلاً وَسَيرًا، وقد حَظِيَ من التَّمثلِ به بما لم يحظَ به غيره من الأمثال، فتناوله الشُّعراء والأدباء والخطباء في ثنايا أقوالهم وكتاباتهم، ومن ذلك قول الشَّاعِرِ:

يَــا مَـن تَيَمَّمَ عَمرًا يَستَجِيرُ بِـهِ *** أَمَــا سَمِعـتَ بِبَيـتٍ فِيهِ سَيَّــارِ

المُستَجِيرُ بِعَمرٍو عِنــدَ كُربَتِهِ *** كَالمُستَجِير مِنَ الرَّمضَاءِ بِالنَّار[1]

وقال المتنبِّي (ت: 303هـ):

وَلِيُّكَ اللَّهُ لِـم صَيَّـرتَنِي مَثَــلاً *** كالمُستَجِيرِ مِنَ الرَّمضَاءِ بالنَّارِ[2]

فهذه شواهدٌ لاقتبـاسِ المثل وَتَضمِينِهِ في الشِّعر، ففـي قول الشَّـاعر الأوَّل اقتبس الشَّاهد الذي تولَّد منه المثل بِتَمَامِهِ، في حين اختار أبو الطَّيب من الأصلِ الذي نشأ عنه المثل مَحَلَّ الشَّاهد فقط.

[1] – أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، تح: إحسان عبَّاس، وآخرين، دار صادر، بيروت– لبنان، ط 3، سنة: 1429هـ/2008م، ج: 24، ص:34

[2] – أبو العلاء المعرِّي، شرح ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي (مُعْجِز أحمد)، تح: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة– مصر، ط 2، سنة: 1413هـ/1992م، ج: 4، ص: 447

فإذا جئنا لتناول التَّشبيه في هذا النَّموذج فإنَّنا نجدُ بأنَّه لا يخرجُ عمَّا جاءَ في الشَّواهد التي قبله إلاَّ من حيث معناهُ والغرضُ الذي جاء ليبلِّغه، فهو باعتبارِ الأركان جاءَ حاويًا لثلاثةٍ منها؛ وهي المُشبَّه، والمُشبَّه به، والأداةُ، أمَّا الرُّكن الرَّابع فقد غابَ عن أصل بناء صورته.

وتحديد الأركان المصرَّح بها في بناء المثل هو كالتَّالي: المستغيثُ بعمرٍو هو المُشبَّهُ، وقد جاءَ مُقيَّدًا بكون الاستغاثة تكون في حال كُربَةِ المُستَغِيثِ، أمَّا الطَّرف الثَّاني (المشبَّهُ بِهِ) فهو المُستَغِيثُ وقد ورد هو بدوره مقيَّدًا كذلك، على أنَّ الاستغاثة تكون من الرَّمضاءِ بالنَّار، وقد عُقِدَت المقارنة بين هذين الطَّرفين برابطٍ يجمعهما، وهو يتمثل في الأداةِ (الكاف) الدَّالة على مُشابهة حال المستغيثِ بعمرٍو في حال كربته بحال المستغيث من الرَّمضاء بالنَّار؛ أمَّا عن الرُّكن الرَّابع (وجه الشَّبه) فقد أضمر، والدَّليل عليه يكون باستقراء الطَّرف الثَّاني ومحاولة إسقاط ما وجد في ذلك على الطَّرف الثَّاني، ثم تقدير المعنى الذي يشتركان فيه والجامع الذي يربط بين الحالتين.

وممَّا يلاحظ في التَّشبيه هنا أنَّ مطلقه اعتمدَ فيه على إخراجِ ما هو معقولٌ – وهي الاستغاثة من الكرب – في صُورَةِ ما هو مَحسُوسٌ – وهي الاستغاثة من الرَّمضاء بالنَّار–، وفي هذا تقريبٌ لصورة المُشبَّه إلى الأذهان حتَّى يُدرَكَ الغرضُ الذي جاء لتأديته هذا التَّشبيه.

وإذا جئنا للتَّنقِيبِ عن وجهِ الشَّبه بين حَالِ المستغيثِ بعمرٍو في حالِ كربتِهِ وبين المُستَغِيثِ من الرَّمضاءِ بالنَّارِ، لوجدنا بأنَّهما يشتركانِ في كون كلٍّ واحدٍ منهما أخطأَ فيمن يَلجَأُ إليه لدفع ما به من مُلمَّة أصابتهُ؛ فالمستغيثُ في الطَّرف الأوَّلِ طلبَ الغَوثَ مِمَّن لا يُرتَجَى منه دفع ذلك

الكرب، أمَّا المستغيثُ في الطَّرف الثَّاني فقد لَجَأَ إلى دَفعِ ما به من شدَّة حَرِّ الرَّمضاءِ[1] إلى النَّار، وهي أشدُّ حرارةً من حرِّ الرَّمضاءِ.

فجاءَ التَّشبيهُ هَاهُنَا على سبيل التَّمثيل، حيثُ مثِّلت حال المستغيث بعمرٍو عند كربته بحال المستغيث من الرَّمضاء بالنَّار، وفي هذا غرضٌ راجعٌ إلى المُشبَّه، لأنَّهم لمَّا أرادوا أن يُوصِلُوا للمُخَاطَبِ الحَالَ التي عليها ذلك الذي لجأ إلى عمرٍو طالبًا الغوثَ منه مِمَّا يجده من كَربٍ جَاءوا بالمُشبَّه بِهِ في صورة هي أعرف ممَّا هي عليه في المُشبَّه، ليفيدَ ذلك أنَّ المستغيثَ بعمرٍو في حال كربتهِ يُمَاثِلُ المستغيثَ الذي هرب من ضَررٍ يَسِيرٍ (حرُّ الرَّمضاء) إلى ضَرَرٍ أشدَّ منه (حرُّ النَّارِ).

وفي نهاية تطبيقنا على هذه النَّماذج التي بُنِيَ فيها المثل على أسلوب التَّشبيه بوصفه مبحثًا من مباحث علم البيان تقرَّر لدينا بأنَّ هذا الأسلوبَ في الأمثال له سماتٌ تميِّزه، وخصائصٌ تبرز فيه، وهي تتعلَّقُ بِكُلِّ جوانبه.

فمن حيث الأداة جاءت نماذِجُ المدوَّنة مرتبطَةً في الغالب بـ: (كاف) التَّشبيه؛ ومن حيث وجه الشَّبه فقد تخلَّى مطلقو الأمثالِ عنه في كثير من الحالاتِ، ولم يُصَرِّحُوا به، وهو إذا ذُكِرَ جاءَ مُفرَدًا في أغلَبِ حالاته، كما أنَّهم قدَّموه في بعض الأحيان عن رُتبَتِهِ المعتَادَةِ، وهو في حالاته التي لم يُذكَر فيها وَجَدنَا بَأنَّهُ يأتي على صُورَةٍ منتزعةٍ من مُتَعَدِّدٍ، وهذا سَبَبٌ لعدمِ ذكره في أصل بناء المثل، لأنَّه لو ذكر لكان هناك تعارضٌ بين خصائص التَّشبيه وبين خلال الأمثال، ومن ذلك على

[1] – الرَّمضاء: أي شدَّةُ الحرِّ، والرَّمَضُ: حَرُّ الحِجَارَةِ من شدَّةِ حَرِّ الشَّمسِ؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد: 3، ص: 1729

سبيل القصر تعارض التَّشبيه الذي أركانه مُكتَمِلَةٌ مع السِّمة الأولى التي تُمَيِّزُ الأمثال وهي الإيجاز، كما أنَّه لو صُرِّح به في الصُّورة التي يرد بها مثلٌ من الأمثال، لكان ذلك التَّشبيه في صورةٍ أدنى – من حيث الجودة والبلاغة – ممَّا هي عليه في حال عدمِ ذكره، ففي كلتا الحالتين الحذفُ أنسب، لتَتَوَافَقَ خَصَائِصُ التَّشبيه مع خصائصِ الأمثال.

أمَّا فيما يخصُّ طرفي التَّشبيه فهناك ملامحٌ تبرز في نماذجِ هذه المدوَّنة، ومن ذلك: أنَّ المُشبَّهَ كثيرُ الغياب عن أصل بناء التَّشبيه، ولمطلقي الأمثال على هذه الصُّورة – أي على صورة حذف المشبَّه – قصدٌ من وراء ذلك، وقد سبق تبيانه بأنَّه من أجل توسيع دائرة استعمال الأمثال، ولكي تتوافق مع أحوال المستشهدين ومواقفهم.

وفي الحالات التي يكون المُشبَّه فيها محذوفًا إذا قُدِّر من أجل استكمال تحليل النَّموذج وجدنا بأنَّه يأتي في الغالبِ مُرَكَّبًا، وذلك من أجل موافَقَةِ مدلول المثل؛ وقد جاءَ في حالات أخرى مفردًا مصرَّحًا به في بناء صورة التَّشبيه المراد تأديته.

هذا عن الطَّرف الأوَّل؛ أمَّا ما يتعلَّق بالطَّرف الثَّاني (المُشبَّه به) فقد وجدنا بأنَّ الغالب فيه أنَّه يأتي مركَّبًا وفي الوقت نفسه يكون مقيَّدًا بضوابطَ تَحُدُّهُ وتبيّن ماهيَّته، وتَوَصَلنَا إلى أنَّ ذلك القيد هو الدَّليل الموصلُ إلى وجهِ الشَّبه بين المشبَّهِ والمشبَّهِ بهِ؛ وقد جاء هذا الطَّرف في أغلب حالاته في صورة هي أوضَحُ وأعرفُ ممَّا هي عليه في الطَّرف الأوَّل، كما أنَّهم ربطوه بما هو مَحسُوسٌ فجعلوا عنصرًا من عناصر البيئة والطَّبيعة المحيطة بهم (نبات، حيوان، ...) أغراضًا يقيسون من خلالها الأشياء التي يُريدون تِبيَانَها، لأنَّ هذه العناصر هي في أذهان المُخَاطَبِينَ أَبيَنُ وأَعرَفُ، وهي إلى الإدراك أَسهَلُ وأَقرَبُ.

أمَّا أنواع التَّشبيه الواقعة في نماذج هذه المدوَّنة فقد جاءت متنوِّعة، وقد غطَّت شواهد الأمثال جُزءًا لا بأس به من هذه الأنواع، فورد فيها التَّشبيه المرسل، والمؤكَّد، والبليغ، والمُجمل، والمفصَّل، والقريب والبعيد، وتشبيه التَّمثيل، في حين غابت أنواعٌ أخرى، ولذلك أسباب منطقيَّة ترجع إلى خصائص كل من الأمثال والتَّشبيه.

أمَّا فيما يخصُّ الأغراض التي جاءت تشبيهات الأمثال لتأديتها في هذه المدوَّنة فالغالب فيها أنَّها جاءت راجعةً إلى المُشبَّهِ، فتارة يوردونها من أجل بيان حال المشبَّه، بعدما كان مجهولاً، وتارةً تأتي لتقويَّة حاله وبيان مقدارها، بعدما كان معروفًا ولكن لا يحصل من ذلك كثير فائدة، وتارة أخرى يكون الغرض بيان إمكان وجود المشبَّه، إذا كان ممَّا لا يدرك بسهولة أو غريبٍ بعيدٍ عن التَّصوِّر، كما وردتْ أغراضٌ أخرى ولكنَّها قليلةٌ بالمقارنة مع ما سبقَ؛ وهناك من التَّشبيهات ما جاء الغرضُ فيها راجِعًا إلى المُشبَّهِ به، وهو قليلٌ جِدًّا.

وفي ختام هذا المبحث نشيرُ إلى أنَّ عدد الأمثال التي وردت منسوجةً على أسلوبِ التَّشبيهِ جاءت بكثرةٍ، ونحن إذا قلنا: إنَّ أغلب ما في هذه المدوَّنة يندرج تحت أسلوب التَّشبيه لم نبالغ في ذلك، لأنَّ الأمثال المنسوجة على (أفعل من) هي أمثالٌ حاويةٌ على أسلوب التَّشبيه بمختلفِ أنواعه، ولم نقترب من تحليل هذا النَّوع من الأمثال لأنَّ المعاني فيها واضحة، والأغراضَ جليَّةٌ، لا تحتاج لكبير جهد للوصول إليها؛ أضف إلى ذلك أنَّك إذا حلَّلت نموذجًا واحدًا منها فإنَّ باقي النَّماذج – في الغالب – ستأتي بنفس ذلك التَّحليل، لأنَّها تتشابه فيما بينها (كلُّها على صيغة أفعل من) باستثناء أنَّ لكلِّ نموذجٍ منها معناه الخاصُّ به، وغرضٌ جاء ليبلِّغه ويؤديه.

خـــاتـــمـــة

خاتمة:

لقد توصَّلنا من خلال البحث في موضوع التَّشبيه في الأمثال العربيَّة إلى عددٍ من النَّتائِجِ والنِّقاطِ التي قادنا إليها البحثُ العلميُّ؛ وهذه النَّتائج ترتبطُ بالأمثالِ من جهةٍ، وبالمدوَّنةِ وصاحبها من جهةٍ ثانية، وبالتَّشبيه من ناحيةٍ ثالثةٍ، وبيانُ أهمِّ هذه النَّتائجِ هو كالتَّالي:

1- لم يقع أيُّ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ يُحَدِّدُ ماهية الأمثال، وهذا راجِعٌ إلى أسبابٍ موضوعيَّةٍ محدَّدةٍ.

2- إنَّ الأمثالَ العربيَّةَ فيها ما هو صَرِيحُ الدَّلالةِ، ومنها ما هو غَامِضٌ ومُبهَمٌ، يُحتَاجُ إلى فهمِهِ وإيضاحِ مَدلُولِهِ إلى الاستعانة بوسائلَ مساعدةٍ.

3- التَّشبيهُ أبرزُ سمةٍ يُقِرُّ بها جميع من تحدَّث عن مفهوم الأمثال، وأغلبهم يقصدُ بهذا التَّشبيهِ: (تشبيهَ حالةِ المضربِ بحالةِ المورِدِ).

4- تَلتَبِسُ الأمثال مع جملةٍ من الأنماط والأشكال التَّعبيريَّة المختلفة، ولا وجود لضوابط موضوعيَّة وعلميَّة يمكن من خلالها الفصل فيما بينها.

5- لقد وقع بعضُ المصنِّفين المختصين في جمع الأمثال وتدوينها في مسألة الخلط بين الأمثال وغيرها من ضروبِ القول، وأبو هلالٍ العسكريّ واحدٌ منهم.

6- اهتمَّ الباحثون المحدثون بتصنيفِ الأمثال وتحديد أنواعها، ولهم في ذلك طرقٌ مختلفةٌ، وتصانيف كثيرة، ولكن لا يُسلَّم بصحَّةِ بعضها، لأنَّها مبنيَّة على النِّسبيَّة.

7- تحتوي كتبُ الأمثال إلى جانب مادَّتها الأساسيَّة جملةً من المواضيع المختلفة، هذا ما يؤهلها لتكون مجال بحثٍ في شتَّى العلوم اللُّغويَّة، والنَّقديَّة، والأدبيَّة.

8- للأمثال العربيَّة أنواعٌ كثيرة، هذا ما يجعلها تتصرَّفُ في أكثر وجوه الكلام، وتدخلُ في جلِّ أساليب القول والبيان، لاحتوائها على سمات وخلال تمكِّنها من ذلك.

9- تحتلُّ مدوَّنة هذا البحث (جمهرة الأمثال) مكانةً خاصَّةً في أوساط الكتب التي اهتمَّت بجمع الأمثال، وسبب ذلك راجعٌ إلى أسلوب وطريقة صاحبها في معالجة الأمثال وما يتعلَّق بها.

10- لم تعط كتبُ التَّراجم والطَّبقات من الاهتمام بأبي هلالٍ العسكريّ ما يستحقُّه، وفي كثيرٍ من الأحيان يخلطون بينه وبين خاله وأستاذه أبي أحمد العسكريّ.

11- يُعدُّ أبو هلالٍ العسكريّ أوَّل من رتَّب الأمثال ترتيبًا ألفبائيًا، ناظرًا فيها إلى الحرف الأوَّل منها فقط.

12- استشهد أبو هلالٍ العسكريّ في جمهرته بشواهد مختلفة، كما أنَّه استعان بالشَّواهد التي اصطنعها هو بنفسه.

13- على الرَّغمِ من أنَّ هذه المدوَّنة (جمهرة الأمثال) هي من أوسع ما جُمِعَ في الأمثال إلاَّ أنَّها لم تظفر بجميع أنواعها.

14- لم يَنسب أبو هلال العسكريّ مادَّةَ كتابه إلى المصادر التي نقلها عنها، واكتفى بذكر ثلاثة مصادر فقط.

15- يلتبس التَّشبيه في كتب الأمثال بين نوعين منه، التَّشبيه بوصفه أسلوبًا من أساليب البيان والتَّشبيه الذي يقصده من عرف الأمثال أي تشبيه حالة المضرب بحالة المورد.

16- اكتفى معرِّفو الأمثال -قديمًا وحديثًا- في تعريفاتهم للأمثال بذكر الخصائص التي تميِّزها.

17- الفرق بين التَّشبيهين الموجودين في كتب الأمثال يرجعِ إلى كون التَّشبيه بوصفه أسلوبًا من الأساليب البيانية هو بمثابة جزء من التَّشبيه الذي يبتغيه معرِّفو الأمثال، كما أنَّ الأوَّل واقعٌ في عدد معيَّن من النَّماذج، أمَّا الثَّاني فهو يشتملُ على كُلِّ ما اُصطُلحَ عليه بأنَّه مثل.

19- تتعارض بعضُ خصائص أسلوب التَّشبيه مع بعض خصائص الأمثال.

وأخيرًا؛ فإنَّ هَذَا البَحثَ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ، وَهَذَا الأَخير مَهمَا بَلَغَ مِنَ الإِجَادَةِ والحُسنِ فِيمَا يَعمَلُ، يَعتَرِيهِ النَّقصُ، وَيَحكُمُهُ الخَطَأُ - وَلا بُدَّ - فَإِن أَجَدنَا فَبِتَوفِيقٍ مِنَ الله وَفَضلٍ مِنهُ، وَإِن أَسَأنَا فَمِن أَنفِسِنَا.

هَذَا؛ وَنَسأَلُ الله تَعَالَى أَن يَنفَعَ بِهِ طَالِبَهُ وَمُبتَغِيَهِ، وَأَن يُوَفِقَنَا لِمَا يُحِبُّه وَيَرضَاهُ، وَصَلَى الله على مُحَمَّدٍ الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ.

قـــائـمـــة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- **كتب التَّفسير:**

1- **محمَّد الأمين الشّنقيطي**؛ (بن محمَّد المختار الجكيني)، تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، إع: سعد محمَّد ساداتي الشنقيطي، دار الفضيلة، الرياض- المملكة السعودية، ط 1،سنة: 1426هـ/2005م.

2- **أبو محمَّد البغوي**؛ (الحسين بن مسعود)، تفسير البغويّ (معالم التَّنزيل)، تح: محمَّد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة، الرياض- السعودية، (د.ط) سنة: 1409هـ/1988م.

- **كتب الحديث وشروحها:**

3- **أبو عبد الله البخاريّ**؛ (محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاريّ، اع: أبو صهيب الكَرميُّ، بيت الأفكار الدَّولية للنَّشر، الرياض- المملكة السعودية، (د.ط)، سنة: 1419هـ/1998م.

4- **أحمد بن حنبل**، المُسْنَدُ، شر: حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة- مصر، ط 1، سنة: 1417هـ/1995م.

5- **مجد الدين ابن الأثير**؛ (أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أش: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، سنة 1421هـ/2000م.

6- **ناصر الدين الألباني**؛ (محمد)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض- المملكة السعودية، (د.ط)، سنة: 1415هـ/1995م.

7- ـــــــــــــــــ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمَّة، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1412هـ/1992م.

- **المعاجم:**

8- **أبو إبراهيم الفارابي**؛ (إسحاق بن إبراهيم)، ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د. سنة).

9- **أبو الفضل ابن منظور**؛ (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د. سنة).

10- **أبو بكر بن دريد**؛ (محمد بن الحسن)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1408هـ/1987م.

11- **أبو هلال العسكري**؛ (الحسن بن عبد الله بن سهل)، كتاب التَّلخيص، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق- سورية، ط 2، سنة: 1417هـ/1996م.

12- ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، الفروق في اللغة، تح: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 1، 1422هـ/2002م.

13- **أحمد بن فارس**؛ (أبو الحسين بن زكرياء)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ب)، ط 2، سنة: 1399هـ/1979م.

14- **إسماعيل الجوهري**؛ (بن حمَّاد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 4، 1411هـ/1990م.

15- **إميل بديع يعقوب وميشال عاصي**، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، سنة: 1408هـ/1987م.

16- **جبور عبد النور**، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 2، سنة: 1415هـ/1984م.

17- **الخليل بن أحمد الفراهيدي**؛ (أبو عبد الرحمن)، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1424هـ/2003م.

18- **الشَّريف الجرجاني**؛ علي بن محمد السيد، معجم التعريفات، محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت).

19- **مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة**، المعجم الوجيز، ط 1، سنة: 1400هـ/1980م.

20- ـــــــــــــــــــــــ، المعجم الوسيط، ط 4، سنة: 1425هـ/2004م.

21- **ياقوت الحمويّ**؛ (شهاب الدِّين أبو عبد الله بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، ناشرون، بيروت- لبنان، (د.ط)، سنة: 1397هـ/1977م.

- **كتب الأمثال وما يجري مجراها:**

22- **أبو الفضل الميداني**؛ (أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د.ط) سنة: 1374هـ/1955م.

23- **أبـو بكر الخوارزمي**؛ (محمَّد بن العبَّاس)، الأمثـال المـولَّدة، تح: محمد حسين الأعرجـي، المجمـع الثقافي، أبـو ظبي- الإمارات العربيَّة المتحدة، (د.ط)، سنة: 1424هـ/2003م.

24- **أبو عبيد القاسم بن سلَّام**، كتاب الأمثال، تح: عبد المجيد قطاش، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت ، ط 1، سنة: 1400هـ/1980م.

25- **أبو محمد الرامهرمزي**؛ (الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد)، أمثال الحديث، تح: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بومباي- الهند، ط 1، سنة: 1404هـ/ 1983م.

26- **أبو منصور الثعالبي**؛ (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، التمثيل والمحاضرة، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، (د.ب)، ط 2، سنة: 1401هـ/1981م.

27- **أبو هلال العسكري**؛ (الحسن بن عبد الله بن سهل)، جمهرة الأمثال، ض: أحمد عبد السَّلام، تـخ: أبو هاجر محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1408هـ/1977م.

28- **جار الله الزمخشري**؛ (أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد)، المستقصى في أمثال العرب، تح: دار المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، سنة: 1408هـ/1987م.

29- **الحسن اليوسي**؛ (أبو علي بن مسعود بن محمد نور الدين)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط 1، سنة: 1401هـ/1981م.

30- **الحسين بن الفضل**، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تح: علي حسين البوَّاب، مكتبة التوبة، الرياض- المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1412هـ/1992م.

31- **حمزة الأصبهاني**؛ (بن الحسن)، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح: عبد المجيد قطاش، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د. ت).

32- **علي الأحدب**؛ إبراهيم ابن السَّيد الطرابلسي الحنفي، فرائد اللآل في مجمع الأمثال، طبع في المكتبة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، (د.ط)، سنة: 1312هـ/1891م.

33- **علي الماوردي**؛ (بن محمَّد بن حبيب)، الأمثال والحكم، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض- المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1420هـ/ 1999م.

- **كتب حديثة خاصَّة بالبحث في الأمثال:**

34- **عبد المجيد قطاش**، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق- سورية، ط1، سنة:1408هـ/1988م.

35- محمَّد أبو صُوفِه، الأمثال العربية ومصادرها في التُّراث، مكتبة الأقصى، عمان- الأردن، ط 1، سنة: 1402هـ/1982م.

36- **محمد توفيق**؛ (أبو علي)، الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط: 1، سنة: 1408هـ/1988م.

- **البلاغة والأدب:**

37- **ابن رشيق القيرواني**؛ (أبو علي الحسن الأزدي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط 5، سنة: 1401هـ/1981م.

38- **أبو العباس أحمد القلقشندي**، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، (د.ط)، سنة: 1340هـ/1922م.

39- **أبو العباس المبرد**؛ (محمَّد بن يزيد)، الكامل، تح: محمَّد أحمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبان، ط 3، سنة: 1418هـ/1997م.

40- **أبو الفرج الأصفهاني**؛ (علي بن الحسين)، كتاب الأغاني، تح: إحسان عبَّاس، وآخرين، دار صادر، بيروت- لبنان، ط 3، سنة: 1429هـ/2008م.

41- **أبو عثمان الجاحظ**؛ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط 7، سنة: 1418هـ/1998م.

42- **أبو هلال العسكري**؛ (الحسن بن عبد الله بن سهل)، كتاب الصِّناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د،ب)، ط 1، سنة: 1371هـ/1952م.

43- ـــــــــــــــــــــــــــــــــ، الأوائل، تح: محمَّد السَّيد الوكيل، دار البشير، مصر، ط 1، سنة: 1408هـ/1987م.

44- ـــــــــــــــــــــــــــــــــ، ديوان المعاني، شر: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميَّة، بيروت–لبنان، ط 1، سنة: 1413هـ/19994م.

45- **أبو يعقوب السكاكي**؛ (يوسف بن محمَّد علي)، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1420هـ/2000م.

46- **أحمد الهاشمي**؛ (السيّد)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضب: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا– لبنان، ط 1، سنة: 1420هـ/1999م.

47- **أحمد بن عبد ربِّه**؛(أبو عمر بن محمد الأندلسي)، العقدُ الفريد ، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1404هـ/1983م.

48- **جار الله الزمخشري**؛ (أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد)، أساس البلاغة، تح: محمد باسم عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1419هـ/1998م.

49- **جواد علي**، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (د.د)، (د،ب)، ط 2، سنة: 1413هـ/1993م.

50- **الخطيب القزويني**؛ (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وض: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، سنة: 1424هـ/2003م.

51- **الرمّاني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، ثلاثُ رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمَّد خلف الله أحمد، محمَّد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة– مصر، ط 3، سنة: 1937هـ/1976م.

52- **شهاب الدين الأبشيهي**؛ (محمد بن أحمد)، المستطرف في كل فن مستظرف، إش: المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، (د.ط)، سنة: 1412هـ/1992م.

53- **عبد القادر البغدادي**؛ (بن عمر)، خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط: 4، سنة: 1418هـ/1997م.

54- **عبد القاهر الجرجاني**؛ (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمَّد)، دلائل الإعجاز، تع: أبو فهر محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط 5، سنة: 1425هـ/2004م.

55- **علي بن ظافر**؛ أبو الحسن جمال الدين بن حسين الأزدي، بدائعُ البَدَائِهِ، ض: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1426هـ/2007م.

56- **علي صقر الأزهري**، 200 سؤال وجواب في علوم البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، ط 1، سنة: 1435هـ/2013م.

57- **قدامة بن جعفر**؛ (أبو الفرج)، نقد الشعر، تح: محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

- **علوم القرآن**:

58- **بدر الدين الزركشي**؛ (محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة- مصر، ط 3، سنة: 1404هـ/1984م.

59- **جلال الدين السيوطي**؛ (أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر)، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)، سنة: 1426هـ/2005م.

60- **فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرّومي**، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض- المملكة السعودية، ط 14، سنة: 1426هـ/2005م.

61- **مناع القطـــان**، مباحث في علـوم القـرآن، مكـتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط 11، سنة: 1421هـ/2000م.

62- **الراغب الأصفهاني**، المفردات في غريب القرآن، تح: محمَّد سعيد كيلاني، (د.د)، (د.ب)، (د.ط)، (د.سنة).

- **الدَّواوين وشروحها**:

63- **أبو العلاء المعرّي**، شرح ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي (مُعْجِز أحمد)، تح: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط 2، سنة: 1413هـ/1992م.

64- **زهير بن أبي سلمى**؛ (ربيعة بن رياح المازني)، ديوانه، اع: حمدُو طمّاس، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط 2، سنة: 1426هـ/2005م.

65- **عمر بن أبي ربيعة**، ديوانه، تص: بشير يموت، المطبعة الوطنيَّة، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1353هـ/1934م.

66- **كعب بن زهير**؛ (أبو عقبة بن أبي سُلمى)، ديوانه، شر: مفيد قميحة، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض- المملكة السعودية، ط 1، سنة: 1410م/1989م.

- **التَّراجم والطَّبقات**:

67- **ابن السَّاعي**؛ (علي بن أنجب)، الدُّرُ الثمينُ في أسماء المصنِّفين، تح: أحمد شوقي بِنبين ومحمَّد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، سنة: 143هـ/2009م.

68- **جلال الدين السيوطي**؛ (أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر)، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، (د.ب)، ط 2، سنة: 1399هـ/1979م.

69- **خير الدين الزركلي**، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 15، سنة: 1423هـ/2002م، ج: 2، ص: 196.

70- **شمس الدِّين الذَّهبيّ**؛ (محمد بن أحمد بن عثمان)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1413هـ/1993م.

71- **شمس الدِّين بن خلكان**؛ (محمَّد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزَّمان، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

72- **علي الباخرزي**؛ (بن الحسن بن علي بن أبي الطيب)، دُمية القصر وعُصرةُ أهل العَصرِ، تح: محمَّد التونجي، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1414هـ/1993م.

73- **ياقوت الحمويّ**؛ (شهاب الدِّين أبو عبد الله بن عبد الله)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1414هـ/1993م.

- **كتب مترجمة**:

74- **رودلف زلهايم**، الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد (209هـ)، تر: رمضان عبد التَّواب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 1، سنة: 1319هـ/ 1971م.

- **كتب أخرى:**

75- **أبو الفتح بن جني؛ (عثمان)**، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، ط 2، سنة: 1381هـ/1952م.

76- **أبو علي المرزوقي؛ (أحمد بن محمد بن الحسين)**، شرح الفصيح لثعلب، تح: سليمان بن إبراهيم العايد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية، الرياض-السعودية، ط 1، سنة 1435هـ/2014م.

- **المجلات:**

77- **سامي عطا حسن**، " الأمثال في القرآن الكريم خصائصها التربوية وسماتها البيانية " في: مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 38، العدد 1، سنة:2011.

- **المذكرات:**

78- **أحمد كامش**، " الأمثال العربية القديمة قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربيَّة "، مذكرة تخرج، غير منشورة، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، 1425هـ/2004م.

الفهارس

السُّورة	الآيــة	رقم الآية	الصفحة
البقرة	﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	68	48
هود	﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾	81	49
يوسف	﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾	51	49
الرَّعد	﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾	14	105
الرَّعد	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾	37	3
الإسراء	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾	29	48
الكهف	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾	45	48
الزُّمر	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	27	47
الزخرف	﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	59	4
الأحقاف	﴿أَو أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾	4	32
الفتح	﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾	29	4
الرَّحمن	﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾	4-1	82
الرَّحمن	﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾	24	84

	الحـــــديث	الصفحة
1	" إنَّ من البيانِ لَسِحرًا ".	98
2	" أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَو مَظْلُومًا ".	40
3	" إنَّما النَّاسُ كأسنانِ المُشطِ، وإنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بالعَافِيَةِ ".	106
4	" ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبي الصِّراط سُورٌ فيه أبوابٌ مفتوحةٌ، وعلى تلك الأبواب سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى رَأسِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ: ادخُلُوا الصِّراط ولا تَعُوجوا..."	52
5	" كَانَ الكِتَابُ الأوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، ونَزَلَ القُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زجرٌ، وأمرٌ، وحلالٌ، وحرامٌ، ومُحْكَمٌ، ومُتَشَابِهٌ، وأمثالٌ، فَأَحلُّوا حَلَالَه، وحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُم عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، واعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُوْلُوا: آمَنَّا كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ".	47
6	" مثل المؤمن مثل النَّخلةِ، ما أخذتَ منها من شيءٍ نَفَعَكَ ".	111

البـــيــت	الصفحة
أَنَا المَوْتُ الَّذِيْ آتِيْ عَلَيْكُمْ *** فَلَيْسَ لِهَـــارِبٍ مِنِيَ نَجَاءُ	81
أَنَا القِطْرَانُ وَالشُّعَرَاءُ جَرْبَى *** وَفِيْ القِطْرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ	81
إِلَى المَاءِ يَسْعَى مَنْ يَغَصُّ بِأَكْلِهِ *** فَقُلْ: أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَغصُّ بِالمَاءِ؟	117
فَإِنْ تَـكُ زِقَّ زَامِــلَةٍ فَإِنِّــي *** أَنَا الطَّــاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ	81
أَبَنِيْ حَنِيْفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُم *** إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُم أَنْ أَغْضَبَا	24
قَدْ تَـعَاطَاكَ شَبَـابُ *** وَتَـغَشَّـــاكَ مَشِيــبُ	64
وَتَرَاهُ في ظُـلَمِ الوَغـى فَتَخالُـهُ *** قَمَراً يَكُرُّ عَلى الرِّجالِ بِكَوكبِ	92
إِنَّمَا النَّفْسُ كَالزُّجَاجَةِ وَالعِلْـ ـــمُ سِرَاجٌ، وَحِكْمَةُ اللهِ زَيتٌ	90
فَقَابِلِ الشَّيْءَ بِشَيْءٍ يُصْلَحُ *** إِنَّ الحَدِيْدَ بِالحَدِيْدِ يُفْلِحُ	46
لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَــا تَعِدْ *** وشَفَـتْ أَنْفُسَـنَا ممَّا تَجِـدْ	45
جُلُوسِيَ فِي سُوقٍ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي *** دَلِيلٌ عَـلَى أَنَّ الأَنَـــامَ قُرُوْدُ	64
فَهِيَ الشَّمسُ بَهجَةً وَالقَضِيبُ الغَـضُّ لِينًا وَالرِّئمُ طَرَفًا وَجِيدَا	91
مَا أَنْتَ إِلاَّ مَثَلٌ سَائِرُ *** يَعْرِفُهُ الجَاهِلُ والخَابِرُ	6
عَنْ فَضْلِهِ سَلْنِي بِلَا تَفَكُّرِ *** عِنْدَ جُهَيْنَةَ يَقِيْنُ الخَبَرِ	46
تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيْفَ فتَزْدَرِيْهِ *** وَفِـــيْ أَثْـوَابِهِ أَسَـدٌ مُزِيْـرُ	112
كُنْـتُ مِـنْ كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمُ *** فَهُمُ كُرْبَتِـي فَأَيْنَ الفِــرَارُ؟	117
يَــاْ مَـنْ تَيَمَّمَ عَمْرًا يَسْتَجِيْرُ بِـهِ *** أَمَـــا سَمِعْـتَ بِبَيْـتٍ فِيْهِ سَيَّـارِ	119

المُستَغِيثُ بِعَمرٍو عِنـدَ كُربَتِهِ *** كَالمُستَغِيثِ مِنَ الرَّمضَاءِ بِالنَّارِ	118
وَلِيُّكَ اللَهُ لِـمْ صَيَّـرْتَنِي مَثَـلاً *** كالمُستَجِيْرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ	119
لَـوْ بِغَيْـرِ المَـاءِ كَـانَ حَلْقِي شَرِقٌ *** كُنْتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصَارِي	116
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَقَابِضٍ *** على المَاءِ خَانَتْهُ فُرُوْجُ الأصابِعِ	105
كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً *** وَمَا مَوَاْعِيْدُهَا إِلَّا الأَبَاطِيْلُ	45
كَـأَنَّ قُلُـوبَ الطَّـيرِ رَطـبًا وَيابِـسًا *** لَدى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي	90
صُدْغُ الحَبِيبِ وَحَالِي *** كِـلَاهُمَا كَاللَّيَالِـي	91
وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرخَى سُدُولَهُ *** عَلَـيَّ بِأَنْـوَاعِ الهُمُـومِ لِيَبتَـلِـيَ	92
تَـرَى الفِتْيَـانَ كـالنَّخْلِ *** وَمَـا يُدْرِيْكَ مَـا الدَّخْلُ	109
وَأَحْسَـنُ مَاْ قَرَأْتُ عَلَى كِتَابٍ *** بِخَـطِ العَسْكَرِيِّ أَبِي هِلَالٍ	65
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَم	44
إِذَا كَـانَ مَـالِيَ مَالَ مَنْ يَلْقُطُ العَجَمْ *** وَحَالِي فِيكُمْ حَالَ مَنْ حَاكَ أَو حَجَمْ	63
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَـوَانُ عَلَيهِ *** مَـاْ لِـجُـرحٍ بِمَيِّـتٍ إِيـلَاْمُ	92
وَغَرِيبَةٍ تَأْتِي المُلُوكَ حَكِيْمَة *** قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَها؟	24
وَهُـوَ بِمُلْكِ الغَيْرِ يُبْدِي جَـذَلَـهْ *** كَمِثْـلِ حَـادٍ وَهُوَ لَاْ بَعِيْـرَ لَـهْ	113
وَلَيَـالٍ أَطَـلْـنَ مُدَّةَ دَرْسِـيَ *** مِثْلَمَا قَدْ مَدَدْنَ فِي عُمْرِ لَهْوِيَ	63

الرَّقم	المثل	رقم صفحة المثل في هذا البحث	تخريج المثل من مصدره
1-	أبردُ من الثَّلجِ	70	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:199
2-	أَجْرِ الأُمُوْرَ على أذْلَالِهاَ	69	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:89
3-	أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ	98	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:94
4-	أجودُ من حَاتمٍ	43	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:272
5-	أَجْوَرُ مِنْ سَدُومٍ	43	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:269
6-	أحلى من الشَّهدِ	43	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:326
7-	إذا جَاءَ الحِيْنُ حَارَ العَيْنُ	98	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:99
8-	إذا لم تستح فاصنع ما شئت	51	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:211
9-	إذا نُصِرَ الرَّأيُ بَطَلَ الهَوَى	44	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:59
10-	أَسَاءَ سَمْعًا فأساءَ جَابَةً	69	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:27
11-	أَعْرَضَ ثَوْبُ المُلْبِسِ	76	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:130
12-	أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثَّورُ الأَسْوَدُ	54	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:61
13-	إنَّ الحَدِيْدَ بِالحَدِيْدِ يُفْلِحُ	46	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:11
14-	إنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَراجِمِ	39	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:102
15-	إنَّ الكذوبَ قد يصدقُ	31	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:17
16-	إنَّ من البيانِ لسحرًا	98-51	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:18
17-	إنْ يَبْغِ عَلَيكَ قَوْمُكَ لَاْ يَبْغِ القَمَرُ	68	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:33
18-	أنا تَئِقٌ وصاحِبِي مَئِقٌ، فكيفَ نَتَّفِقُ؟!	69	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:89
19-	أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَو مَظْلُومًا	40	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:51
20-	إنَّما العَاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُ	45	ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: 79
21-	إيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ	51	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:21
22-	بالرِّفَاءِ والبَنِين	32	كتاب الأمثال، ابن سلاَّم، ص:69
23-	تَرَى الفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ، وَمَا يُدْرِيْكَ مَاْ الدَّخْلُ	109	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:219

24-	تَسمعُ بالمُعَيْدِيّ خَيْرٌ مِن أَنْ تَرَاهُ	39	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:215
25-	تَقْدِيْمُ الحُرَمِ مِنَ النِّعَمِ	40	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:134
26-	جَاوِرْ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا	73	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:243
27-	حَدِيْثُ خُرَافَةٍ يا أمَّ عَمْرِو	53	زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج: 2، ص:100
28-	خيرُ الأمورِ أَوْسَاطُهَا	48	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:339
29-	سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ المُشْطِ	106	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:426
30-	سواسية كأسنان الحمار	107	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:426
31-	الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ	79	جمهرة الأمثال، ج: 1، ص:474
32-	على بَدْء الخيرِ واليُمنِ	32	كتاب الأمثال، ابن سلاَّم، ص:69
33-	عِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِيْنُ	46	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:3
34-	قَطَعَتْ جَهِيْزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ	42	مجمع الأمثال، ج: 2، ص:91
35-	كَالحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيْرٌ	112-80	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:124
36-	كالقابضِ عَلَى المَاءِ	103	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:125
37-	كالمستجير بالرَّمضاء من النَّار	33	مجمع الأمثال، ج: 1، ص:375
38-	كَالمُسْتَغِيْثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ	118	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:134
39-	كَحَاطِبِ اللَّيْلِ	101	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:133
40-	كطالبِ القرنِ فُجُدِعَت أُذُنُهُ	54	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:126
41-	كلُّ الصَّيدِ في جوفِ الفَرَا	39	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:135
42-	كَمُجِيْرِ أُمِّ عَامِرٍ	80	مجمع الأمثال، ج: 2، ص:144
43-	لله دَرُّهُ	32	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:172
44-	مقتلُ الرَّجُلِ بين فَكَّيهِ	31	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:188
45-	مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِيْ عِزِّ الدُّنْيَا، شَارَكَهُ فِيْ ذُلِّ الآخِرةِ	29	المستطرف في كل فن مستظرف، ج: 1، ص:141
46-	مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غُصَّ بِالمَاءِ	115	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:204
47-	مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ	45	مجمع الأمثال، ج: 2، ص:311

48-	هَلُمَّ جَرًّا	32	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:279
49-	هَنِئْتَ ولا تَنْكَهْ	33	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:278
50-	وُلْدُكِ مَنْ دَمَّي عَقِبَيكِ	70	جمهرة الأمثال، ج: 2، ص:37
51-	يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ	44	مجمع الأمثال، ج: 2، ص:414

التَّشبيه في الأمثال العربيَّة

دراسة تطبيقيَّة على نماذج من جمهرة الأمثال لأبي هلالٍ العسكريِّ

الموضـــــوع	الصفحة
مقدَّمة	أ
الفصل الأوَّل : الأمثال تعريفها، الفرق بينها وبين بعض أنماط التَّعبير، أنواعها	
المبحث الأوَّل: تعريف الأمثال	
أوَّلاً: تعريف الأمثال لغةً	3
ثانيًا: تعريف الأمثال اصطلاحًا	5
أ/- تعريف الأمثال في بعض كتب التُّراث	6
ب/- تعريف الأمثال في بعض كتب الأمثال	10
ج/- تعريف الأمثال في بعض كتب المحدَثين	16
المبحث الثَّاني: بين المثل وغيره من أنماط التَّعبير	
أولاً: بين المثل والحكمة	23
ثانيًا: بين المثل والقول المأثور والكلمات السَّائرة	31
المبحث الثَّالث: أنواع الأمثال	
أوَّلاً: أنواع الأمثال حسب زمنيَّتها	38
أ- الأمثال القديمة	38
ب- الأمثال المولَّدة	40
ج- الأمثال الحديثة	42
ثانيًا: تصنيف الأمثال حسب علَّة نشوئها	42
أ- الأمثال النَّاشئة عن حادثة	42
ب- الأمثال النَّاشئة عن تشبيه	43
ج- الأمثال النَّاشئة قصَّة	43
د- الأمثال النَّاشئة عن حكمة	44
هـ- الأمثال النَّاشئة عن الشِّعر	44
و- الأمثال النَّاشئة عن القرآن الكريم والحديث الشَّريف	47
1- أمثال القرآن	47

2- أمثال الحديث	50
ثالثًا: تصنيف الأمثال حسب سمتها الاصطلاحيَّة	52
أ- الأمثال الموجزة	52
ب- الأمثال القياسية	53
ج- الأمثال الخرافية	53
الفصل الثَّاني: دراســة التَّشبيه من خــلال (جمهـرة الأمثــال) لأبــي هلالٍ العسكريّ	
المبحث الأوَّل: التَّعريف بصاحب المدوَّنة ووصف منهجه فيها	
أوَّلاً: ترجمة أبي هلالٍ العَسْكَرِيُّ	58
• اسمه	58
• كنيته	59
• نسبته	59
• أصله	59
• مولده	59
• شيوخه	60
• تلاميذه	61
• آثاره ومصنَّفاته	62
• حاله	63
• مكانته وصفاته العلميَّة	65
• وفاته	66
ثانيًا: وَصْفُ المُدَوَّنةِ ومنهج صاحبها	67
المبحث الثَّاني: التَّعريفُ بفنِّ التَّشبيه	
• تعريف التَّشبيه	82
• أركان التَّشبيه	88
أوَّلاً: طرفا التَّشبيه	88
ثانيًا: أداة التَّشبيه	88
ثالثًا: وجه الشَّبه	89
• أقسام التَّشبيه	89
1/- باعتبار المُشبَّهِ والمُشبَّهِ به	89
2/- باعتبار الأداة	91

3/- باعتبار وجه الشَّبه	91
المبحث الثَّالث: دراسة تطبيقيَّة على التَّشبيه في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلالٍ العسكري	
• النَّموذج الأوَّل	98
• النَّموذج الثَّاني	101
• النَّموذج الثَّالث	103
• النَّموذج الرَّابع	106
• النَّموذج الخامس	109
• النَّموذج السَّادس	112
• النَّموذج السَّابع	115
• النَّموذج الثَّامن	118
خاتمة	125
قائمة المصادر والمراجع	129
الفهـارس	
• فهرس الآيات القرآنية	138
• فهرس الأحاديث النبوية	139
• فهرس الشواهد الشعرية	140
• فهرس الأمثال وما يجري مجراها	142
• فهـرس الموضوعات	145
الملاحـق	
• الملحق رقم: 01	149
• الملحق رقم: 02	150
• الملحق رقم: 03	151
• الملحق رقم: 04	154

الملاحق

الملحق رقم: 01

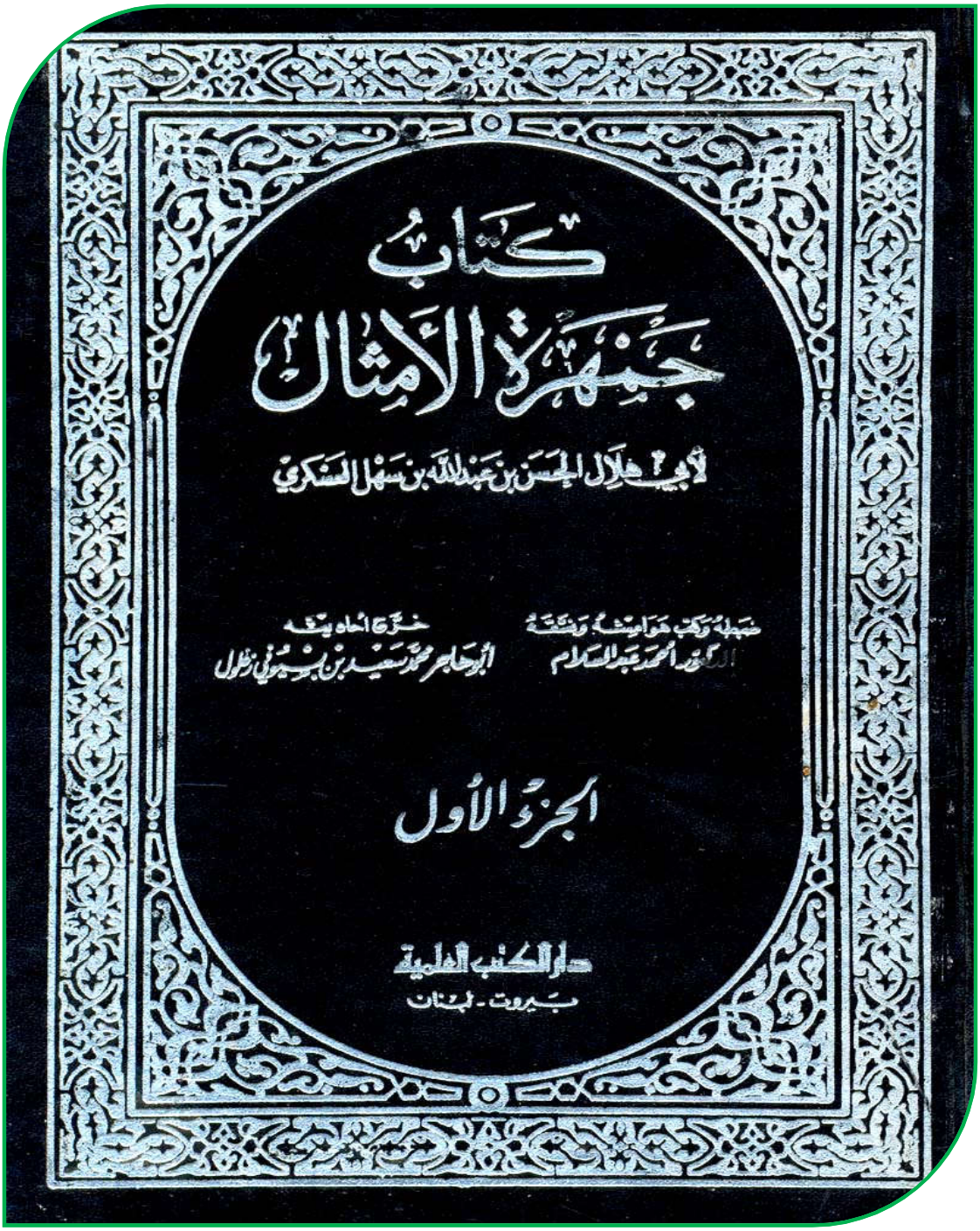

هذا الملحق يظهر الغلاف الخارجي للمدوَّنة المنجز حولها هذا البحث.

الملحق رقم: 02

هذا الملحق عبارة عن صورة للصَّفحة الأولى والثَّانية من داخل مدوَّنة هذا العمل، تُظهِرُ الأُولَى اسم الكتاب ومُصَنِّفَه ومن اعتنى به مع رقم الجزء ودار النَّشر، وبلد النَّشر؛ وتُظْهِرُ الصَّفحة الثَّانية بقيَّة معلومات المدوَّنة من: رقم الطَّبعة، وسنة النَّشر؛ وغيرها.

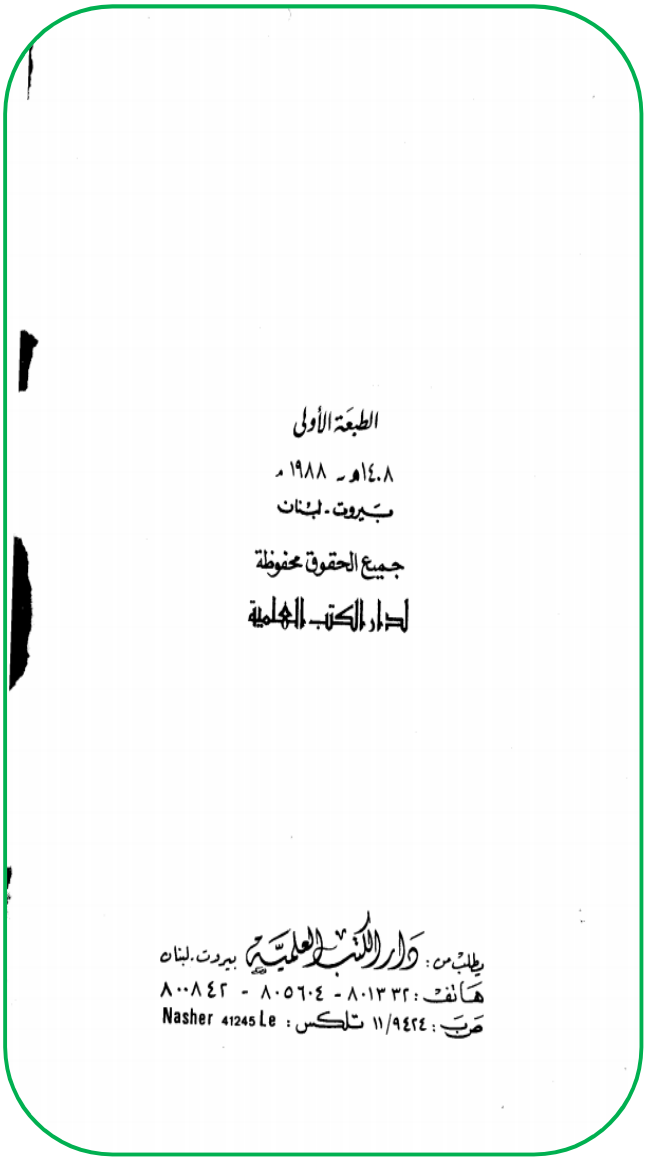

كتاب

جمهرة الأمثال

لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري

ضبطه وكتب هوامشه وشكله
الدكتور أحمد عبد السلام

خرّج أحاديثه
أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

الملحق رقم: 03

هذا الملحق يتعلق بخطبة صاحب المدوَّنة المنجز حولها هذا العمل تحدَّث فيها صاحبها على جُملةٍ من النِّقاطِ المهمَّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله حمدَ الشَّاكِرين، وأشهدُ بوحدانيَّته شهادةَ العارِفين، وأقرُّ بإحسانِه في إيضاحِ السَّبيل، وإقامةِ الدَّليل، وتَوْكيدِ الحجَّة، وتبيين المحجَّة؛ إقرارَ الخاضِعين. وأُثني عليه ـ بسالفِ نعمتِه، وفارطِ مِنَّته، في مثلِ ضرَبه، ومثالِ نصبَه؛ لينتهي إليه العارفُ فيرْشُد، ويهتديَ بهدْيه فيتسدَّد ـ ثناء المخلصين.

ودلَّ على فضيلةِ ذلك في مُحكَم بيانه، ومنزَل فُرْقانه، فقال جلَّ ثناؤُه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا له﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]، وقال: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وقال: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً﴾ [النحل: ٧٥]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فما فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال: [وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ﴾ [النحل: ٧٦]؛ إلى غيرِ ذلك ممَّا أشار به إلى منافع الأمثالِ في متصرَّفاتها، وحسنِ مواقعها في جهاتِها.

ونحن نسألُ الله أن ينفعَنا بها كما وقَفَنا عليها، ويُقَيِّضَ لنا عائدتَهَا، كما رزقنا معرفتها، وأن يُصَلِّيَ على رسولِه الذي جعله واسطةً بينَه وبيننا فيها، وفيما يهدِينا ويأخذُ بأيدينا منها، ثم من سائر آياتِه المحكَمات، وحُجَجِه البالغات، وعلى آله الطَّاهِرين، وعِتْرَته الْمُنْتَجَبين، وأصحابه المختارين، ويسلِّمَ تسليماً.

ثم إنّي ما رأيتُ حاجةَ الشَّريف إلى شيءٍ من أدب اللِّسان بعد سلامتِه من اللَّحن، كحاجتِه إلى الشَّاهِد والمثَل، والشَّذْرةِ والكلمةِ السَّائرة، فإن ذلك يَزيد الْمَنْطق تفخيماً،

٩

ويُكسِبه قَبولاً، ويَجْعَلُ له قَدْراً في النُّفوس، وحلاوةً في الصُّدور، ويدعو القلوبَ إلى وَعْيِه، ويبعثُهَا على حفظِه، ويأخُذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاسْتِظهار به أوانَ الْمُجاولة في ميادين المجادلة، والْمُصاولة في حَلَبات الْمُقاوَلة؛ وإنَّما هو في الكلام كالتَّفصيل في العِقْد، والتَّنوير في الرَّوض، والتَّسهيم في البُرْد؛ فينبغي أن يُستكثَر من أنواعِه؛ لأنَّ الإقلالَ منها كاسمه إقلال؛ والتَّقصيرَ في التماسه قُصورٌ؛ وما كان منه مثَلاً سائراً فمعرفتُه ألزم؛ لأنَّ منفعتَه أعمُّ، والجهلَ به أقبح.

ولمَّا عرفت العربُ أنَّ الأمثالَ تتصرَّف في أكثرِ وجوه الكلام، وتدخُل في جُلِّ أساليبِ القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخفَّ استعمالُها، ويسهلَ تداوُلُها؛ فهي من أجلِّ الكلام وأنبلِه، وأشرفِه وأفضلِه؛ لقلَّةِ ألفاظِها، وكثرةِ معانيها، ويسير مَؤونتها على المتكلِّم، مع كبيرِ عِنايتِها، وجسيمِ عائدتها.

ومن عجائبها أنَّها مع إيجازها تعملُ عملَ الإطناب، ولها رَوْعةٌ إذا برزَتْ في أثناء الخطاب؛ والحفظُ مُوكَّل بما راع من اللَّفظ، ونَدرَ من المعنى.

والأمثالُ أيضاً نوعٌ من العلم منفرد بنفسِه، لا يقدِرُ على التصرُّفِ فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكَمه، وبالغ في التماسِه حتى أتْقنَه. وليس مَنْ حفِظ صَدْراً من الغريب فقام بتفسيرِ قصيدة، وكَشْفِ أغراضِ رسالةٍ أو خطبةٍ، قادراً على أن يقومَ بشرْحِ الأمثالِ والإبانةِ عن معانيها، والإخبار عن المقاصدِ فيها؛ وإنما يَحْتَاجُ الرَّجلُ في معرفتِها مع العلم بالغريب إلى الوقوفِ على أُصولها، والإحاطةِ بأحاديثها، ويكمُل لذلك من اجْتَهد في الرِّواية، وتقدّم في الدِّرَاية؛ فأمَّا من قصَّر وعَذَّرَ؛ فقد قَصُر وتأخَّر، وأنَّى يسوِّغ الأديبُ لنفسِه ذلك، وقد علم أنَّ كلَّ مَنْ لم يُعنَ بها من الأدباء عنايةً تُبَلِّغُه أقصى غاياتها، وأبعدَ نهاياتها، كان منقوصَ الأدب، غير تامِّ الآلةِ فيه، ولا موفور الحظِّ منه!

ولمَّا رأيتُ الحاجة إليها هذه الحاجةَ عزمتُ على تقريبِ سُبُلها وتلخيصِ مُشْكِلها، وذكْرِ أُصولِها وأخبارِها؛ ليفهَمها الغبيُّ فضلاً عن اللَّقِين الذكيِّ، فعمِلتُ كتابي هذا مشتملاً منها على ما لم يشتمل عليه كتابٌ أعرفُه؛ وضمّنتُه إيَّاها مُلخَّصةً لا يَشينُها

الإهْذار، ولا يُزري بها الإكثار، ولا يَعيبُها التقصير والإقلال، منظـومـةً على نَسَـق حروفِ المعجَم، ليدنوَ مُجتنَاها، ويسهُلَ مُبتَغاها.

وميَّزتُ مـا أورد حَمْزةُ الأصْبهانيّ[1] من الأمثال المضروبة في التَّنَاهي والمبالغة، وهي الأمثال على «أفْعَل من كذا»، فأوردْتُ منها ما كان عربيًّا صحيحاً، ونَفَيْتُ الْمُوَلَّدَ السقيم، ليتبَرأ كتابي من العيب الَّذِي لزم كتابَ حمزةَ، في اشتمالِه على كلّ غَثٍّ من أمثالِ المولدين، وحِشْوَةِ الْحَضرِيِّين، فصارت العلماء تُلغِيه، وتُسقطه وتَنْفيه.

ويجري في خلال ما فسّرتُ منها ومن غيرها حكاياتٌ وأشعار تصلحُ أن تكون أمثالاً، وكتبتُ بإزائها من الحاشية «ميأ»؛ لتتميَّز مما يجاورُها، فتؤخذَ وتُستعملَ في المواضع التي تصلح لها. وما توفيقُنا إلا بالله، عليه نتوكَّل، وبه نستعين، وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل.

نبدأ بذِكْرِ اشتقاقِ المثَل، فنقول: أصل المثَل التَّماثُل بين الشيئين في الكلام؛ كقولهم: «كَما تَدِينُ تُدان»؛ وهو من قولك: هذا مِثْل الشيء ومَثَلُه، كما تقول: شِبْهه وشَبَهُهُ، ثم جُعِل كلُّ حكمةٍ سائرةٍ مثلاً. وقد يأتي القائلُ بما يَحْسُن أن يُتمثَّلَ به؛ إلاَّ أنَّه لا يتَّفق أن يسير فلا يكونُ مَثلاً.

وضَرْبُ المثل جَعْلُهُ يسيرُ في البلاد؛ من قولك: ضَرب في الأرض؛ إذا سار فيها، ومنه سُمِّي المضارِبُ مضارِباً. ويقولون: الأمثال تُحْكَى؛ يَعنُون بذلك أنها تُضْرَب على ما جاءت عن العرب، ولا تُغيَّر صيغتُها، فتقولُ للرجل: «الصَّيْفَ ضيَّعتِ اللَّبَن»، فتكسرُ التاء؛ لأنها حكاية.

---

(١) حمزة بن الحسن الأصبهاني المتوفى حوالى ٣٥٠ هجرية صاحب «تاريخ أصبهان». وهنا يشير إلى كتابه «الدرة الفاخرة» في الأمثال.

الملحق رقم: 04

يشتمل هذا الملحق على صفحات النَّماذج المطبَّق عليها.

التفسير

١ ـ قولُهم: إنَّ مِن الْبَيانِ لَسِحْراً

أولُ من لفظَ به النبيُّ ﷺ. أخبرنا أبو القاسمِ عبدُ الوهَّاب بْـنُ أحمد الكاغِديّ، عن أبي بكرٍ عبدِ الله بْنِ حَمَّاد العَقَديّ، عن أبي جعفرٍ أحمدَ بْنِ الحارثِ الخزَّاز، عن المدائنيّ، عن مَسْلَمَةَ بْنِ مُحارب، عن عُيَيْنَةَ بْنِ عبد الرحمن، عن أبيه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لِعَمْرِو بْنِ الأهْتَم: أخْبِرْنَا عن الزِّبْرقان، فقال: إنه مُطاع في أدْنَيْه، شديدُ العارضة، مانعٌ لما وراء ظهرِه. فقال الزِّبرقانُ: يا رسولَ الله، إنه لَيَعلمُ مِنِّي أكثرَ من ذلك، ولكن حَسَدَني، فقال عَمْرو: واللهِ يا رسولَ الله، إنه لزَمِرُ المُروءة[1]، ضَيِّقُ العَطن[2]، حديث الغِنى، أحمقُ الوالد، لئيمُ الخال، وما كذبْتُ في الأولى، ولقد صدقْتُ في الأخرى؛ رَضِيتُ فقلتُ بأحسنِ ما علمتُ، وَسَخِطْتُ فقلت بأسوإِ ما علمت. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ مِن الْبَيَانِ لَسِحْراً»[3]؛ وذلك أولُ ما سُمِع.

وأخبرنا أبو أحمدَ الحسَنُ بن عبدِالله بن سعيد، عن أبيه، عن عَسَل بـن ذَكْوَانَ، قال: قال أبو عبدالرحمن: أذَمَّ البيانَ أم مدحَه؟ فما أبان أحد بشيء. فقال: ذَمَّـه؛ لأن السحرَ تَمْويه، فقال: إن من البيان ما يُمَوِّهُ الباطلَ حتى يشبِّهَه بالحق. وقال غيرُه: بل مدَحه، لأن البيانَ من الفَهْمِ والذكاء.

قال الشيخُ أبو هلال رحمه الله: الصحيحُ أنَّه مدَحه، وتسميتُه إيَّاه سِحْراً إنَّما هو على جهةِ التعجُّب منه؛ لأنَّه لما ذمَّ عمرٌو الزِّبرقانَ ومدحَه في حالٍ واحدة، وصدقَ في

---

١ ـ مجمع الأمثال للميداني ١ : ٥، المستقصى للزمخشري ١٦٦، لسان العرب مادة «سحر».

(١) زمر المروءة: قليلها.

(٢) العطن: مناخ الإبل حول الماء، وهو كناية عن البخل.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١١٦، ١١٧. رواه الطبراني في الأوسط الكبير عن محمد بن موسى الأصطخري، عن الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات.

قَطَعْتَ الدَّهرَ كالسَّدِمِ الْمُعَنَّى ... تُهدِّرُ في دِمَشْقَ ولا تَريمُ
يُمَنِّيك الإمارةَ كلُّ رَكْبٍ ... بأنْقاضِ العِراقِ لَها رَسِيمُ
فإنكَ والكِتابَ إلى عَلِيٍّ ... كَدابِغَةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ
لَكَ الْخَيْرَاتُ فاحْمِلْنَا عَلَيْهِم ... فَخَيْرُ الطالبِ التِّرَةَ الغَشُومُ
وقَوْمُكَ بالمدينةِ قد أُصِيبُوا ... لَهُمْ صَرْعَى كأنَّهُمُ الهَشِيمُ
فلَوْ كَنتَ القَتِيلَ وكانَ حَيًّا ... لَشَمَّر لاَ أَلَفُّ ولا سَؤومُ

فتمثَّل معاويةُ قولَ أَوْسِ بن حَجَر:

ومُسْتَعْجِبٍ ممَّا يرى مِن أناتِنَا ... ولَوْ زَبَنَتْهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ

★ ★ ★

١٦٣٦ ـ قولهم: كَحَاطِبِ اللَّيْلِ

يضرب مثلاً للرجل يَجْمعُ كلَّ شيء، ولا يُمَيِّزُ الجيِّد من الرّديء، والحاطب: الذي يَجْمع الحطَب، وصناعتُه: الحِطابة، وإذا حَطب باللّيل جَمع في حَبْله الحَيَّة والعَقْرب، ويقال: فلان يَحْطِب في حَبْل فلان، أي يُعينُه.

★ ★ ★

١٦٣٧ ـ قولهم: كأنَّما قُدَّ سَيْرُهُ الآنَ

يضرب مثلاً للرجل الجديد الشأن لم يتغَيَّرْ، والقَدُّ: القَطْع طُولاً، والقَطُّ: القَطْع عَرْضاً، وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «أنَّه كان إذا عَلاَ بالسَّيف قَدَّ، وإذا اعْتَرض قَطّ» ومنه يُقال: قَطّ القَلَمَ.

★ ★ ★

١٦٣٨ ـ قولهم: كَيْفَ الطلاَ وأُمُّه؟

يضرب مثلاً للرجل يَذْهب هَمُّه ويخلُو لشأنه، وقد ذكرْنا أصلَه قبلُ.

★ ★ ★

١٦٣٦ ـ لسان العرب مادة: «حطب».
١٦٣٧ ـ المستقصى للزمخشري: ٢٥٨.
١٦٣٨ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٧٤.

١٦١٨ ـ قولُهم: كالْقَابِضِ عَلَى الْمَاءِ

يقال ذلك للرجل يَطْلب ما لا يَحْصل له، وهو من قول الشّاعر:

فأصبحتُ من لَيْلَى الغَـداةَ كقـابـضٍ على الماء خـانَتْـهُ فـروجُ الأصـابـعِ

وفي القرآن: ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤]، وهذا خلاف الأوّل، والذي يَبْسُط كَفَّيْه ليَغْتَرِف فيهما الماء، لا يَـحْصُل في كَفَّيْه منه شَيءٌ، وكذلك مَنْ يَقْبض على الماء، والمعنيان يتشابهان.

★ ★ ★

١٦١٩ ـ قولُهم: كِلاَ جَانِبَيْ هَرْشى لَهُنَّ طَرِيقُ

قالوا: يضرب مثلاً للأمر يَسْهُل من وجهيْن. وقال الأصمعيُّ: يضرب مثلاً للأمرين يستويان من أيِّ مأخذٍ أخذتَهما، وهَرْشَى: موضع، وهو من قول الشّاعر [وهو عقيل بن علفة]:

خُذَا بَطْنَ هَـرْشَـى أو قَفـاهَـا فـإنَّـه كِلاَ جَـانبيْ هَـرْشَـى لهنَّ طـريـقُ

وفي سُهولة الأمر قولهم: «**هو على طَرَف الثُّمام**» لأن الثُّمام لا يطول فيشقُّ على المتناول، وقولهم: «**هو على حَبْل ذِراعِك**»، أي هو سَهْل القِياد لا يخالفك.

★ ★ ★

١٦٢٠ ـ قولُهم: كَدَمتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ

يضرب مثلاً للحاجة تُطلب في غير موضِعها، أو من غيرِ أهلها. والكَدْم: العَضُّ، والعامّة تقول: «ضَربَ في حديدٍ بارد»، وقال الأغلبُ:

★ قد نَفَخُوا لو يَنْفُخونَ في فَحَمْ ★

١٦١٨ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٦٣، المستقصى للزمخشري: ٢٦١.

١٦١٩ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٦٣، لسان العرب مادة: «هرشى».

١٦٢٠ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٥٧، المستقصى للزمخشري: ٢٦٤، لسان العرب مادة: «كدم».

★ ★ ★

٩٥١ ـ قولُهم: سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنانِ الْحِمارِ

أي مُستَوُون في الشرّ، فلا يقال: سَواسِية إلا في الشرّ. قال بعضهم سَواسِية: جمع سَواء على غير قياس، والصحيح أن «سَواء» لا يُجمع، لأنه في مذهب الفِعْل، فإن احتجتَ إلى جَمْعِه جمعتَه على أَسْوِيَة. وقال الأصمعيّ: لا نعرف لسَواسِية واحداً وإنما هي كلمةٌ موضوعةٌ موضعَ سَواء، واستُعمِل في الشرّ والمكروه. والمثل العامّ في الخير والشرّ قولهم: «**سَواءٌ كأَسْنَانِ الْمُشْطِ**». وأول من تكلَّم به رسول الله ﷺ، حدَّثنا أبو أحمد قال: حدَّثنا عبدالله بن محمد قال: حدَّثنا إسحاق بن أبي حسَّان قال: حدَّثنا أحمد بن الحواريّ قال: حدَّثنا بَكَّار بن شُعَيْب، عن ابن أبي حازم، عن أبيه سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّمَا الناسُ كأسنان الْمُشط، وإنَّما يتفاضلون بالعافية»[(١)] قالوا: العافية: الرَّحمة، ومنه قوله عليه السلام، وقد وقف على أهل القبور، فقال: «السلام عليكم ديارَ قومٍ مؤمنين: أنتم لنا سَلَف ونحن لكم تَبَعٌ، أسألُ اللهَ لنا ولكم العافية»[(٢)]، يعني الرَّحمة، وقال الشاعر [وهو الفرزدق]:

شَبَـابُهُـمْ وشَيْبُهُـمْ سَـوَاءٌ ... وهُمْ فِي اللُّؤْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ

ومنه قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ بَنُو آدم طَفَّ الصَّاعِ، ليس لأحدكم على أحد فضل إلا بالتَّقوى، والناس كإبلٍ مائةٍ ليس فيها راحلة»[(٣)]. وتأويل هذه الأحاديث أن النبي

---

٩٥٠ ـ لم نجده فيما نرجع إليه من كتب الأمثال والمعاجم.

٩٥١ ـ مجمع الأمثال للميداني ١: ٢٢٢، المستقصى للزمخشري: ٢٢٨، لسان العرب مادة: «سوا».

(١) قوله:

★ «إنما الناس كأسنان المشط» ★

أخرجه ابن عدي في الكامل، والقضاعي في الشهاب: ١٨٦ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) قوله: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين...»

أخرجه مسلم ١: ٦٧١ عن بريدة رضي الله عنه.

(٣) قوله: «كلكم بنو آدم طف الصاع...».

★ ★ ★

٣٧٦ ـ قولُهم: تَرَى الْفِتْيَانَ كالنَّخْل، وما يُدْرِيكَ ما الدَّخْل

يضرب مثلاً للرجل له مَنْظر ولا مَخْبَر له. والدَّخَل: ما يَبْطنُ في الشَّيء. يقال: شيء مَدْخول، إذا كان فاسدَ الجوف. وفي الأثر: هُدْنَةٌ على دَخَن، وعلى دَخَل، أي مُصالحةٌ على فساد ضمائر، وقريبٌ منه قول الشاعر:

★ ويُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ ★ (١)

وقال عبدُالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر:

وأَحْمَقَ تَحْسِبُهُ كَيِّساً ... وقد تَعجَبُ الْعَيْنُ من شَخْصِهِ
وآخَرَ تَحْسِبُهُ جَاهِلاً ... ويأتيكَ بالأمرِ من فَصِّهِ

ونحو ذلك قول الآخر:

★ ويَنْفَعُ أَهْلَه الرَّجلُ القبيحُ ★

★ ★ ★

---

٣٧٦ ـ مجمع الأمثال للميداني ١: ٩١، المستقصى للزمخشري: ١٩١، ولسان العرب مادة: «دخل».

(١) البيت للعباس بن مرداس، وصدره:

★ ويُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيه ★.

حَضَـــر الهمـــومُ وِســـادَه وتجنبَّـــتْ كســـلانَ يُصْبِـــحُ في المنـــام ثقيـلاَ

★ ★ ★

١٦١٥ ـ قولُهم: كِلاَهُما وَتَمْراً

أي كلاهما وأريدُ تمراً، أو كلاهما أريدهما وأريد تمراً.

★ ★ ★

١٦١٦ ـ قولُهم: كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبِيراً

أي كلُّ قومٍ أعلمُ بصاحبِهم من غيرهم، وهو من قول جَثَّامة بن قَيْس أَخِي بَلْعاء ابن قيس:

إذا لاقيـتِ قَـوْمِـي فـاسـألِيهـمْ كَفَـى قـومـاً بصـاحِبِهـم خبيرَا
بـأنِّـي لا ينـادي الحيُّ ضَيْفِـي ولا أَلْحَـى على الخطـأ الأميرَا
وأعفـو عـن أُصـولِ الحقِّ منهـم إذا نَشِبـتْ وأقْتَطِـعُ الصُّـدورَا

لا ينادِي الحيُّ ضَيْفِي فيُحَولوه إليهم، لأنه يجد عندي ما يحبّ. والأمير: الذي يُؤامره، أي أُسامح صاحبي في الخطأ. وأقتطع الصدور، أي آخذُ عفوَه ولا أَسْتقصِي عليه، وكان الكِسائيّ يقول: «كَفى قومٌ» وقال الفرّاء: هو خطأ، والصَّواب: النَّصب، ومثله قولهم: «**لكل أناسٍ في بَعيرِهم خَبرٌ**».

★ ★ ★

١٦١٧ ـ قولُهم: كالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ

يضرب للرَّجل يَنْتَحل ما لا يُحْسِنه، والْحَدْوُ: السَّوْق من وراءِ الإبل، والقَود من قُدَّامها، وأظنُّ الرجلَ الذي يَنتفخ بما لا يملك، يُضرب له هذا المثلُ.

★ ★ ★

١٦١٥ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٦٥، المستقصى للزمخشري: ٢٧٠.

١٦١٦ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٧٠، المستقصى للزمخشري: ٢٦٦، لسان العرب مادة: «خبر».

١٦١٧ ـ فصل المقال ٢٤٥، مجمع الأمثال للميداني ٢: ٥٩، المستقصى للزمخشري: ٢٦٠، لسان العرب مادة: «نوط».

١٨٦٣ ـ قولُهم: ما في الْحَجَر مَبْغىً ولا عِنْدَ فُلان

يضرب مثلاً عند توكيد اللُّؤْم، وقِلَّة الخير. والْمَبْغَى: مَفْعَلٌ من بَغَيْتُ، أي طَلَبْتُ.

★ ★ ★

١٨٦٤ ـ قولُهم: مَا حَلَلْتَ بِبَطْنِ تَبالَةَ لِتَحْرِمَ الأَضْيَافَ

يضرب مثلاً للرجل لا علَّةَ تمنعه عن البذْل، ولا يَبذُلُ. وتَبالةُ لا تَخلُو من خصبٍ مُقيم، والنازلُ بها لا يمكنُه الاعتلالُ بالجدْب. ونحو هذا قولُ الشاعر:

أَتَمنَعُ سُؤَّالَ العَشيرَة بَعْدَمَا تَسمَّيْتَ فَيْضاً وَاكتَنَيْتَ أبَا بَحْرِ!

★ ★ ★

١٨٦٥ ـ قولُهم: الْمَرءُ بخَلِيلِهِ

معناه: أنَّك مَنْسوبٌ إلى خلِيلك فانْظُرْ مَنْ تُخَالُّ، قال عَدِيُّ بن زَيْد:

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وأبْصِرْ قرينَهُ فإنَّ القَرِينَ بالْمُقارِن يَقْتَدي

وقال أكثم بن صيفيٍّ: مَنْ فَسدتْ بطانته كان كَمَنْ غَصَّ بالماء. وله مَعْنىً آخر، وهو أنَّ المرءَ يَقْوَى بخليلِه، على حَسَب ما قال النبيُّ ﷺ: «الْمَرءُ كَثِيرٌ بأخِيه»، قال الشاعر [وهو مسكين الدارمي]:

أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ كساعٍ إلى الْهَيْجَا بغَيْرِ سِلاح

★ ★ ★

١٨٦٦ ـ قولُهم: مِن حَظِّكَ مَوْقِعُ حَقِّكَ

يُراد به أنَّ ممَّا أعطَاك اللهُ من الحظِّ أن يكونَ حَقُّك عند من لا يَجْحَدُك، ولا يَتْلَفُ قِبَله، وقال بعضُهم لأبي الأسْود: بلغني أنَّكَ لا يضيعُ لكَ حقٌّ عند أحد، فِممَّ

١٨٦٣ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٦١.

١٨٦٤ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٤٢، المستقصى للزمخشري: ٣٠١، لسان العرب مادة: «تبل».

١٨٦٥ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٥٢.

١٨٦٦ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٨٤، المستقصى للزمخشري: ٣١٣.

١٦٣٩ ـ قولهم: كالْمُسْتَغِيثِ من الرَّمْضَاء بالنَّارِ

يضرب مثَلا للرَّجل يفرُّ من الأمر إلى ما هو شَرّ منه، قال الشاعر:

الْمُسْتَغِيثُ بعَمْرٍو عند كُرْبَتِهِ كالْمُسْتَغيثِ من الرَّمضاءِ بالنَّارِ

ونحوه قولُ إبراهيم بن العبَّاس:

وإنِّي وإعْدَادِي لدَهْرِي مُحَمَّداً كملتمسٍ إطفاءَ نارٍ بنافخِ

والرَّمْضاء: التّراب الحارّ، وقد رَمِضَ التّرابُ، إذا حَمِيَ، ومنه قيل: شهر رَمضان، لأنَّهم حين سَمَّوا الشُّهورَ وافق شهرُ رمضان وقتَ شِدَّة الحرّ، كما قيل: جمادى، لأنَّها وافقت إذا ذاك وقتْ جمود الماء، وشَهْرا ربيعٍ وافقا فصلَ الرَّبيع، فثَبتت التَّسميةُ على ذلك، قال الشاعر: [وهو مرّة بن محكان السعدي]:

في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ لا يُبْصر الكلبُ من ظَلمائِها الطُّنُبَا

والأَنْدِية ها هنا جمع نَدًى، والأصل في جمع ما كان على هذا البناء أَفْعَال، مثل: نَدًى وأَنْداء، وقَفاً وَأَقْفَاء، ولم يجيء في جمع هذا أَفْعِلة إلا هاهنا.

★ ★ ★

١٦٤٠ ـ قولهم: كَثِيرُ النُّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظِّنَّة

المثل لأكثَم بن صَيْفِيّ، ومعناه أنَّك إذا بالغتَ في النُّصح لصاحبك ظنَّ أنَّك تريد حظًّا لنفسك، وقال أكثم في موضعٍ آخر: «إذا بالغتَ في النَّصيحة فَتَأَهَّبْ للتُّهْمة» وأنشدنا أبو أحمد، عن الصُّولي، عن أبي ذَكْوانَ قال: أنشدَني عُمارة بن عَقِيل:

أَلَمْ تعلَمُوا أَنِّي وَإِنْ قَلَّ شُكْرُكُمْ لأعْراضِكُمْ وَاقٍ أَحُوطُ وَأَمْدَحُ

وكم سُقْتُ في آثاركُمْ من نَصيحةٍ وقد يستفيدُ الظِّنَّةَ المتَنَصِّحُ

★ ★ ★

١٦٤١ ـ قولهم: كلُّ شَيْءٍ يَنْفَعُ الْمُكاتَبَ إلاَّ الْخَنِقَ

يقال هذا عند النَّفع القليل المتبلّغ به. وأصله أنَّ مكاتَباً سأل امرأةً فاعتذرتْ أنَّها

١٦٣٩ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٦٣.

١٦٤٠ ـ المستقصى للزمخشري: ٢٦٣.

١٦٤١ ـ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٧٠.